

كتاب جماعي

مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

السيد حسن نصر الله

المقاوم الغائب الحاضر

شهادات تونسية

**الكتاب:** في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد السيد حسن نصر الله

المقاوم الغائب الحاضر شهادات تونسية

**المؤلف:** كتاب جماعي

**النوع:** فكر سياسي

**الطبعة:** الأولى

**السنة:** 2025

**الناشر:** مجمع إفريقية للدراسات والتوثيق والنشر

**العنوان:** 63، شارع المحطة - تونس 1000 / الجمهورية التونسية

**الهاتف:** 904 71 247 (00216)

ISBN 978-9909- 9877-0- 4

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن قناعات

واتجاهات مجمع إفريقية للدراسات والتوثيق والنشر

© جميع الحقوق محفوظة لمجمع إفريقية للدراسات والتوثيق والنشر



## المشاركون



عبد الحميد الرياحي

رافع الطيب

آسيا العتروس

الحبيب بالهادي

خالد كرونة

هشام عجبوني

فوزي العلوي

حمّاه الهمامي

زهير حمدي

مراد علالة

عدنان الإمام

سليمان منغاني

سليم الأعماري

الإهداء

إلى

القائد الأُمَمِي، المقاوم الغائب الحاضر

الشهيد السيد حسن نصر الله

مجمع إفريقية

للدراسات والتوثيق والنشر

# فهرس المواد

| الصفحة | المحتوى           |
|--------|-------------------|
| 4      | الإهداء .....     |
| 5      | فهرس المواد ..... |
| 7      | كلمة الناشر ..... |

## شهادات

|    |  |
|----|--|
| 17 | حسن نصر الله وحرب التحرير الشَّعبية .....  |
|    | حمَّه الهمامي .....  |
| 25 | الزعيم الشهيد حسن نصر الله: نبراس الحالمين وإمام الثائرين ..                       |
|    | زهير حمدي .....  |
| 33 | شكرا سماحة السيد إنَّا على العهد يا نصر الله .....                                 |
|    | هشام عجبوني .....  |
| 45 | يذهبون... وتبقى أنت رمزاً للعزة وعنواناً للمقاومة وأملاً للبشرية .....             |
|    | عبد الحميد الرياحي .....   |
|    | رصيده بقية من كرامة عربية وجرعة مقاومة: نصر الله سيد المقاومة في حضرة الغياب ..... |
| 49 | أسيا العتروس .....   |



- 59 ..... أحبّك لأنّي معاد للإسلام السياسي وتوافق إلى الحرّية .....
- ..... الحبيب بالهادي
- 63 ..... الشّهيد أبو هادي: الاستثناء الذي لا تدركه لغة السياسة .....
- ..... خالد كرونة
- 67 ..... جمع بين الحنكة السياسية والبلاغة اللغوية والمهارة الاتصالية
- ..... حسن نصر الله.. قائد الكلمة..... مراد علالة

## مقالات

- 85 ..... في الكاريزما الثوريّة: القائد الأممي، السيّد حسن نصر الله
- ..... فوزي العلوي
- ..... حزب الله كفاعل هجين في فضاء متغيّر: القيادة والتموضعات
- 125 ..... الجيوسياسيّة من نصر الله إلى الأفق المفتوح .....
- ..... عدنان الإمام
- 187 ..... الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله: الأسس والمحدّدات ..
- ..... سليم الأعماري
- La stratégie d'aveuglement du Hezbollah et
- 1- 19 les illusions de l'ennemi occidental-sioniste.
- ..... Rafaâ TABIB

# كلمة الناشر

سليمان منفاني  
مجمع أفريقية للدراسات  
والترتيق والنشر

إذا كان الإنسان مدنيًا بالطبع، فإنَّ مدنيته تقتضي تفاعله الإيجابي مع محيطه وبيئته من خلال العلامات والرموز ووسائل التواصل الأخرى، ومن ثمَّ التشاكل الوجودي بينه وبين هاته الرموز بما تنطوي عليه من توترات وتدافع وديناميات وتعقيدات؛ الأمر الذي يضع مفهوم الرّمز -نفسه- في محراب الاستجواب العلمي وإخضاعه لعملية التقصّي والتساؤل من حيث طبيعته وماهيته ووظائفه وتجلياته.

كما أنّ الإقرار بالتشاكل الوجودي الأنطولوجي بين الإنسان والرّمز يشكّل مصداقًا للحضور الإنساني المعنوي في عالم الأشياء، ويتضمّن افتراضاً أنّ يكون الرمز بذاته كينونة أثيرة دلالية تحيط بالعالم المادي وتحتضنه.

وإذا كانت المنظومة الرمزية تتكوّن من دال (*Signifiant*) ومدلول (*Signifié*)، فإنّ طرفي المعادلة الرمزية، المرئي المحسوس، والخفي المجرد، يشكّلان كلاًّ وحدة متكاملة لا يفهم أحدهما من دون الآخر. وعلى هذا النحو فإنّ الأنظمة الرمزية تؤدّي دورها في التعبير عن أفكار ومفاهيم وتصوّرات ومعاني ودلالات؛ فالعلامة تمثّل لحظة فيزيائية مادية، أما الرمز فيعكس المعنى المتجسّد في العلامة.

هذا التمايز الثنائي لا يعني - في الحقيقة - فصلاً حدّياً بقدر ما هو تعبير عن حركة متواصلة، ومقدّمة منهجيّة للوقوف على وظائف الرّمز المتمثّلة في نقل المعاني الكبرى والسموّ بها، وتحويلها إلى مجالات وفضاءات أخرى مختلفة، إذ أنّ التباعد بين ما تظهره الرموز وما تحجبه وما تومئ إليه وما تستره، هو ما يجعل عملية التأويل ممكنة، ومن ثمّ تبرز الوظيفة الإبداعية للرّمز<sup>(1)</sup>، حيث التّحريض على التأمّل والنظر والاستقراء، وتوليد معاني الإبداع والابتكار التي تولد في جدل المسافات الفاصلة التي يتركها الرمز بين الخفي والمعلن، بين الدلالة والمدلول، وبين الصورة والمعنى.

هذه الوظيفة الدلالية للرمز هي التي تمنح للوجود الإنساني معناه، وللكينونة عمقها وأصالتها، من خلال الدّور الحيوي الذي يضطلع به في الاجتماع وفي العمران؛ كون عناصر السلوك الفردي تشكّل بذاتها مادة للعلاقات الرمزية في المجتمع<sup>(2)</sup>، ولأنّ هذه العلاقات والرموز

(1) ستروس (كلود ليفي): الفكر البرّي، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 229 وما بعدها.

(2) فوكو (ميشال): المعرفة والسّلطة، ترجمة عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994، ص 7.

لا يمكنها إلا أن تكون اجتماعية؛ أي متأصلة في المجتمع بصفته كلية رمزية أو نظاما رمزيا. ففي كل رمزية دعوة سلوكية محدّدة، وهنا تكمن الوظيفة الأساسية للرموز في أداء مهام ثقافي اجتماعي تنظيمي في دائرة الحياة الاجتماعية.

وفي هذا السياق فإنّ الشخصيات الكاريزماتيّة - باعتبارها كيانات اجتماعية - تؤدّي بهيبتها وحضورها المميّز دورا رمزيا في الإحساس بالقوة والعظمة، والقدرة على التدبير والتسيير وعلى فرض النظام والهيبة، وبالتالي فالحقل الرمزي يحوي السلوك الإنساني والفعل الاجتماعي على حدّ سواء، وهو - وفق الاصطلاح القرآني - «آية» وحامل لرسالات التدبّر والتأمّل والعبر: ﴿...سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾<sup>(1)</sup>. من هذا المنطلق، أليس هو رمزا كل ما يوقظ في نفوسنا همما ويبعث فينا مشاعر وأحاسيس؟

إنّ الرّمز الذي في هذا المصنّف «التكريمي» هو السيّد حسن نصر الله - في ذكرى ارتقائه الأولى - حيث محاولات الاستقراء والتأمّل في المسافات الفاصلة التي تركها بين الخفي والمعلن، بين الدلالة والمدلول وبين الصورة والمعنى، وحيث التدبّر في «آيات» الآفاق والأنفس، وحيث سحر الشخصية، والسلطة الملهمة بالمفهوم الفيبري<sup>(2)</sup> - المستندة - أساسا - إلى مبدأ «الكاريزما»؛ فالزعيم الملهم - ولئن بدا قائدا لا يعتمد بالضرورة على جهاز بيروقراطي منظم يساعده في الحكم، كون تأثيره وقوّته لا يُستمدّان من النظم القانونية والشرعية بقدر

(1) فصّلت: الآية 53.

(2) فيبر (ماكس): مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص 93 وما بعدها.

ما ينبنيان على قابليته لكسب وإرضاء الناس والتفافهم حوله وإيمانهم برسالته، طالما أن مركزه القيادي هذا لا يعتمد على ثروته أو جبروته، فإنَّ السيّد حسن نصر الله -على عكس ذلك- استند أيّما استناد إلى جهاز حزبه بمؤسساته المختلفة، وانصهر فيها، فطبّق مبدأ التشاور والإدارة الجماعيّة المشتركة المسدّدة بحكمة بالغة وقدرة مقتدرة، ومن ثمّ لم يكن «جبروتا» يعتمد على القوّة ولا الخوف الذي يزرعه القائد «المتسلّط» في نفوس رفاقه ليطيعوه خوفاً وطمعاً، بل طاعتهم له كان مصدرها الصفات الاستثنائيّة والشخصية الجذّابة التي تميّز بها، أساسها الوفاق واللطف والمحبة المتبادلة بينه وبين: «أشرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس»<sup>(1)</sup> والرّحمة واللّين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(2)</sup>. وهو ما أضاف بعداً جماعياً على مسيرة هذا القائد/ القدوة التي لا يمكن فصلها (المسيرة) عن السياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي وجد فيه واستلهم منه؛ فالقائد إنّما يستمدّ قوّته وشرعيته، ومشروعيته كذلك من رؤية الأفراد إليه، وإيمانهم بصدقه وبمصداقيته..

بيد أن ذلك لا يعني البتّة أنّه لا يعلو على التقاليد، ولا يحرص على المغامرة السياسيّة، ليس لأنّه يجازف بالفشل، بل لأنّه مجبر على انتزاع النّاس من النمطيّة، وإجبارهم على استعادة حميّة جديدة، والخروج من سأم الحياة اليوميّة، نظراً لاعتقاده الجازم

(1) كلمة الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله في احتفال ذكرى

الانتصار في مدينة بنت جبيل بتاريخ 28-7-2007

(2) آل عمران: الآية 159.

باحتمية تنفيذ الرسالة التاريخية التي تساعد المجتمع على بلوغ أهدافه وطموحاته المنشودة، وبسبب الصفات المميزة التي يتمتع بها القائد / القدوة تجعل الناس يلتفون حوله، ويحترمونه ويقدرونه تقديراً فائقاً لدرجة أنهم يعبرون عن استعدادهم في التضحية من أجل رؤيته؛ كونه - حسب رأيهم - قادر على إنقاذهم وقيادتهم إلى النصر المحقق.

وبالعودة إلى قراءة خريطة العلاقة التي جمعت السيد حسن نصر الله بمحور المقاومة نلمس ملامح الكاريزما القيادية في أجلي صورها. فقد استطاع تكسير جلّ الحواجز النفسية التي كانت تحدّ من مقاومة «العدو»، فصار إنساناً محبوباً وصاحب شعبية عالية وذا جاذبية خارقة سحرت ألباب الناس ودفعتهم إلى الإقبال عليه وجعله مركزاً يحيطون به من كلّ حذب وصبوب ويمنحونه ثقتهم وينقادون له طواعية.

ولعلّ من بين أبرز الخصائص في شخصية السيد حسن نصر الله هو حسن المغامرة وتحمل مسؤولية تغيير الواقع السياسي والاجتماعي والانخراط الكامل في سبيل بناء مشروع تحرّر شامل، والإيمان «حتماً» بالنصر، مكّنه من تحقيق أهداف استراتيجية في وقت قياسي، غيرت الخريطة السياسية في المنطقة بشكل تام. لقد استطاع أن يدفع الجميع إلى تبني هذا المشروع والاقتران به والدفاع عنه. وهذه من أهم سمات القائد العظيم، صاحب الأهداف العظيمة والطموحات الكبيرة:

تقلّ دواعي النفس وهي ضعيفة \* وتَقْوَى هموم القلب وهو مغامر<sup>(1)</sup>

(1) البارودي (محمود سامي): الديوان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1992، ص 392.

وليس بخاف أن الفترة الزمنية التي تولى فيها السيد حسن نصر الله منصب الأمين العام لحزب الله، والمتغيرات الإقليمية والدولية التي رافقها وتخللها، وصيرورته رمزا للمقاومة وقوة ملهمة لها، كل ذلك جعل السيد حسن نصر الله ليس زعيما وطنيا وقوميا وأمميًا فحسب، بل كذلك «شخصية استثنائية»، و«أيقونة نضالية» تستحق الدراسة بعمق للاستفادة مما جسّدته من تجارب غنية بإيجابياتها وعثراتها.

وبذا، وفي أجواء الاحتفاء بالذكرى الأولى لارتقائه - يظلّ الشهيد القائد السيد حسن نصر الله - علامة فارقة في تاريخ المقاومة الإسلامية، ورمزا للنضال الدؤوب والتضحية من أجل القدس وفلسطين وكافة الأراضي العربية والإسلامية المغتصبة....

ولئن استأثرت شخصيته باهتمام الكثير من الباحثين في هذا الكتاب، فإنّها تظلّ منفتحة على اجتهادات الباحثين الآخرين، وقابلة لمقاربات كثيرة تستهدف مختلف جوانبها؛ شأن كلّ رجالات التاريخ العظام، الذين غيروا مسار الأحداث ووشموا أسماءهم في سجل البطولات والأمجاد الإنسانية.

وبعيدا عن المقاربات ذات الخلفية الإيديولوجية والسياسية، والرؤى النمطية، فإنّ النباش الأركيولوجي في طبقات وأغوار هذه الشخصية الفذة تؤكد أنّها تجاوزت المسافات، واستطاعت فرض وجودها السياسي وإثبات ذاتها القيادية بعيدا عن موطنها الأصلي.

إنّه كان ذاك المعارض الشرس للظلم والمناضل الشهم في الصفوف الأمامية لم تكن تحركه نزوة طائفية أو رغبة ذاتية أو ترسيخ كيان مستقلّ عن الوطن، بل مقاوما محتسبا باحثا عن أسباب التمكين

من أجل السيادة والاستقلال والحرية والكرامة؛ قائدا مؤهلا سياسيا وخلقيا للقيام بدور طلائعي في زمن الانكسار الخنوع الخضوع والهوان، وأيضا الانتصارات والاعتزاز... «اليوم، نحن أحوج ما نكون إلى هذا الموقف، إلى النفوس الأبية والأنوف الحمية، والأنفس الأرواح الطيبة التي ترفض الهوان والذل»<sup>(1)</sup>، لأنّ زمن الهزائم قد ولى حسب سيّد المقاومة.

ونحن في مجمع إفريقيّة للدراسات والتوثيق والتّشر، إذ نشر هذا العمل، فإنّ ذلك احتفاء بمآثر الشهيد القائد السيّد حسن نصر الله في الذكرى الأولى لارتقائه، لتكون سيرته ومسيرته زاداً وفيراً لكلّ العاملين في سبيل نصرة المستضعفين ومقارعة المستكبرين، ومحطّة نضاليّة لغرس الوعي المقاوم، وترسيخ ثقافة الشهادة والتضحيّة والبذل والعطاء.

... إنّها أفكارٌ حيّةٌ ودروس سامية يُستلهم منها في العلم والعمل والحركة لتُوقظ عيوناً مفتوحة على الحاضر، وعقولا متطلّعة إلى المستقبل، وتُلهم همّما رساليّة ساعية دوماً في الدروب الموصلة إلى الأهداف العظيمة والغايات الكبرى في الحياة، على خطّى القائد القدوة والمثال الأكبر في خطّ العمل والرّسالة، والذي استطاع منهجياً ووظيفياً أن يمتلك القدرة النقدية في التعامل مع الواقع تحليلاً وتركيباً؛ وإنّ أهمّ ما يميّز القائد «القدوة» عن غيره هو «الموقف» و«الرّسالة»، وإنّ أهمّ ما يميّز «الموقف» و«الرّسالة» هو المرجع الأخلاقي على اعتبار الأخلاق مبعث كلّ فكر نقّي وإنساني، وأنّ أهمّ ما في الأخلاق هو الفضيلة والعدالة و الحرية.

(1) كلمة السيد نصر الله في يوم العاشر من محرم 13-3-2003، بمناسبة العاشر من محرم.



وما هذه الأفلام التي شاركت في رسم سطور هذا الكتاب الإلهائي إلا محاولة تعبير عن هذه القيم التي جسدها السيد حسن نصر الله في سيرته ومسيرته، وعرفانا واعترفا للمُهدى إليه، وتجديدا للعهد على مواصلة الرسالة والثبات على المبدأ، من خلال الوقوف على مسيرة نضاله المتواصل ومحطات حياته والخصالات والسمات المميّزة لشخصه. مصداقا لقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (1).

مجتمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

(1) يوسف: الآية 111.



شهادات

مجمع إفريقية

للدراسات والتوثيق والنشر



مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

## حسن نصر الله وحرب التحرير الشعبیة

صممه الهمامي  
الأمين العام لحزب العمال

«الاستعمار لا يرفع يده إلا إذا جعلت السكين في عنقه»

فرانز فانون - «معدّبو الأرض»

لا أخفي حسرتي الكبيرة على فقدان ساحة التحرر الوطني اللبنانيّة والعربيّة والعالمية الشهيد الكبير السيّد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبنانيّ. هذا القائد الذي جمع بين القدرة على القيادة السياسيّة والقدرة على القيادة العسكريّة، وأبدع في كليهما. لقد تميّز بمستوى تحليله الرّفيع والدّقيق للأوضاع وخاصّة لحالة موازين القوى في المنطقة، وهل للسياسة من تعريف عدا كونها «علم موازين القوى»؟ وهو ما جعل الاحتلال الصهيونيّ، بمستوياته وحكومته وجنرالاته يجلسون أمام تلفازاتهم كلّما تكلم السيّد حسن نصر الله. فأما الأوّل، الذين كانوا يصدّقونه أكثر ممّا يصدّقون حكومتهم، فمن أجل معرفة مصيرهم، وأما البقية من حكام وجنرالات همّج فمن أجل تحليل/ دراسة ما يخطّط لهم الرّجل.

أمّا في المستوى العسكريّ فالفضل يعود إلى السيّد حسن نصر الله ومقاوميه في تطوير «حرب التحرير الشعبيّة»، وهي أسلوب الشعوب المقهورة البسيط الذي يعتمد الذكاء وقوّة الإرادة في منازل الأعداء، والانتصار عليهم وعلى جيوشهم الجرّارة وآلياتهم الحربيّة المتطوّرة. وليس هذا الحكم حكماً بل هو حكم أسطورة حرب التحرير الشعبيّة الفيتناميّة، العسكريّ العصاميّ، العظيم، الجنرال «فون نجوين جياب» (1911-2013)، الذي يحمل في سجلّه هزم/ تركيع ثلاث امبراطوريّات عسكريّة من أشنع ما عرف التاريخ، وهي الامبراطوريّات اليابانيّة والفرنسيّة والأمريكيّة. فلمّا سئل الجنرال عن رأيه في الحرب التي خاضها حزب الله ضدّ الكيان الغاصب سنة 2006 وألحق به هزائم فادحة لم تلحقها به جيوش الأنظمة العربيّة «الجرّارة» أجاب بأن حزب الله «طوّر حرب التحرير الشعبيّة» بأن طعم صيغتها المعتادة (حرب العصابات وحفر الأنفاق) بوسائل التكنولوجيا الحديثة، وأضاف إليها استعمال الأسلحة المتطوّرة من صواريخ وغيرها. والأهمّ من ذلك المزج المتوازن والخلاق بين تكتيكات حرب العصابات، وخطط الجيوش النظاميّة.

ومن الأكيد أنّ الجنرال، لو كان اليوم على قيد الحياة، لأشاد بمزيد تطوير أسلوب الحرب الشعبيّة، سواء من قبل حزب الله أو من قبل المقاومة الفلسطينيّة، وعلى رأسها كتائب القسام، ولعلّ بالقول: «امضوا إلى الأمام فأنتم المتصرون... إنّ الشعوب لا تقهر».

إنّ انطلاقة المقاومة الشعبيّة في فيتنام تمتّت بـ«جيش» قوامه مجموعة لا تتجاوز 34 رجلاً وامرأة شكّلها الجنرال عام 1944 في إحدى الغابات، ولم يكن سلاحهم يتجاوز مسدّسين ورشاشاً خفيفاً

و17 بندقيّة. لكنّ هذه المجموعة ستحوّل إلى جيش شعبيّ جرّار قاهر للإمبراطوريّات الاستعماريّة العظمى، ناهيك أنّه لا الامبرياليّة الفرنسيّة سُفيت إلى حدّ السّاعة من هزيمة «ديان بيان فو» (1954) التي بشرت بانحدارها، ولا الإمبريالية الأمريكيّة تعافت من «متلازمة» فيتنام (Syndrome du Vietnam). ومن المعلوم أنّ حسن نصر الله نفسه حوّل فصيلة المقاوم، الذي خرج في بدايات ثمانينات القرن الماضي من رحم الحرب الأهليّة اللبنانيّة واستلم هو شخصيًّا قيادته سنة 1992، من مجموعات صغيرة إلى ما يشبه اليوم جيش التحرير الشعبيّ في عدده وتنظيمه وتسلّحه وتدريبه واستراتيجياته وتكتيكاته وقدراته القتاليّة؛ ناهيك أنّه يعتبر الآن من أهم «جيوش المنطقة».



إنّ الحرب الشعبيّة هي أعظم ما أبدعه الثوّار لمقاومة عدوّ غاصب يتفوّق عليهم بقدراته العسكريّة والماديّة الكبرى، وهي التي مكّنتهم من هزّمه لأنّهم مسلّحون بإرادة قويّة يستمدّونها من شرعيّة قضيتهم، بينما عدوّهم الرّأسمالي، الإمبريالي، الاستعماري، لا تحركه سوى نزعات الظلم والقهر والتوسّع والاحتلال والهيمنة؛ المدفوعة برغبة جامحة في الاستغلال والنهب، ومراكمة أقصى الأرباح على جماجم البسطاء والفقراء والكادحين.

ولعلّ العديد من النّاس يجهلون أنّ مبدع الحرب الشعبيّة في صيغتها الحديثة، التي ألهمت أعظم حركات التحرير المعاصرة وقادتها العظام، هو واحد من أبناء جلدتنا، من منطقتنا وجهتنا، يتكلّم لغتنا ويلبس لباسنا (الجلابيّة والبرنوس واللّحفة والكبّوس/ الشّاشيّة...) ويطيّل شاربيه كما نطيّل شواربنا، إنّّه المغربيّ الأمازيغيّ المسلم محمّد عبد الكريم الخطّابيّ (1882-1963) الملقّب بـ «أسد الرّيف»، قاهر الاستعمار

الفرنسي والإسباني، ومؤسس «جمهورية الرّيف» التي دامت من 1921 إلى 1926. إنه أوّل من ابتدع حرب العصابات والخنادق والأنفاق.

لقد نوّه عظماء قادة التحرير الوطني والنضال المعادي للإمبريالية في عصرنا الحديث بهذا المقاوم العظيم الذي يقلّ الحديث عنه في بلادنا وفي الوطن العربي، لأنّ اسمه ما زال يخيف أنظمة الطّغيان والعمالة ومثقفيّ البلاطات. فقد قال في شأنه «هوشي منه» زعيم حركة التحرّر الوطني الفيتناميّة ومؤسس الجمهوريّة الفيتناميّة الشماليّة (1890-1969): «لولا محمّد عبد الكريم الخطّابيّ لما استطعنا أن نهزم الفرنسيّين في الهند الصّينيّة لأنّه مبتكر أسلوب حرب حفر الأنفاق والخنادق وحرب العصابات بشكلها الحديث». ومن المفارقات أنّ معركة «ديان بيان فو» -التي هزّم فيها الفيتناميون جيش فرنسا الاستعماريّ (1954) بجزائراته وعساكره وطائراته ودباباته، ووجّهوا الضربة الحاسمة للإمبراطوريّة الاستعماريّة الفرنسيّة- تمثّل نموذجا، وإن كان أكبر وأضخم حجما، لمعركة «الأنوال» التي حاصر فيها جيش محمّد عبد الكريم الخطّابيّ الجيش الإسبانيّ من كلّ الجهات وهزّمه هزيمة ساحقة.

كما كان الرّعيم الصّينيّ الرّاحل ماوتسي تونغ، مؤسس الصّين الحديثة من بين المُشيدّين بالرّعيم المغربيّ. ففي زيارة أداها وفد فلسطينيّ بقيادة الرّاحل ياسر عرفات إلى الصّين سنة 1971 والتقى فيها ماو تسي تونغ، يقال إنّ عرفات سأله عن تجربة حرب التحرير الشعبيّة الصّينية بغرض الاستفادة منها؛ فإذا بالرّعيم الصّينيّ يجيبه: «جئتُم تريدون أن أحدثكم عن حرب التحرير الشعبيّة في حين يوجد في تاريخكم القريب عبد الكريم الخطّابيّ الذي هو أحد المصادر الأساسيّة التي منها تعلّمْتُ الكثير».

أما آخر المرويّات فعن المناضل الأمميّ الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته وبعد مماته على حدّ سواء، أرستو تشي غيفارا الذي مازال البعض يعتقد أنّه مبدع حرب العصابات. لقد زار غيفارا مصر لأول مرّة سنة 1959، وكان الهدف الحقيقي من هذه الزيارة ملاقة محمّد عبد الكريم الخطّابي الذي قضى آخر فترة من حياته بالقاهرة. وقد توجه إليه غيفارا حين التقاه بالكلمات التالية: «أيّها الأمير لقد أتيت إلى القاهرة خصيصاً لكي أتعلّم منك». وهو يقصد تعلّم حرب العصابات والخنادق التي سيستعملها في حروبه، بعد مغادرة كرسيّ الوزارة في كوبا (1965)، في الكونغو كينشاسا وفي بوليفيا، حيث استشهد سنة 1967 وهو يقاوم على يد أعوان المخابرات المركزية الأمريكيّة (سي أي أي) بمساعدة القوّات البوليفيّة الرجعيّة.



إنّ محمّد عبد الكريم الخطّابي، «أستاذ الثورات الشعبیة»، كما لقبه البعض، هو إذن من أبناء جلدتنا وقريب جدّاً منّا. وهو ما يؤكّد عظمة شعوبنا وقدرتها، كلّما توفّرت لديها الإرادة (إذا الشعب يوماً أراد الحياة...)، على الكفاح وتحقيق تحرّرها حتّى من أشجع الامبراطوريّات الاستعماريّة (ومثال جزائر المليون ونصف شهيد مائل إلى اليوم بين أعيننا).

ولا نخال حسن نصر الله، ورفاقه والسّنوار ورفاقه في كتاب القسّام وفي مختلف فصائل المقاومة الفلسطينيّة، إلا امتداداً لذكاء محمّد عبد الكريم الخطّابي في ظروف اليوم ومعطياتها. وهو ما ينبغي أن يلهمنا على الدوام ويدفعنا إلى مقاومة روح الهزيمة والإحباط التي يحاول زرعها العدو الامبرياليّ الصهيونيّ، وأدواته من صهاينة العرب الأذلاء في النفوس. فنحن لنا أبطال عظام ولنا بطولات عظيمة، وما يتقصنا هو وعيها لتتحول إلى جزء من هويّتنا ونكون في مستوى مسؤوليّتنا التاريخيّة.

لقد كان محمد عبد الكريم الخطابي يؤكد دائما على ضرورة تحمل المسؤولية كلما تعلق الأمر بحرية الشعوب وحقها في تقرير المصير: «عدم الإحساس بالمسؤولية هو السبب في الفشل، فكل واحد ينتظر أن يبدأ غيره». وأضاف في مناسبة أخرى: «ليس في قضية الحرية حل وسط». فلنواصل مسيرة أسلافنا، ولنبادر بالنضال والمقاومة دون خوف ولا تردد، كل من موقعه وكل حسب ظروف بلاده، لنكون خير خلف لخير سلف.

إن المقاومة صامدة بعد عامين من انطلاق «طوفان الأقصى» ومن حرب الإبادة الصهيونية النازية والثابت أنها ستنتصر مهما بلغت وحشية المحتل الغاصب وشركائه الإمبرياليين الملتصق تاريخهم بدماء الشعوب، ومهما بلغت نذالة عملائهم من العرب المتصهين الذين يرون في الإمبريالي الصهيوني «المنقذ» من غضب شعوبهم الذي ينتظر لحظة الانفجار ومن حركة المقاومة التي لن يوقفها أي ظلام عن التقدم مهما كانت الصعوبات والتضحيات. «فلا كرامة دون ألم» كما قال الكاتب الفرنسي الشهير أندري مالرو (André MALRAUX 1901-1976) في روايته «الشرط الإنساني»، و«الخوف لا يمنع الموت ولكنه يمنع الحياة» كما قال نجيب محفوظ في رائعته: «أولاد حارتنا». و«الضربة اللي ما تقسمش الظهر تقويه» كما يقول المثل الشعبي التونسي.

وما من شك في أن المطلوب من الآن وهنا، شعوبا عربية وإسلامية ونخبا ثورية ووطنية، أن نهض بقوة من أجل وضع حد لحرب الإبادة في غزة الشهيذة، المقاومة كوقف العدوان على لبنان الأبي.

إنّ نهوضنا من شأنه أن يمنح الحركة العالميّة المناهضة للإمبريالية والصّهيونيّة في البلدان الغربيّة الكبرى نفسا جديدا لمزيد الضّغط على الحكومات المشاركة في العدوان.

إنّني واثق كلّ الوثوق بانتصار المقاومة في نهاية المطاف، ولكن علينا أن نهض بالقوّة اللاّزمة، ونتحمّل مسؤوليّتنا بالكامل للتّسريع بهذا الانتصار: «فمن لم يعانقه شوق الحياة\*\*\* تبخّر في جوّها واندثر»، كما قال شاعر تونس الثائر أبو القاسم الشابي.

وفي الختام...

ترجّل السيّد حسن نصر الله تاركا أثرا عظيما... وأنا على يقين من أنّ المقاومة ستستمرّ، وسيرتقي بها الذين سيخلفونه في القيادة وفي الميدان، مثلما ارتقى بها هو، إلى درجات؛ أعلى مستوعبين التّجربة السّابقة، ومضيفين إليها ما سيعدونه بذكائهم وخبرتهم حتى النّصر الكامل... وهو آتٍ لا ريب فيه...

فإلى الأمام يا أحفاد محمد عبد الكريم الخطّابي، فأنتم وإخوتكم في فلسطين تمثلون الأبطال الحقيقيّين... فالبطولة يصنعها الناس البسطاء الأقدر على إدراك معنى الكرامة الإنسانيّة.

هذه خواطر أردت أن أعبرّ من خلالها عن محبّتي وتقديري لشهيد المقاومة الأبّي، الكبير السيّد حسن نصر الله. تفرّقا الإيديولوجيا والقناعات وتجمعنا القضية: تحرير فلسطين من النّهر إلى البحر، وتحرير كامل الوطن العربيّ من الاستعمار والصّهيونيّة والرّجعيّة. وهذه القضية تحتلّ اليوم أعلى المراتب، وتراجع أمامها الخلافات الفكريّة والعقائديّة إلى مرتبة ثانية.



وقد أردت الربط بين حسن نصر الله ومحمد عبد الكريم الخطابي لإبراز «صلة الرحم» بينهما، وتأكيد العمق التاريخى لنضال شعوبنا فى العصر الحديث وتأثيره الأسمى... مع علم أن أحفاد الخطابي، أبطال حراك الريف لسنة 2016، وعلى رأسهم ناصر الزفازى، يقعون منذ سنوات فى سجن النظام المخزنى المغربى المطبوع مع الكيان النازى؛ وقد حكم عليهم بالسجن لمدة 20 سنة نافذة...

وداعاً سيّة الشهداء

ولك، ولكلّ الشهداء الأبرار، الظود إلى أبد الأبدىين...

”إِنَّ ذَا عَصْرٍ ظُلْمَةٌ غَيْرُ أَنَّى \* مِنْ وَرَاءِ الظَّلامِ شِمْتُ صَبَاحَهُ“

مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

## الزعيم الشهيد حسن نصر الله

نبراس العالمين وإمام الثائرين

زهير حمدي

الأمين العام للتيار السبعي

يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: الآية 39).

للخرافات والتوثيق والسيرة العظيمة

يحتاج المرء إلى جرأة كبيرة فكرية وسياسية ليكتب عن الشهيد الزعيم حسن نصر الله، فالسيد اجتاز حدود كونه قائدا لفصيل مقاومة في الوطن العربي، واجتاز حدود كونه سياسيا كبيرا في المنطقة، واجتاز كونه زعيما سياسيا وروحيا لطائفة أو حتى شعب من شعوب الإقليم إلى كونه زعيما قوميا للأمة العربية وزعيما أمميا، فقد تحول من زعيم وطني لبناني ليندغم في حركة التحرر العربية ويصبح قائدها والمعبر عن آمال وتطلعات جماهيرها.

## الزعيم الشهير حسن نصر الله نبراس العالمين وإمام الثائرين

ومنذ استشهاد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر لم يصل قائد سياسي إلى ما وصل إليه السيد حسن نصر الله ولم يدوي صوت ملهم ملهب مثل ما دوى صوت السيد.

سماحة الشهيد القائد سيد شهداء المقاومة على طريق القدس كان بالنسبة إلينا ولكل أحرار أمتنا العربية الذين أعيتهم الخيبات والنكسات بمثابة قنديل زيت يضيء لنا الدروب، فقد كنت جبلا من الكبرياء نفض عنا غبار الهزائم حين حققت تحرير أرض عربية عنوة وبالقوة فوق برك من الدماء وتحت أفق مشتعل من نار سنة 2000، وأنت من سافر فينا إلى المستحيل في ملحمة 2006 وعلمنا من جديد النصر والكبرياء.

ارتقى فارس العروبة وبطل مقاومتها، إرتقى بعد عقود من المقاومة كان فيها بصوته وعنفوانه الملاذ لنا من ليل النظام الرسمي العربي الحالك، إرتقى بعد عقود من الصمود كان فيها نبراسا الحالمين وإماما للثائرين.

سماحة الشهيد القائد لا يحتاج رثاء ولا رفاقه الشهداء القادة فهم الخالدون أحياء يرزقون يعيشون معنا نهجا ومنهاجا، فصوته مستمر صده من المحيط الى الخليج ومن نواقشوط إلى جاكارتا ومن أمريكا اللاتينية الى افريقيا ملء حناجر الثائرين.

ونقول لك ما قال الشاعر محمود درويش للشهيد جمال عبد الناصر:

نرى صوتك الآن ملء الحناجر

زوابع تلو زوابع

نرى صدرك الآن متراس نائر

ولافتة للشوارع

نراك طويلا كسنبلة في الصعيد

جميلا كمصنع صهر الحديد

وحرا كنافذة في قطار بعيد.

إنّ الشهداء هم لهم وجوه واحدة والمعارك هي المعارك والشعار الخالد « نحن لا نستسلم ننتصر أو نموت » للشهيد عمر المختار (1858-1931) وهو نفسه ما قاله سماحة الشهيد حسن نصر الله: « نحن لا نهزم، عندما ننتصر ننتصر وعندما نرتقى ننتصر ».

ارتقى الشهيد الخالد حسن نصر الله بعد عقود من النزال ضدّ العدو الصهيوني ورعاته وعملائه خاضها بشعار بلا خوف وبلا تردد وبلا رجوع عن هدف معلوم هو تحرير فلسطين من النهر الى البحر ومن الجنوب الى الجنوب، برغم كل الإغراءات والتهديدات وبرغم خيانات النظام الرسمي العربي حيث تركوه يقاتل وحده ويودع أحبائه الشهداء وحده ولكنه لم يتخلى عن فلسطين ولم يكفر بعروبه ولا بإسلامه ولم يتخلى عن حلمنا وحلمه.



سيد شهداء طريق القدس، درة تاج شهداء محور المقاومة لو لم يكن له إلا موقفه الأخير في خطابه الأخير حين رفض التخلي عن غزة وعن فلسطين لكفاه بأن تكون بطلا خالدا في تاريخ أمتنا والإنسانية.

كرم الله ورضوانه على الشهيد حسن نصر الله أن ارتقى في معركة تحرير فلسطين وكرم الله ورضوانه عليه وكرمه على أمتنا أن استشهد حسن نصر الله مع رفاقه القادة في محور المقاومة حيث اختلط دم الفلسطيني بالبناني بالسوري باليميني والعراقي والإيراني، قدمه ودم رفاقه في محور المقاومة لا فقط كرس وحدة الساحات وإنما أعاد لأمتنا وحدتها بعد أن كادوا أن يسقطوها طوائف وقبائل تائهة في الصحراء.

دم حسن نصر الله مع قادة الحرس الثوري الإيراني ودم الشهيد اسماعيل هنية في طهران كان طوفانا جرف كل الأدران التي علقت بشعبونا وبوعيتها لسنوات طويلة، إنه فضل الله ونصره .

إنّها معركة الحق كله ضد الظلم كله فطوبى لمن ارتقى فيها شهيدا، إنّه معركة الإنسانية ضد الهمجية والتوحش، إن أمتنا على موعد مع القدر والتاريخ لخوض معركة المقهورين في العالم، فالكيان الصهيوني ما هو إلا كلب حراسة لمصالح الطغمة الحاكمة للغرب الإمبريالي التي تدمر الإنسانية جمعاء، حيث يجرى اقتلاع ملايين الناس لا في غزة والضفة وجنوب لبنان من خلال العصابة النازية الصهيونية وإنما تتحرك آلة التوحش في كل أنحاء العالم وبطرق مختلفة لتقتلع الملايين من أرياف العالم الثالث وتحوّلهم إما إلى لاجئين أو نازحين أو إلى «عبيد»، إن الطغمة الإرهابية الحاكمة في

الغرب قامت بعملية مأسسة للإجرام وما يسمى بإسرائيل ما هي إلا مؤسسة اجرامية عسكرية نازية تخدم مصالح هذه الطغمة.

لذلك فإنَّ حسن نصر الله ورفاقه الشهداء هم شهداء لكل المضطهدين ولكل الفقراء في العالم بل هم شهداء الإنسانية ضد البربرية والتوحش هم شهداء الواجب الإنساني لا فقط تجاه فلسطين والأمة العربية والإسلامية هم شهداء الواجب تجاه البشرية التي تعيش مرحلة حرجة من تاريخها.



فقد وصلت الانسانية الآن إلى مفترق طرق حيث تقترب دائرة الهيمنة والتوحش الرأسمالي من الانغلاق على نفسها، عبر التمدد من السياسة والاقتصاد والثقافة إلى البيولوجيا والبيو تكنولوجيا، الأمر الذي يهدد بالانفصال النهائي للحضارة الميكانيكية المادية عن مسائل القيم والروح، لذلك وصل الأمر الى ما نراه اليوم من ابادة أمام مرآى ومسمع العالم.

إنَّ سماحة الشهيد حسن نصر الله ورفاقه الشهداء في محور المقاومة ارتقوا في مواجهة الحلف الأطلسي كأكبر مؤسسات الاجرام للطغمة الرأسمالية؛ فالعصابة الصهيونية أصغر من أن تواجه محور المقاومة وقادته الأبطال.

لقد نجح بامتياز في أن يكون زعيما قوميا مدركا للمهام الرئيسية لحركة التحرر العربية المتمثلة في مواجهة الرجعية العربية الركيزة الأساسية للتبعية السياسية والنهب الاقتصادي والتخلف الثقافي، وهزيمتها هي المقدمة لهزيمة المشروع الصهيوني وسحقه نهائيا

حتى نتخلص من القاعدة الرئيسية للاستعمار والهيمنة ونستعيد دورنا ومركزنا في بناء الحضارة الإنسانيّة.

إنّ الزعماء الكبار في التاريخ هم الذين قادوا شعوبهم وأمهم في مراحل من معارك التحرر الوطني، والسيد تجاوز مرحلة قيادة المقاومة الى مرحلة قيادة التحرر الوطني، فهو ربط في كفاحه الطويل وفي كثير من خطابه بين الاستقلال والسيادة والديمقراطية كنظام سياسي اجتماعي، وبين التنمية الاقتصادية، مؤكداً على أن السيادة تفتح آفاق الديمقراطية السلمية والتنمية الشاملة والعادلة. أما التبعية فتغلق كل أبواب التقدم وحتى وان حصلت طفرة مالية في دولة تحت الهيمنة فهي ليست الا مجرد تراكم ثروة عند طغمة حاكمة والدولة ليست الا مجال مضاربة وترفيه لدى الأوليغارشيا الوقحة المتحكمة في الاقتصاد العالمي.

ان الزعيم حسن نصر الله الذي بدأ من بيئته الاجتماعية في جنوب لبنان فخرج بها من سياق المظلومية باعتبارها البيئة الأكثر فقراً في لبنان والأكثر حرماناً سياسياً الى قلب التغيير الثوري السياسي والاجتماعي وحولها من الهامش الى قلب المعادلة الوطنية اللبنانية، حيث تحولت الى طليعة حركة التحرير والمقاومة الوطنية، وحول حزب الله من فصيل مقاومة الى محور كامل تجاوز حدود الوطن العربي الى ايران ليتحول السيد الى قيادة سياسية بالغة التأثير لمحور المقاومة، وتجاوز تأثيره العالم الإسلامي الى العالم بأسره فتحول الى أيقونة أممية تضاهي في حضورها قيادات حركات التحرر الانسانية الكبرى في التاريخ المعاصر.

لقد تجاوز الزعيم القومي والأممي الشهيد حسن نصر الله منطق الجماعات الاسلامية الاخوانية والسلفية من كل المذاهب والمدارس على أساس أن المواجهة هي بين دار الكفر ودار الاسلام أو الايمان، وانما على أساس أنه صراع تناحري بين الشعوب المضطهدة والاستعمار.

وبرع الشهيد في التعبئة الثورية من خلال خطاب ديني لا بوصفه مجرد عقيدة وشريعة بل بوصفه نهج تحرر وطني وقومي وانساني ضد الظلم والاستغلال والهيمنة مثاله في ذلك حسين بن علي ثائرا وشهيدا.

إنّ الشهيد حسن نصر الله هو زعيم مكتمل وطنيا وقوميا وأمميا وضع القيم والمبادئ السامية لأمتة وللإنسانية الحرة موضع التنفيذ وقد نال الحسنين، النصر والشهادة.

لقد حقق انتصارات خالدة في الميدان على أعداء وطنه وأمتة والإنسانية، وقارع لعقود طويلة كل قوى البغي والطغيان والفاشية في العالم على رأسها الكيان الصهيوني النازي والولايات المتحدة الامريكية كأكبر قوة استعمارية في التاريخ وكل أدواتهم الرجعية أنظمة ومجاميع إرهابية تكفيرية.

إنّ السيد الشهيد هو درّة التاج في ثوار هذه الحقبة من تاريخ الأمة العربية، والزعيم الذي حجز مكانه بين كبار زعماء التحرر القومي والإنساني، وأكد بنضاله واستشهاده ان التاريخ يكتبه الحالمون الذين يأخذون على عاتقهم مقاومة الظالمين مهما كانت قوتهم دون تردد أو مخاتلة.



إن الذين يقاتلون يحق لهم أن يأملوا في النصر، أما الذين لا يقاتلون فلا ينتظرون شيئاً سوى القتل، فأبناء الشهيد خالد حسن نصر الله على طول محاور المواجهة يسطرون أروع الملاحم وفاء لقائدهم ومعلمهم ودفاعاً عن الأرض والعرض والإنسانية فثقوا بأن نصر الله قريب وأن الدماء الزكية جعلت طريق القدس سالكة نحو التحرير الكامل والعودة.

فقد قال الحق سبحانه وتعالى في كتابه المبين ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ\* وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: الآيات 5-6).

صدق الله العظيم.

مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

## شكرا سماحة السيد إنا على العهد يا نصر الله...

هسام عجبوني  
ناشط سياسي

ونحن نحيي الذكرى الأولى لاستشهاد سماحة السيد حسن نصر الله على طريق القدس، تغمرني مشاعر متناقضة بين الحزن على فقدان شخصية قيادية استثنائية، صنعت التاريخ وتجاوز إشعاعها لبنان.

وبين الارتياح لكونه حقق حلمه بالاستشهاد من أجل القضية الأم، فلسطين، في الوقت الذي يشهد فيها العالم العربي والإسلامي انحطاطا وانبطاحا غير مسبوقين في تاريخه، وحيث تُطلق فيه الإدارة الأمريكية يد قاعدتها المتقدمة، الكيان الصهيوني النازي البغيض، لارتكاب أشنع جرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقي والعقاب الجماعي في تاريخ البشرية الحديث، وذلك بتواطؤ بعض الأنظمة العربية والإسلامية العميلة والمتصهينة.

لقد كان سماحة السيد يقول لنا: «إن أقصى ما يملكه عدونا هو أن يقتلنا، وإن أقصى ما يمكن أن نتطلع إليه هو أن نُقتل في سبيل الله عزّ وجلّ». وقد تحقّق له ذلك بعد مسيرة حافلة بالانتصارات والإنجازات لصالح فكرة وثقافة المقاومة.

لقد ملأ سماحة السيد الدنيا وشغل الناس طيلة عقود، وذلك منذ توليه الأمانة العامة لحزب الله بعد اغتيال السيد عباس الموسوي في سنة 1992، حيث شهد حزب الله تحت قيادته تحولاّ استراتيجيا كبيرا، بنجاحه في الدمج بين المقاومة العسكرية والعمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإعلامي، وأصبح قوة مؤثرة في لبنان والمنطقة.

وقاد الحزب نحو تحول نوعي في بنيته وفكره وتنظيمه ومؤسساته، وجعل من المقاومة مدرسة ونموذجا تستلهم منها شعوب المنطقة والعالم، وكان تأثيره واضحا على المقاومة الفلسطينية واليمينية على سبيل المثال.

كانت كلّ مخططات الحلف الصهيوني-أمريكي في المنطقة تهدف إلى شيء واحد، وهو كسر ثقافة المقاومة، لأنّها تمثل آخر حصن ضد الهيمنة الغربية المطلقة على المنطقة وخيراتها وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ولكنهم اصطدموا برجال مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، كما تقول الآية الكريمة.

وكان حسن نصر الله طيلة عقود العنوان الأبرز لثقافة المقاومة في المنطقة ولذلك سخّروا كل إمكانياتهم وإمكانيات حلفائهم في المنطقة من الدول العربية-العبرية لاستهداف مشروعه وتشويهه وكسره.

هذه الأنظمة العربية المتواطئة والعميلة تجهل أو تتجاهل أنه لو ينجح الحلف الصهيوني-أمريكي في القضاء على المقاومة في المنطقة، لا قدر الله، سيأتي الدور عليها كلها.

وتأكد ذلك مؤخرًا من خلال تصريحات مجرم العصابة الصهيونية تنيهاهو الذي تجرّأ على الحديث عن إسرائيل الكبرى، وهو تهديد صريح لكل دول المنطقة، بما فيها التي قامت بالتطبيع مع العدو.

لذا، فأنا أعتبر أنه كان أهم شخصية عربية وإسلامية في العصر الحديث، ليس بسبب انتماؤه العقائدي، ولكن بسبب المشروع التحرري المقاوم الذي وضع ركائزه مع ثلّة من رفاقه، وقارع من خلاله أعظم قوّة في العالم، الولايات المتحدة، ونجح في خلق توازن ردع ورعب مع قاعدتها المتقدّمة في الشرق الأوسط، الكيان الصهيوني. وهو ما عجزت عنه كل الدول العربية والإسلامية مجتمعة، بأموالها ونفطها وأسلحتها المتكدّسة في الثكنات، والموجهة أساسًا ضد شعوبها ولحماية أنظمتها العميلة والمتهالكة.

هو يشكل إذن، حالة قيادية فريدة ومتفردة في التاريخ السياسي للعالم العربي والإسلامي، حيث استطاع أن يحوّل مقاومة محلية في بلد صغير، كانوا يقولون إنّ قوّته في ضعفه، إلى رقم صعب في المعادلة الإقليمية وحتى الدولية. بل أصبح تنظيم حزب الله نموذجًا ومرجعًا في الحروب غير النظامية، ودفع عديد الدول إلى دراسة هذه التجربة ومراجعة عقيدتهم واستراتيجياتهم العسكرية.

لقد نجح أساسًا في وضع أسس استراتيجية كّي الوعي والتحوّل من العقلية الانهزامية والاستسلامية الذي حاول الصهاينة بقوتهم الإعلامية



زرعها في أذهان شعوبنا العربية والإسلامية إلى العقلية الانتصارية، وأسقط سرديات العدو المتعلقة بالجيش الذي لا يُقهر، وإسرائيل الآمنة على كل شبر من أراضيها المحتلة، وأصبحت عباراته الشهيرة: «إسرائيل أو هن من بيت العنكبوت»، و«ولّى زمن الهزائم»، و«حيفا وما بعد حيفا وما بعد حيفا»، و«نحن قوم لا نُهزم»؛ عناوين لمرحلة كاملة ولتحول كبير في تاريخ الصراع مع العدو. ونجح من خلال الخطاب السياسي والإعلامي أن يبنى حالة شعبية مساندة لخيار المقاومة عابرة للحدود والأديان والأطياف.

في بداية الأمر، كنت منبهاً بحرية التعبير والتعددية الموجودة في لبنان، ومتابعاً للمشهد السياسي في هذا البلد الشقيق، خاصة بعد انتشار القنوات الفضائية العربية، إلى أن لفت انتباهي في منتصف التسعينيات الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله بصدقه وفصاحته وشجاعته ووضوحه وذكائه التواصلي وخطابه المقاوم. ومنذ خطاب النصر الشهير ببنت جيل، بعد تحرير الجنوب اللبناني في سنة 2000، أصبحت متابعاً وفيّاً لكل خطابه ولقاءاته الإعلامية، ولا أتخلف عن أيّ منها.

فبعد عقود من الهزائم المذلّة، شهدنا مع سماحة السيد انتصار تحرير الجنوب في سنة 2000، وكان أول انسحاب إسرائيلي من أرض عربية محتلة دون قيد أو شرط. وبعد سنوات عديدة من الاستنزاف الذي كلف العدو خسائر كبيرة تفوق مكاسب احتلاله. لم تكن المقاومة اللبنانية تملك الطائرات ولا الدبابات، لكنها امتلكت الإرادة والعزيمة والعقيدة. هذا الانسحاب الصهيوني، دون مفاوضات، لم يكن ذلك نصراً لحزب الله فقط، بل نصراً لنهج وفكرة وثقافة المقاومة.

وبعد شهادنا انتصار حرب تموز في سنة 2006، وذلك بعد 33 يوماً من الحرب فاجأ فيها حزب الله العدو الصهيوني والعالم بتطور قدراته وتكتيكاته القتالية والعسكرية. فقد اعتُبرت هذه الحرب نقطة تحول في موازين القوى، إذ فشلت إسرائيل فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها، وخرج السيد حسن نصر الله من الحرب رمزاً للمقاومة والانتصار في نظر الكثيرين.

بعد انطلاق الربيع العربي من تونس، شهدنا كذلك تدخل حزب الله في الحرب السورية إلى جانب النظام السوري، انطلاقاً من قناعته بأن سقوط دمشق يعني سقوط خط المقاومة من طهران إلى بيروت. وكان ذلك من أبرز المحطات المثيرة للجدل في تاريخ حزب الله. برّر السيد حسن نصر الله ذلك بأنه دفاع عن ظهر المقاومة، وعن سوريا التي دعمت المقاومة اللبنانية لعقود. وتحمل الحزب الكلفة السياسية والشعبية لهذا القرار. وأعتقد أن هذا التدخل في سوريا هو الذي تسبب في اختراقه وكشف ظهره للعدو.

وأخيراً، شهدنا انطلاق حرب الإسناد التي انطلقت يوماً واحداً بعد عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023.

لم يكن بإمكان سماحة السيد ترك غزّة وحيدة والاكتفاء ببيانات التنديد والاستنكار العربية والإسلامية. فهو لم يكن يوماً ظاهرة صوتيةً بغيره. لذا، فقد قرّر المسارعة بإشغال الجيش الصهيوني على جبهته الشماليّة حتى لا يستفرد بغزّة.

كانت فلسطين في قلب ووجدان وخطابات السيد حسن نصر الله، ولم يتراجع عن مواقفه الداعمة للقضية الأمّ رغم كل الضغوطات.



وبقيت القدس حاضرة في خطابه والمقاومة الفلسطينية حليفة رغم اختلافهما في بعض التقديرات. وشهدنا في السنوات الأخيرة تصاعداً في التنسيق بين حزب الله والفصائل الفلسطينية، بل قام السيد حسن نصر الله بوساطات لرأب الصدع في العلاقات بين المقاومة الفلسطينية من جهة، وإيران والنظام السوري من جهة أخرى.

وكان ما كان، واستشهد السيد في غارة غادرة صبّ فيها العدو حوالي 80 طناً من القنابل «الأمريكية» الخارقة للتحصينات. 80 طناً ليس لاغتيال الشخص، بل لاغتيال الرمز، رمز المقاومة في العصر الحديث، وفي نفس الوقت انتقاماً من قائد انتصاري 2000 و 2006.

بعد النجاح في اغتيال سماحة السيد، خرج مجرم الحرب ناتانياهو وقال، أمام الإعلام، إن إسرائيل ليست أو هن من بيت العنكبوت. لم ينس الصهاينة تلك العبارة التي زلزلت كيانهم وسرديّاتهم منذ ماي 2020.

في أوّل الأمر، لم أصدّق عند سماع الخبر العاجل أن سماحة السيد يمكن أن يموت، وإلى يوم دفنه كان يراودني الأمل في أن يكون على قيد الحياة، وأن حزب الله أعلن عن استشهاده خداعاً للعدو. ألم نتعلّم منذ الصّغر أن الحرب خدعة؟ فلماذا لا يكون خبر استشهاده خدعة؟

ولكن في نهاية الأمر سلّمت باستشهاده، فسماحة السيد عودنا على صدقه ولا يمكن أن يخدع مناصريه، ويسوّق لهم خبراً غير صحيح بهذا الحجم.

والذي رحمه الله توفي منذ سنة 2001، ولكنني لم أشعر باليتم إلا بعد رحيل سماحة السيد. لقد نجح طيلة عقود في بناء علاقة وجدانية

مع مناصري المقاومة في كل أنحاء العالم ، فيها الكثير من الصدق والمصداقية والثقة في شخصه وأقواله وأفعاله وقراراته.

كنت أتساءل دائماً : ماذا لو كان لدينا حسن نصر الله في مصر، و حسن نصر الله في السعودية، و حسن نصر الله العراق، و حسن نصر الله في باقي دول الخليج؟ هل كان هذا الكيان الإرهابي اللقيط ليصمد ويتوسّع في منطقتنا منذ 1948؟ قطعاً لا، ولأنهيار المشروع الصهيوني الإحلالي من زمان.



العالم العربي والإسلامي، بخيراته ونفطه وأمواله وقوته البشرية، كان قادراً على مواجهة هذا الكيان اللقيط وطرده من المنطقة وإفشال مشروعه الاستيطاني الإحلالي، ولكنه لم يفعل لأن الإرادة السياسية لم تكن متوفرة، ولأنه وضع كل بيضه في سلّة المساند الأول للكيان الصهيوني، أي الإدارات الأمريكية المتعاقبة.

وكما قال الشاعر الكبير نزار قباني في قصيدته الشهيرة «هوامش على دفتر النكسة»:

«كان بوسع نفطنا الدّافق بالصّحاري

أن يستحيل خنجرا من لهبٍ و نارٍ...

لكنّه، واخجلة الأشراف من قريشٍ

واخجلة الأحرار من أوسٍ ومن نزارٍ

يُراق تحت أرجل الجوّاري...»

السيد حسن نصر الله بإمكانيات متواضعة ولكن بعقيدة وفكر استراتيجي وإيمان وتخطيط، وبدعم من إيران ومن بيئة المقاومة وحاضنتها في الداخل والخارج، نجح طيلة عقود في التصدي لمشاريع الحلف الصهيوني-أمريكي في المنطقة وتعطيل مخططاته.

و تحوّل بفضل ذلك إلى رمز عربي وإسلامي، تنتظر خطاباته الجماهير من المحيط إلى الخليج، لأنه تكلم بلغة الأمة والعزة والكرامة، في زمن الخنوع والذل والهزائم.

بعد استيعاب صدمة استشهاد سماحة السيد، وكذلك أغلب القادة التاريخيين لحزب الله، من هاشم صفي الدين إلى فؤاد شكر وإبراهيم عقيل ومحمد حسين سرور وعلي كركي ونبيل قاووق وغيرهم، كان لدي قلق كبير على مصير المقاومة وتماسكها، فهي تلقت ضربات مميتة. ولكن الأداء الميداني البطولي والخرافي الذي قدمته في الحرب البرية، وتواصل إطلاق الصواريخ والمسيرات على الكيان، ووصولها إلى غرفة نوم مجرم الحرب تانياهو، وعجز الجيش الصهيوني، بخمس فرق، عن التقدّم في الأراضي اللبنانية واحتلال أجزاء منها، أثبت أن سماحة السيد نجح في بناء مؤسسة صلبة لا تتأثر باستشهاد قادتها، وقادرة على مواصلة التصدي للعدو وإيلامه.

أحد أحلامي كان لقاء هذا الرجل العظيم الذي كان أثره مهما في حياتي والحديث إليه. استشهاد وأد هذا الحلم. ولكن عندما أعلن حزب الله عن تحديد تاريخ مراسم تشييع سماحة السيد، لم أتردّد للحظة في التفكير في المشاركة في هذا الحدث التاريخي، وفي إلقاء نظرة أخيرة على سيد الشهداء قبل أن يُورى جثمانه الطاهر الثرى. كانت رغبتي كبيرة جدا في ذلك.

هذا، كان أقل ما يمكن القيام به اعترافاً وشكراً على كل ما قدمه سماحة السيد في مسيرته النضالية ضد أشجع احتلال في التاريخ، وتضامنا مع المقاومة وبيئتها الحاضنة، وكذلك تحدياً للاحتلال الغاشم الذي تجاوز كل الخطوط الحمراء في همجيته وبربريته وإجرامه وإرهابه، وكذلك رسالة إلى بيئة المقاومة أنهم ليسوا وحدهم في هذه المحنة، وهذا الصراع، وأن الكثير من الشعوب والأحرار متعاطفن ومتضامنون معهم.

فسماحة السيد لم يكن ملكا لحزب الله ولبنان فقط، بل ملكا لكل جمهور المقاومة، ورحيله كان خسارة لنا جميعا.

بدون إطالة، سافرت إلى لبنان وتمكنت من تقديم واجب العزاء للسيد عبد الكريم نصر الله، والد سماحة السيد، وعائلته، وزرت روضة الشهداء، وقرأت الفاتحة على روح المقاومين الشهداء، وعلى رأسهم عماد مغنية ومصطفى بدر الدين وهاشم صفي الدين، وعرفت لاحقا أنني مررت حذو وديعة الجثمان الطاهر لسماحة السيد في زاوية غير معلنة من روضة الشهداء (لدواعي أمنية).

وأخيرا، تحققت الرغبة بفضل الله، وكنت حاضرا يوم 23 فيفري 2025، مع عديد التونسيين، في ملعب مدينة كميل شمعون، أين تمت مراسم تشييع سماحة السيد ورفيق دربه السيد هاشم صفي الدين.

كان يوما مهيبا وتاريخيا اختلطت فيه عديد المشاعر، وكان هنالك حشودا ضخمة في الطريق المؤدي إلى الملعب من عديد الجنسيات، لم يتمكن كلهم من دخول الملعب.



كان التنظيم محكم جدا داخل الملعب وخارجه، وسخر حزب الله كل إمكانياته ليبقي هذا اليوم مشهودا، وحتى يطلع العدو قبل الصديق على مكانة سماحة السيد في قلوب مناصريه.

ذلك الحضور الضخم كان رسالة تحدي للعدو الذي حلقت طائراته النفاثة مرتين على بعد عشرات الأمتار من رؤوسنا، وقابلها الحضور بشعارات: «لبيك يا نصر الله» و«هيهات منا الذلة»، و«إننا على العهد».

كانت مبايعة حيّة ومباشرة لفكر وروح وإرث سيد الشهداء، بعد أن ظن العدو أن اغتيال عقل المقاومة هو اغتيال لفكرة المقاومة.

بعد الانتهاء من إلقاء الكلمات والأشرطة الوثائقية وبعض الأشعار في رثاء سماحة السيد، حانت لحظة دخول نعشه ونعش رفيق دربه السيد هاشم صفي الدين.

على وقع موسيقى «نداء السماء» التي وقع تلحينها خصيصا لهذا الحدث التاريخي، دخل الموكب المهيب الذي كان يحمل النعوش، ويتصدره حارسه الشخصي أبو علي الذي كان يرافقه كظله، والتحق به منذ أشهر بعد اغتياله في العراق، ليقوم الحضور بتوديع سيد شهداء الأمة وإلقاء نظرة الوداع عليه.

في تلك اللحظة انطلق صوت السيد حسن نصر الله عبر مضخمات الصوت في تحيته الشهيرة التي ألقاها بعد انتصار تموز 2006:

«أيها الإخوة الكرام، يا أشرف الناس وأطهر الناس وأكرم الناس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أيتها الإخوة والأخوات، أنتم اليوم تدهشون العالم من جديد وتثبتون

بحق أنكم شعب عظيم وأنكم شعب أبيي وأنكم شعب وغبي وأنكم  
شعب شجاع،

السلام على شهدائكم، وعلى عوائل شهدائكم،

السلام على جرحاكم، وجراح جرحاكم النازفة،

السلام على أسراكم، دمائكم، السلام على دموعكم، السلام على  
أيامكم، السلام على أراملكم، السلام على بيوتكم المهذمة، السلام  
على أرزاقكم المحروقة، السلام على أرواحكم وإرادتكم الصلبة التي  
هي أصلب من جبال لبنان...»

وكانت تقاطع هذه الكلمة المسجّلة هتافات «لييك يا نصر الله!»

شعرت للحظة أنه مازال حيًّا، ويخاطبنا مباشرة بنبرته العالية والثابتة.  
ولم يتمالك أحد نفسه من البكاء من شدة التأثر. كانت لحظة عاطفية لا  
تُنسى وستبقى راسخة في أذهاننا ما حيينا.

ما أود الإشارة إليه أنني ذهبت إلى لبنان وكلّي قلق على وضع  
المقاومة ومعنويات حاضنتها الشعبية، بعد الضربات القوية التي تلقّتها،  
وفقدان سيد الشهداء والقيادات التاريخية للحزب، ولكن من خلال  
لقاءاتي مع بعض القيادات وأنصار المقاومة، وحتى ضحايا عملية  
البايجر الإرهابية، فهمت أن هذه المقاومة لن تُهزم، واطمئن قلبي  
عليها. وكما قال سماحة السيد «نحن لا نُهزم، عندما نتصّر نتصّر،  
وعندما نستشهد نتصّر».

ونحن نحيي في هذه الأيام الذكرى الأولى لاستشهاده يبقى السيد  
حسن نصر الله شخصية محورية في تاريخ المقاومة، ورمزًا للثبات في  
وجه الاحتلال والحلف الصهيوني-أمريكي.



ورغم كل الجدل السياسي والإعلامي الذي أحاط به طيلة مسيرته الجهادية والسياسية؛ يظل السيد واحدًا من القادة الذين تركوا أثرًا عميقًا في وجدان العرب والمسلمين في العصر الحديث، كعقل استراتيجي وسياسي وميداني في نفس الوقت.

قد يختلف البعض في تقييم الخيارات السياسية للسيد حسن نصر الله، وقد يُؤيده البعض حد التقديس، ويُعارضه آخرون حد العداء، لكن ما لا يمكن إنكاره هو أنه صنع زمنًا جديدًا في تاريخ المقاومة والصراع ضد الاحتلال. كان مؤثرًا وفعالًا وصانع قرار، وخصمًا نديًا لقوى كبرى، بل استطاع أن يرسم معادلات جديدة في الصراع العربي-الإسرائيلي، وأن يجعل من حزب الله قوة فاعلة على المستوى المحلي والإقليمي.

ولذلك، سيظل اسمه حاضرًا في الذاكرة، لا كزعيم طائفة، بل كرمز للمقاومة ولمرحلة تاريخية قادها بذكاء وفكر استراتيجي وشجاعة وثبات، وواجه عواصفها بذكاء وصدق.

وسيبقى بعد استشهاده حيا في قلوب ووجدان أنصار المقاومة في كل أنحاء العالم، وملهما لأجيال وأجيال من المقاومين ضد الاحتلال والظلم والاستكبار العالمي.

ففي زمن الزيف، تميّز بصدقه. وفي زمن الهرولة إلى التطبيع، بقي ثابتا على موقفه. وفي زمن الفتن والتفرقة، دعا دائما إلى وحدة الشعوب ضد الهيمنة الغربية والاحتلال الصهيوني لأراضينا.

**سببني السيد حسن نصر الله حيا في قلوبنا ووجداننا،  
لأن العظماء لا يموتون، بل ينيرون لنا الطريق، طريق العزة  
والكرامة والمقاومة.**

## يذهبون... وتبقى أنت رمزا للهزة وعنوانا للمقاومة وأملا للبشرية

عبد الصميد الرياضي  
رئيس تحرير هريدة السردف

لم يكن زعيما سياسيا فقط.. إذا تكلم أنصت العالم وحبس  
الكيان أنفاسه. **جمع إفريقية**  
لم يكن قائدا لمحور المقاومة فقط.. إذا تحرك قلب الموازين وإذا  
نصر كسر شوكة الصهاينة.

لم يكن رمزا فقط للإرادة المصممة وللحس النضالي الصافي..  
لم يكن قائدا لبنانيا عربيا مسكونا بهموم شعبه وأمتة فقط.. بل لقد  
كان صوتا للإنسان المسحوق، والإنسان الطامح للحرية حيثما وجد.  
حسن نصر الله كان كل هذا وأكثر.. ونزيد لنقول أنه أكبر من كل  
الكلمات.. وأكبر من كل المفردات والتعابير.. ومهما كتب ومهما قيل  
فإن المرء لا يفي الرجل حقه.. فلقد كان هرما شامخا يكيده الصهاينة  
والأعداء.. وكان جدارا صلبا تحتمي به الأمة في صراعها المرير مع

يزهبون... وتبقى أنت رمز العزة وعنوانا للمقاومة وأمالا للبشرية —

الطاغوت العالمي.. وكان قائدا فذاً متمكناً من كل خيوط وأدوات التفكير والتدبير ولتخطيط الجيد والخطوات المحسوبة.. ورجل بهذا الحجم لا يموت ورجل من هذه الطينة مكتوب له الخلود ومكتوب لسيرته البقاء لأنه متوغل فينا، يسري في دمائنا.. يذهب الآخرون ويركن الاعداء في مزابل التاريخ ويبقى هو متصدراً صفحات التاريخ الزاهية البهية التي تحفظ الزعماء والعظماء.. فلقد كان نصر الله زعيماً عظيماً ورجلاً قل أن يوجد الزمان بمثله..

حين اندلعت شرارة طوفان الأقصى مؤذنة بميلاد فجر جديد للأمة تصنعه المقاومة وتصنعه إرادة الرجال سارع إلى اقتناص اللحظة وإدراك أن هذه ساعة مدهامة بيت العنكبوت. لم يجبن ولم يغرق في الحسابات.. ولم يترك مقاومة غزّة وحيدة.. بل وضع يده على الزناد ونزل إلى الساحة يعطي للإسناد معناه، ويعطي للدعم مضامينه ويعطي للنصرة مفرداتها.. ومفرداتها مشتقة من اسمه.. فهو نصر من الله لرجال الله في غزة وفي الجنوب اللبناني الصامد والصابر..

تهاطلت عليه المغريات وتهاطل الوسطاء والمبعوثون يضعون بين أيديه مفاتيح لبنان وخزائن الدنيا ومستلزمات النعيم على أن يتراجع عن اسناد غزة ويركن إلى الفرجة كما فعلت أنظمة وجيوش جرارة.. لكنه أبان عن تصميم لا يدانيه وهن وإرادة لا يدانيها فتور.. وكان الجواب كل مرة: لا تراجع عن اسناد رجال الله في غزة ولا عودة لسكان المستعمرات إلى الجليل إلا بوقف العدوان على القطاع وبتوفير الأمن للبنان ولأهالي جنوب لبنان. وعندما يئس الأعداء وأيقنوا بخيبة الرجاء قرّروا استهدافه وجندوا كل مخابرات الدنيا لتتبع خطواته وتصيد أخباره إلى أن جاءت لحظة الفاجعة.. فاجعة لبنان والأمة والعالم في سيد

— يزهبون... وتبقى أنت رمزاً للعزة وعنواناً للمقاومة وأملاً للبشرية

المقاومين ليلتحق بالأصفياء الأتقياء في عليين.

رحيل حسن نصر الله ليس نهاية مشوار نضالي وليس خاتمة قصة مقاومة كتبها الصهاينة بمداد الغدر والمكر والخيانة والتواطؤ.. بل هو بداية مشوار جديد.. فنصر الله انسان وكل انسان كتب عليه الموت.. لكِنَّه رجل من طينة خاصة.. رجل يذهب جسده والجسد فإن بحكم الله ولكن تبقى روحه وتبقى إرادته ويبقى تصميمه وتبقى سيرته منارات تهدي الأجيال وتلهم المقاومين في هذه الأمة إلى أن ينبلج فجر الحرية وتعود القدس وتعود فلسطين كاملة كما حلم بذلك نصر الله..

**ذهب نصر الله لكنّه باق فينا، باق معنا، رمزاً للعزة وعنواناً للمقاومة وأملاً للبشرية جمعاء.**



مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر



مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

## رصيده بقية من كرامة عربية وجرعة مقاومة

نصر الله هيد المقاومة في حضرة الضياب ..

آسيا العروس  
كأنتبة وصحفية تونسية

بعد عام على اغتياله يبقى حسن نصر الله زعيم المقاومة اللبنانية حاضرا في الأذهان مسجلا حضوره بقوة في المشهد السياسي اللبناني وفي الذاكرة اللبنانية والعربية التي تستحضر رصيده النضالي ضد أفضع وأبشع أنواع الاحتلال المتبقي في عالمنا، وهو الاحتلال الإسرائيلي البغيض بكل جرائم الإبادة التي يقترفها الله...

والأكيد أنّ لنصر الله رصيذا استثنائيا جدير أن يسجّله التاريخ، فرصيده من العملة في أسواق الصرف والبنوك الإنسانية يتنوّع بين بقية من كرامة عربية لا تقبل المقايضة والابتزاز في زمن عزت فيه الكرامة العربية وجرعة مقاومة تأبى الاستسلام.. عاش حسن نصر الله سيّدا ورحل سيّدا ويكفي أن نذكر بأن ذراع كيان الاحتلال الإسرائيلي الإرهابي رصد لاغتياله أسرابا من المقاتلات وأطنانا من المتفجّرات والقنابل لأنّه يرى في وجود نصر الله وثقافة المقاومة التي يجسدها

رصيره بقية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الغياب . .

رسالة وجب وأدها وإجهاضها..

ملاحظتان أساسيتان نستحضرهما مع حلول الذكرى الأولى لاغتيال زعيم المقاومة اللبنانية حسن نصر الله وأولها أنه وجب الاعتراف كم هو صعب الحديث عن زعيم وقائد بحجم حسن نصر الله في الماضي والإقرار بتداعيات خطر الفراغ الذي خلفه اغتياله على المشهد في لبنان وفي المنطقة. وأما الثانية وهي ليست بمعزل عن الأولى كم هو مؤلم وثقيل على النفوس والأقلام والكلمات غياب السيد الشهيد الذي صمد وارتقى وهو يقود المقاومة اللبنانية طوال أكثر من ثلاثة عقود ويواجه خصومه وأعداءه بشجاعة نادرة وكبرياء استثنائي في زمن الخنوع الخضوع والهوان العربي غير المسبوق. كل ذلك قبل أن تمتد إليه ذراع الإرهاب والغدر لكيان الاحتلال الإسرائيلي ...

مع حلول الذكرى الأولى لاغتيال الزعيم اللبناني والقائد العربي حسن نصر الله نستحضر ما قاله ذات يوم الإعلامي المصري حمدي قنديل « لو كانت المقاومة إرهابية ولو كان حزب الله إرهابيا، ولو كان السيد حسن نصر الله إرهابيا.. فاعتبروني من اليوم إرهابيا»، مضيفا أنّ السيد نصر الله -ليس بالنسبة له زعيما فقط، إنّما: «الزعيم» بالألف لام والفراس في زمن الانكسار...».

وفي استحضار هذا الكلام إشارة إلى ما يجري من محاولات لفرض نظام عالمي يتنكر لمبادئ القانون الدولي والقيم والمبادئ المشتركة التي اجمعت حولها كل شعوب العالم بعد أهوال الحرب العالمية الأولى. والثانية وهي محاولات لم تعد تخفي على ملاحظ مع مساعي صناع القرار إلى تطويع العدالة الدولية وقلب المفاهيم والمصطلحات وملاحقة كل من ينكر أو يشكك في المحرقة اليهودية

رصيره بنية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الغياب ..

ومن ينتقد سياسة الاحتلال أو من ينشر صور وفيديوهات عن طوفان الأقصى، بل واعتبار كلّ مناضل أو مدافع عن الحقّ والحرية والسيادة عدوًّا للسامية، وكل من يتوخّى المقاومة رفضاً للاحتلال العسكري الأجنبي والظلم إرهابياً يتعيّن اغتياله دون محاكمة. وهذا ما حصل مع المقاومة اللبنانية والفلسطينية.. وهذه فلسفة النظام الجديد الذي يريد كيان الاحتلال فرضه على الجميع فيستحوذ على الأرض، ويطرده أصحابها ويلغي حقهم في المقاومة...

بعيدا عن تأليه نصر الله أو إضفاء صفة الأسطورة عليه، يمكن القول إنّ فيما تعيش على وقعه الساحة السياسية والأمنية اللبنانية مع تواصل المزيدات والابتزازات، وتواتر زيارات أصحاب الصفقات لدفع حزب الله للتنازل عن سلاحه والقبول بالهيمنة الإسرائيلية على لبنان والمنطقة، يؤكد اليوم مخاطر وتداعيات غياب نصر الله الذي كان وجوده بمثابة حصن أمام الاحتلال ورادع لأطماعه.. ندرك جيّدا أنّ الزعامات ترحل، وأنّ الشعوب والأوطان باقية، ولكن تبقى ثقافة المقاومة؛ السلاح الذي لا يمكن التفريط فيه ..

### أولا: غياب نصر الله ومستقبل المقاومة

ولاشكّ أنّ في تكرار اعتداءات كيان الاحتلال الإسرائيلي ومعه محاولات اقتلاع أنياب المقاومة يدفع جدبًا للتساؤل حول مستقبل المقاومة بعد نصرالله، ومدى تعافي وتماسك وقدرة حزب الله بعد كلّ الخسائر التي تكبّدها في قياداته ورموزها وقدراته -مع تراجع التأثير الإيراني وسقوط النظام السوري- ليحلّ محله في دمشق نظام الجولاني سليل القاعدة وداعش بدعم من الغرب .. ولكن أيضا -وهنا موطن الداء- مدى استخلاص المقاومة دروس المرحلة الأخيرة،



رصيره بقیة من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الفیاب . .

وكيفية تجاوز اهتزازات الزلزال الذي أدى إلى اغتيال نصر الله في مقر القيادة الذي كان يفترض أنه محصن وغير قابل للاختراق .. لسنا نريد قلب المواجه وسكب الملح على الجراح، ولكن الأکید أن لغياب الردع دورَه في امتداد وتوسّع جرائم الاحتلال والاعتداء المتكرّر على سيادة وأمن ووحدة لبنان المستباح ..

كثيرة هي الأسباب التي جعلت نصر الله عنواناً لزعامة عابرة للحدود، زعامة خارج قصور السلطة فكان طوال أكثر من ثلاثة عقود قائداً ورمزاً في زمن غابت فيه الزعامة والجرأة، وقد جمع صاحب العباءة السوداء بين الوقار ورفعة المقام؛ فكان خطيباً بارعاً يستقطب الأسماع، وكان للكنته المميّزة في نطق حرف الراء خصوصية جعلت حضوره مؤثراً في مختلف مداخلته الإعلامية التي كان يستعد لها جيداً لتبليغ رسائله .. أتقن نصر الله فنّ التواصل عبر الخطابات، وكان تلقائياً أمام الكاميرا، وإذا أعلن عن موعد خطاب له استنفر أعداءه قبل أنصاره للاستماع لما سيقوله. فقد كان نصر الله غير كلّ زعامات زمانه، فقد كان من طينة القادة الذين إذا تكلموا أقنعوا فأنصت لهم العالم، وإذا وعدوا نفذوا وإذا قالوا صدقوا ... والأهم أنه إذا أخطأ لم يكابر ولم يتمسك بالخطأ بل اعترف بذلك ولم يتردد في الاعتذار.

فقد خبر أن ذلك من شيم الزعامات ... بعد هجمات البيجر والاسلحي التي أقدم عليها الاحتلال لم يتردد نصر الله في الإقرار بتفوق العدو تكنولوجيا وعسكرياً، ووجّه دعوة للجميع في لبنان بتوخي الحذر ولكن ربما لم يدرك نصر الله أنه الهدف المطلوب، ولم يتوقع أن يحظى الاحتلال بالضوء الأخضر الأمريكي لاستهداف -تباعاً- قلب طهران ورثة بيروت ..

رصيره بنية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الغياب ..

لا خلاف أنّ سيرة نصر الله تحتاج أن تدوّن وأن تظلّ راسخة في الأذهان لتؤكد أنّ ثقافة المقاومة والاستعداد للتضحية مترادفان لا ينفصلان، وأنّه -رغم القتامة والهزائم والخيانات والتواطؤ- هناك قلة يختزل حضورها معاني الإرادة والزعامات وبين هؤلاء السيد حسن نصر الله الذي تحوّل إلى رمز لدى أنصاره في العالم العربي، أو هذا على الأقلّ ما حملته رسائله منذ تحمل قاد المقاومة بعد اغتيال سلفه عباس موسوي من قبل كيان الاحتلال في فيفري 1992. والأكيد أن منتقديه ومناوئيه وأعدائه يحترمون فيه هذه الخصال ويهابونه ويقرون له في قرارة أنفسهم بقيمة شخصية نصر الله الاستثنائية..



ومن هذا المنطلق فإنّ غياب السيد عن المشهد في هذه المرحلة سيكون له تداعياته في لبنان كما على نصير مختلف حركات المقاومة الإسلامية وأولها الحركات الفلسطينية المحاصرة في غزة والتي فقدت باغتياله رمزا سياسيا ودينيا حيث نجح نصر الله في جمع أكثر من صفة لا كقائد عسكري فقط، ولكن أيضا كزعيم سياسي وديني ورمز ثقافي له من الجاذبية والكاريزما ما جعله قادرا على التأثير واستقطاب الأجيال طوال ثلاثة عقود بما اكتسبه من زعامات وقدرة على رد العدوان الاسرائيلي بعد أن أصبح عنوان المحور الذي يقود الممانعة ..

تداعيات اغتيال نصر الله زعيم المقاومة اللبنانية كقوة ردع واستقرار في منطقة تواجه مخاطر تمدد الاحتلال الاسرائيلي واضعاف مختلف دول المنطقة بدأ يتضح مع خروج مخططات استهداف سلاح حزب الله الى العلن مقابل تضخم سلاح وقدرات كيان الاحتلال العسكرية ليحقق له التفوق على الجميع ..

رضيره بقية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الفياب . .

سيكون من غير الصواب الاعتقاد أنّ الشيعة وحدهم اجتمعوا حول نصرالله وأن غيرهم من الطوائف اللبنانية وضعت بينها وبينه حاجز عازل، بل الحقيقة أنّ السنة كما شريحة واسعة من المسيحيين وغيرهم من الطوائف في لبنان وخارج لبنان وجدوا في نصر الله الزعيم السياسي قبل الدّيني الذي يستقطب العقول معتمدا في ذلك على رصيد من عملة نادرة غير قابلة للصرف في البنوك العالمية وهي عملة أساسها الكرامة الانسانية التي سقطت من قاموس الأنظمة والحكومات العربية التي استثمرت في قدراتها وجيوشها للاستقواء على شعوبها وترويضها وفشلت في استثمار جهودها المشتركة لضمان سيادة الاوطان وكرامة مواطنيها وحرّيتهم. لم يكن نصر الله رجل فتاوى يروج لمنافع بول البعير ومفاخذة الرضع، بل كان زعيما وقائدا ميدانيا وسياسيا، إذا نطق كان أعداؤه وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية قبل أنصاره وحلفاءه أول من يستنفر للإنصات إليه وفك شيفرة تصريحاته و رسائله ..

لا خلاف أنّ سيرة زعيم حزب الله حسن نصر الله لم تكتب بعد وهي تنتظر من سيدونها ويرسمها ويحفظ خطوطها ورسائلها لأجيال الحاضر والمستقبل التي ستدرك حتما أنّ معركة السيادة والكرامة متوقّفة، وأنّ هناك حاجة لجرعة جديدة من يقظة الضمير الإنساني والعالمية وجرعة إضافية من الإرادة والوحدة العربية والإسلامية المغيبة لإنقاذ بقية من قطرات ماء الوجه المشخن بطعون الغدر وجروح الانقسامات والفتن ..

حشود مليونية حضرت لوداع الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، وفي أكثر من عاصمة عربية أقيمت له جنازات رمزية مشهد غير مسبوق منذ رحيل عبد الناصر، فما الذي يرفع زعيم المقاومة اللبنانية

رصيره بنية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الغياب ..

إلى هذا المقام؟ وما الذي يجعل السني والشيوعي واللاّديني والمسيحي يقف احتراماً لهذا الرجل الذي دخل كلّ البيوت عبر الشاشات، وانتظر خطاباته أعداءه من تل أبيب إلى واشنطن قبل أنصاره ومؤيديه..

نرجح أنّ العملية الغادرة التي استهدفت نصر الله قبل عام وغيبته عن المشهد فرضت هذا الوداع المهيب الذي شارك فيه من اتفق أو اختلف مع نصر الله وحزب الله ذلك أنّ جرائم الاحتلال وانتهاكاته وغطرسته تبقى مرفوضة لدى كل من امن بحق الشعوب ومنها الشعب اللبناني في المقاومة. ومن هنا أيضاً هذا الحضور احتراماً له واعترافاً وعرفاناً بدور المقاومة في ردع الاحتلال، وهنا مربط الفرس ومحور السؤال الذي يجب أن يطرح بكلّ جرأة لتحديد موقع ودور المقاومة مستقبلاً ومصير سلاح حزب الله بعد نصر الله في خضمّ التحوّلات الحاصلة في المنطقة بعد سقوط نظام الأسد والضربات المتتالية التي استهدفت إيران وأضعفت موقفها وحضورها وتواتر التهديدات مع عودة ترامب إلى السلطة..

مسألان مثيرتان رافقتنا جنازة نصر الله المهيبة التي انتظمت بعد خمسة أشهر على اغتياله، وليس من الواضح كلّ أسباب التأخير، والحال أنّ القاعدة في الإسلام تقول بإكرام الميّت وإكرام الميّت التعجيل بدفنه.. أما الأولى فتتعلّق بالاستفزاز الذي أقدم عليه طيران الاحتلال الحربي بالتحليق فوق العاصمة اللبنانية خلال الجنازة ولسان حاله يردّد أنّ لا شيء يمنع من تكرار جرائمه في حقّ القيادات اللبنانية أو غيرها ممن تعيش على أرض لبنان. وأما المسألة الثانية فتتعلّق بما نشره كيان الاحتلال من وثائق لأوّل مرة عن جريمة اغتيال نصر الله، وفي فيديو تمّ تداوله. كتب الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، أفيخاي أدرعي، في



رصيره بقیة من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الفیاب . .

منشور على «إكس» أن الجيش - ومن خلال عدّة غارات متزامنة اغتال نصر الله، كما اغتال قيادات أخرى بينها علي كركي قائد جبهة الجنوب في حزب الله وخليفته المحتمل صفی الدین هاشمی داخل مقر القيادة الكامن تحت الأرض في إطار ما وصفه كيان الاحتلال بـ «عملية النظام الجديد» في إشارة إلى الشرق الأوسط الجديد الذي يتم الترويج له منذ إدارة الرئيس الأسبق جورج بوش بعد اجتياح العراق ..

هناك بديهيات لا تقبل الكثير من التأويلات وأن الاختراق حاصل وأنّ الخيانة واضحة في تسريب موعد الاجتماع الأمني الذي كان نصر الله يستعدّ لعقده مع قيادات المقاومة في مقرّاتها التي يُفترض أنّها كانت محصنة. ويهدف عدم تفويت الفرصة ومنع خروج نصر الله سالما من العملية تمّ استهداف الموقع بعشر غارات استعملت خلالها حسب ما نشر في مواقع عبرية طائرات « أف 35 » خارقة للمعازل والحصون محملة بقنابل زنتها ألفا رطل تمكّنت من تدمير ستّة مباني. حدث ذلك بعد أيام على عملية البيجر في 17 سبتمبر والتي استهدفت آلاف من عناصر حزب الله وعائلاتهم؛ عملية لم يكشف حتى الآن كيف أمكن تحقيقها وكيف أمكن الوصول إلى الصفقة وفي أي بلد وعبر أي وسيط؟ ومن قام بتفخيخها بتلك الصورة؟ وقد تكلم نصر الله بعد ذلك واعترف بتفوق العدو عسكريا وحذر من استعمال الهاتف الجوال ولكن بعد فوات الأوان، وربما لم يكن نصر الله يعتقد أنه سيكون الهدف القادم إلى جانب خليفته هشام صفی الدین ..

الأکید أنّ لکیان الاحتلال أعتی وأعقد الأجهزة الاستخباراتية للتجسس على المقاومة أينما تكون، ولكن نكاد نجزم أنّه لولا الخيانة أيضا، ولولا المكابرة وعدم توخي الحذر من قدرة العدو على وصول

رصيده بقية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الفياض ..

إلى أهدافه لربّما لم يقع ما وقع، أو على الأقل بتلك الصورة التي هزّت المقاومة اللبنانية في العمق وسيتعيّن الاعتراف بضرورة القيام بمراجعات عميقة ومؤلمة للتفكير في مرحلة ما بعد نصر الله..

لقد صحّ وصف نصر الله بأنّه زعيم استثنائي كانت أغلب الشعوب العربية والإسلامية تعتبر أنّه عنوان ورمز وشعار لكرامة عربية إسلامية مفقودة باتت مجرد ظاهرة صوتية منتهية الصلوحية. وقد كان لكلامه معنى ووقع في النفوس خاصّة بعد تحرير جنوب لبنان، وسيبقى تاريخ 25 جويلية سنة الـ 2000 راسخا في الذاكرة اللبنانية والعربية التي تسجّل انتصارا ميدانيا مهماً على الجيش الذي طالما وصف بأنّه لا يقهر، وتصبح المقاومة اللبنانية ممثلة في حزب الله جزءا من المعادلة السياسية في لبنان وفي المنطقة. طبعاً كان لإيران الدور الأبرز والأهم في دعم ودفع حزب الله الذي سيكون سبب دعم وبقاء النظام السوري بعد 2012.. وهذا الدور الإيراني سيجعل حزب الله عدواً وهدفاً مطلوباً إزاحته من إسرائيل ومن الغرب الذي يعتبره عنواناً للإرهاب، ولكن أيضاً في دول عربية وخليجية تتوجّس من الدور الإيراني ولا تنظر له يعين الرضا..

لا خلاف أنّ للرجل كاريزما وقدرة على جذب الأنظار وجمع الأنصار من حوله، وهو الذي تمكّن أن يقود المقاومة اللبنانية وإذلال ما كان يعرف بالجيش الذي لا يقهر، فاستطاع أن يحرّر جنوب لبنان ويكتب تاريخاً جديداً في هذا البلد بعد 25 ماي 2000.. لقد حقّقت المقاومة اللبنانية ما لم يكن بإمكان الجيوش العربية أن تحقّقه مجتمعة اليوم... ودفع لبنان في مراحل تاريخية متعدّدة ثمن حروب وصراعات مدوّرة بسبب موقعه الجغرافي الذي جعله يتحمل الكثير..



رصيره بقية من كرامة عربية وجرعة مقاومة نصر الله سير المقاومة في حضرة الفياب . .

اغتيال نصر الله وغيره من قيادات عسكرية في حزب الله لن يطود صفحة الصراعات والأزمات في لبنان، وستتجه الأنظار أكثر إلى الحدود اللبنانية الجنوبية حيث يخيم التوتر على المشهد السياسي والأمني. كل ذلك في ظل استمرار احتفاظ إسرائيل بخمس نقاط حدودية بذريعة الضرورات الأمنية.. وهو ما يجعل القرار الأممي 1701 محل اختبار قاس لما سيكون عليه دور حزب الله مستقبلا في ظل المطالب والضغوطات بنزع سلاح المقاومة... وبين من يعتبر حزب الله تهديدا للوحدة اللبنانية وبين من يعتبره سندا لها، يبقى حزب الله في مواجهة اختبار غير مسبوق داخليا وإقليميا ودوليا بعد رحيل زعيمه الذي كان أقرب إلى الأسطورة التي لم يقع فكها حتى الآن..

لقد عاش نصر الله سيّدا ورحل سيّدا وسيتميّع على لبنان واللبنانيين العبور نحو الجسر الذي يجعل من الطوائف اللبنانية - باختلاف انتماءاتها وعقائدها - مصدر قوة ووحدة لبنان وحصنا منيعا في مواجهة كل المخاطر لا مصدر تفريق وتشتيت... وفي الذكرى الأولى لرحيل السيد نستعيد صورة انتصار المقاومة في جنوب لبنان وعلى إثرها صورة بيني غانتس آخر جندي إسرائيلي وهو يغادر جنوب لبنان يجزّ أذيال الخيبة والانكسار بعد احتلال طويل، وهي الصورة التي يتعيّن أن تبقى حاضرة في الأذهان احتراماً لنضالات وتضحيات ودماء سيد المقاومة ورجاله طالما بقي شبر واحد من تراب لبنان تحت الاحتلال ..

# أحبك

لأنني معادٍ للإسلام السياسي وتوافق إلى الحرية

الصبيّب بالهادي

منتج نقاني

أنا من الجيل الذي اكتشف لبنان حين كان العمق السياسي والمقاوم إلى جانب طلائع الشعب الفلسطيني اليد في اليد مع الحركة الوطنية اللبنانية.

زرت لبنان في 1982، واطّلت على الحركة الوطنية آنذاك وعلى وحدة النضال الفلسطيني اللبناني، حتى فرض على منظمة التحرير الفلسطينية المغادرة إلى تونس وتسليم جزء من سلاحها، واستفردت إسرائيل وعملاؤها بالشعب الفلسطيني في لبنان واقترفوا مجزرة صبرا وشاتيلا وغيرها.

من يدافع اليوم عن سيادة واهية لا سلاح لها خوفا وطمعا في فتات استعمار حقير، وصدقات لا تغني من جوع ولا تبني اقتصادا ولا تشبع الميزانية ولا تعيد بناء ما هدم وجيشها ممول من الأعداء وسلاحه محسوب بالقطعة ولن يوجه ضد العدو حتى يحافظ على راحة الجارة الدخيلة بالعنف وبالقوة الأمريكية وعصابة الاستعمار القديم والجديد.

أحبك لأنك واصلت نضال رفاقي حبّ من حبّ وكره من كره.  
أحبك لأنك حققت ما لم يحققه رفاقي. اكتشفتك لما قدت تحرير  
الجنوب، أنا يا رفاقي من الجنوب.

وأحبتك في قيادتك للمواجهة مع العدو الصهيوني في 2006.

لن أنس بحياتي تلك اللقطة مباشرة من خطابك حين استهدف  
مقاتلو حزب الله سفينة للكيان بإشارة منك على المباشر. كم تمنيت  
أن أتقابل معك وأسمعك من قرب. كنت أتمنى أن أسألك عن المهدي  
عامل وحسين مروة.

وحتى إن كنت متابعًا لكل خطاباتك التي أراها مهيكله وموثوقة  
وثورية وجدلية، علّك مع طرحك وتحليلك الذي كنت معجبًا ومقتنعًا  
تتحدّث عنهم وعن بقية رفاقي إلى أن أصبحت أصدقك ولي الحق  
في ذلك.

لأنك أصبحت في مقدّمة المدافعين عن القضية المشتركة، القضية  
الأصل، البوصلة آخر قضايا هذا العصر.

معادتك واستبسالك لآخر استعمار، لآخر أبرتايد، آخر أوكار  
العنصرية والعنجهية.

وعني ثاقب مواجهة حيّة ومتيقّظة للعدو وتحديد دقيق له، و مشروع  
استراتيجي مع من كان مستعدًا للمواجهة. وأحبك لأنك كنت السند  
الأول، وكنت في مستوى الوعد وفضحت الحلف الأمريكي الإسرائيلي  
الغربي الخليجي.

ومن اليوم الثاني ساندت أبطال غزة وانهمرت في طوفان الأقصى مع المقاومة الشرسة ضدّ آخر استعمار عنصري التي خططت مع أبطالها لإطاحة به. ولذلك أصبحت العدو الأول لأمريكا وسليتها إسرائيل. وهدفهم سلاحهم وسلاحهم وسلاحنا، حتى نبقي في الذلة والمهانة؛ معركة السلاح هي الفيصل وهي المحددة لمستقبل الصراع الذي لن ينتهي إلى بانتصار الشعب الفلسطيني وحلفائه.

سنواصل المسار مع من كان معك في المواجهة. لقد انتصرت بالشهادة هنيئاً لك، ولكننا سنتنصر مثلك أو سنتنصر باستقلال فلسطين وبالحرية للبنان.

العالم القديم انتقم منك لتكّل حياتك بالشهادة كما تمنيت، الذي فتح الطريق على عالم جديد تعالت فيه أصوات شباب الدنيا سندا لشعب لفلسطين لكي ينتهي الاستعمار وتفنى القوة والعنف والخطرسة وتنتصر الحرية كما وقع في الجزائر والفيتنام.

كما آمنت وفعلت من الأول لأنك سباق ووفي وإنساني يا سماحة السيد...





مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

## الشهيد أبو هادي

الاستثناء الذي لا تدركه لغة المياسة ..

خالد كرونة

كاتب

حروف اللغة عيئة عن التعبير عن فداحة الفقد بعد مرور حَول  
على ارتقائه .. فالسيد فاض عن مرتبة القائد ليلبغ مرتبة «الزعيم» بما  
تخزنه من أمارات التفرد .. فلا أحد سواه حظي في العقود الأخيرة في  
عموم المنطقة العربية بما نال من التوقير ومن الإعزاز ومن التبجيل .

زعامة الشهيد التي تُسمّر آلاف المتابعين أمام الشاشات حين يلقي  
خطابا لا تنعقد فقط لكونه خطيبا مفوّها، وإنّما يُعزى ذلك إلى حالة  
من «الثقة» نسجها الشهيد عبر المحن المتعاقبة على هذه الأمة بينه  
وبين الناس ..

ولا تُردُّ زعامته — فيما نقدر — فقط إلى وقاره اللافت، ولا إلى  
لثغته المحببة، بل إلى روح الأمل التي ما انفك يحرسها مدركا أنّ ما  
يُعوز هذه الأمة التي تناوبتها المحن، هو أن تغدّي الأمل في ذاتها لتنتبه

إلى ما تنطوي عليه من قدرات مطمورة على النهوض متى نفضت الشعور بالعجز.. وأحسب أن الشهيد كان يدرك تماما أن مفتاح قيامة هذه الأمة هو أن تنكر هوانها فمضى كلما اجتمعت عليها الشدائد، يشحذها أملا، دواته في إطلاقاته عمامة ونظارة وابتسامة لا تفارقه وقدرة على الانتقال من صرامة الجدّ إلى الدعابة الحكيمة.. ولا مناص من الإقرار، أنه لا أحد يصير زعيما ويدخل بوابة التاريخ العريضة ليكتب اسمه بحروف لا يعترىها الصدأ دون أن يتوفّر على ملكات القائد المهيّب، وكذا كان السيّد..

استمدّ الشهيد صورة القائد المهيّب بفضل ما ينطوي عليه خطابه من روح إنسانية غامرة، عنوانها الوفاء المتصل الذي لا ينفك لسانه يلهج به كلما أتى على ذكر شهيد أو كلما عرض إلى الجرحى أو المهجرين والنازحين ممّن كانوا درع المقاومة عقودا بلا كلل.. ونحت الشهيد صورته زعيما يتصاغر أمامه الملوك والرؤساء في المنطقة بفضل حلمه عليهم وبفضل لياقته حين يعرض إليهم..

أبو هادي استثناء لا تدركه لغة السياسة لأنه فاض عن دوره زعيما للمقاومة في لبنان، بل لعلّه كان زعيم محور المقاومة كله خلافا لما يعتقد كثيرون.. وربما آن الأوان، بعد كلّ الحوادث التي تلت استشهاد، أن نقرّ بأنه لم يكن قائد «ميليشيا» كما تصوره ميديا الأعداء، ولا مجرد قطعة ضمن شطرنج محور المقاومة.. لقد أثبتت شهادته وما تلاها، أنه كان عقل هذا المحور، وحجر الزاوية فيه.

ولأنه كان فعلا قائدا حكيما وزعيما عظيما، كان لا ينفك يعدّد فضائل من دعم المقاومة سرّا وعلنا، من دمشق إلى طهران إلى داخل لبنان، ولم يكن ليذهل أبدا عن تشوّف القدس محرّرة..

ولأنه كان قائدا يرى ببصره وببصيرته معا، كان لا يشك لحظة في حتم زوال الكيان.. كان يدرك أنّ المنازلة طويلة، ولكنه الرجل الذي اقترن اسمه بأهم هزائم العدو منذ بداية الألفية مرات متواليات، وهو الذي لم يكفّ يكرر « ولّى زمن الهزائم».. وأحسبُ أنه كان موقنا بأن «المنازلة الكبرى» لَمَّا يَحْنُ أوانها، بيد أنه حين كان يعرض بتبسيط عذب ينفذُ إلى عقول الناس قبل قلوبهم منعطفات الصراع وتقلبات المشهد، يكاد يحوّل خطابه درسا في أكاديميات الأبحاث الاستراتيجية يكتبُ الأعداء ويفحم الخصوم ويحوز احترام المتلقين ..



فالرجل الذي لم يدرس فنون الاتصال، ولا مرّ بأكاديميات العساكر، أضحى وهو يحافظ على ابتسامته المشرقة سيّد الحرب النفسية يشنها بالصدق، أبسط الأساليب وأنفذها على صلف العدو، حتى أمسى ظهوره على الشاشات يؤرق حكوماته المتعاقبة وتصل رسائله إلى كل المستوطنين يصدقونها وهم يعلمون أن قادتهم كاذبون ..

سيد المقاومة هو ما يسترو السباحات المتحدة ضدّ سياسات الولايات المتحدة الأمريكية وأعاونها.. ومثلما كان يرفع بدقة للمقاومة الحائط والجدار، كان يتخيّر ألفاظ خطابه وينشرها منتظمة بالمسطرة والبركار.

لا ينبغي أن يبهج الأعداء إذ نالوا منه.. فقد كانت الشهادة غايته.. ولا يبهجن أحد من الناعقين المسجلين على لوائح الكوكا كولا تحت يافطات سياسية وحزبية كثيرة على امتداد الوطن العربي.. فيها هو بعد رحيله الذي اشتهاه، وبعد موته الذي يغبطه عليه عدوه، ما يزال يدير بروحه وبريحه رحى الحرب على البغاة وما برح أشباله ورفقاؤه كل يوم، رغم الجراحات، يستظلون بحكمته واثقين أنهم سيدركون الانتصارات..

ما أرحب الفكرة وما أضيّق العبارة حين تستذكر فضائل الشهيد.. لا تنس أبداً أنه قائد لأنه متواضع، ولا تنس أبداً أنه زعيم لأنه يحسن الإنصات، ولا تنس أبداً أنه سيد المقاومة لأنه يدرك تماماً معنى أن تبذل الدماء من أجل فلسطين.. ولا تنس بالخصوص، أنه إنما جنى الانتصارات وأجناها لأنه مدرسة في نكران الذات، ونموذج لتربية الملكات..

كان أبو هادي فعلاً قائداً فذاً من أولئك العباقرة الذين لا يولدون بالمئات.. وآية عبقريته في التنظيم أن الجسم المقاوم ضمّد بعده بسرعة جراحه واستمر يكمل مسيرة القائد الشهيد.. والأيام كفيلة أن تؤكّد ما نزعم.

إلى عليين يا سيد المجاهدين.. ليكن مرقدك رحمة وسلاماً ومغفرة بعدما حُزّت مكرّمة الشهادة من أجل فلسطين..

إلى الخلد العظيم الذي أنت حقيق به.. كن واثقاً أن آلافاً ممن على الدرب إلى الوجهة التي عشقت سائرون..

جميع إلهامات  
للدراسات والتوثيق والنشر

# جمع بين الحنكة السياسية والبلاغة اللغوية والمهارة الاتصالية

حسن نصر الله.. قائد الكلمة

مراد علاله

صحافي ومعلق سياسي

لا يحتاج المرء إلى كثير من الاجتهاد أو حتى إلى استطلاعات الرأي لقياس حجم الجمهور الذي كان يتابع إعلانات الشهيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، ولئن شهد «خطاب الوداع» بتاريخ 19 سبتمبر / أيلول 2023 ذروة المتابعة الجماهيرية باعتبار اللحظة التاريخية التي ألقى فيها وكأنها كانت تنذر بوقوع جريمة الاغتيال الصهيونية يوم الـ27 من نفس الشهر، فإن بقية المناسبات التي أطل فيها، لقيت أيضا اهتماما واسعا يجعلنا نقول دون مبالغة أننا أمام سياسي محنك وخطيب استثنائي في هذا القرن الـ21 والذي يذكرنا بقيادة ورموز تاريخية عرفها القرن الماضي وقد تفوق عليها في مناح عديدة خصوصا عندما ننظر إليه من زاوية الاتصال السياسي وفن الخطابة والبلاغة اللغوية ومصداقية القول وارتباطه بالفعل.

ولهذه الاعتبارات وغيرها، وصفه البعض بقائد المقاومة، وهو أهل لها، والبعض الآخر اعتبره قائد الأمة، بل وقائدا إنسانيا، ونرى من جانبنا أنه «قائد الكلمة» بامتياز.

إنّ عدد الأشخاص الذين يتابعون خطابات حسن نصر الله على مستوى العالم يتجاوز مئات الملايين، خاصة في مناطق الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا وحتى بعض المناطق في أوروبا وأمريكا، ليس بسبب اللغة العربية التي كانت في الغالب عربية فصحي مطعمة باللهجة اللبنانية فقط، أو نتيجة البعد الديني والقيمي أو حتى بفضل الماكينة الإعلامية لحزب الله وما يُعرف بمحور المقاومة، بل للقيمة المضافة والخصال المعرفية والمهارات الشخصية وحتى الأبعاد الجمالية فالشهيد كان وسيما ولم تكن العبادة والعمامة عائقا أمام تقبل الجمهور لصورته.

وقد جاءت الشهادات الوطنية والدولية كثيرة في حقه، فتم وصفه في الإعلام بأيقونة المقاومة وسيد المقاومة وسيد الأمة وضمير المستضعفين واعتبر من أكثر القادة تأثيرا في العالم ومن أكثرهم احتراما حتى بين خصومه وأعدائه.

وقد شهد محمد حسنين هيكل الإعلامي المصري الكبير بأن «حسن نصر الله واحد من القادة العرب القلائل الذين يملكون المصادقية الكاملة». وهو ما أكّده الرئيس اللبناني السابق ميشال عون حين قال «السيد حسن نصر الله رجل صادق عندما يقول يفعل». وبدوره يؤكّد رئيس مجلس النواب اللبناني وزعيم «حركة أمل» أنّ «حسن نصر الله ضمانة الوحدة الوطنية وصوت الحق في زمن

الانقسام». وحتى في خندق الأعداء، يقول عنه رئيس حكومة الكيان الصهيوني السابق إيهود باراك «نصر الله خصم يعرف كيف يخطط ويجيد فنون الحرب والإعلام». أما صديق الشعوب الزعيم الراحل هوغو شافيز رئيس فنزويلا فيفاخر بأن «نصر الله بطل حقيقي يقف في وجه الامبريالية والصهيونية».

إن هذه المكانة التي ترسّخت في التاريخ وجعلت الشهيد حسن نصر الله، غائبا جسدا عنّا اليوم، وحاضرا فينا وبيننا كل يوم، لم تكن صدفة ولا منّة من أحد، بل ثمرة جهاد ومثابرة وتضحيات وصمود وصدق ومحبة متبادلة مع الناس الذين لم يصدّق الكثيرون منهم ولم يستوعبوا أن الزعيم قد استشهد. إنّه لم يخلّد اسمه ضمن قائمة الأبطال فقط بل هو كما كان يقول لجمهوره «نحن لانهزم .. عندما نتنصر نتنصر وعندما نستشهد نتنصر» لذلك نقول إنّه عاش منتصرا واستشهد منتصرا.

### أولاً: العنكة السياسية والتوثيق والنشر

لم يكن هيّنا على أبو هادي، (وهادي هو الابن البكر لحسن نصر الله ونال الشهادة قبل والده)، أن يصبح «قائد الكلمة» ويتميّز بخطاب سياسي وإعلامي ذو تأثير واسع على الجمهور المحلي والإقليمي والدولي قبل أن يتملّك أصول السياسة وينهل من منابعها وينجح في كسب رهان معادلة صعبة وهي التوفيق بين الخصوصية والكونية حيث يبدو حسن نصر الله زعيما إنسانيا وهو صاحب المرجعية العقائدية والفكرية الخاصّة التي تحتم عليه الاستناد في مقاربتة إلى البعد الديني - الإسلامي المقاوم أو المجاهد، وربط مواقفه بالقيم الإسلامية والنهج الحسيني تحديدا الذي يبنّي على ثلاثية المظلومية والتضحية والمقاومة.



والرجل في خطابه أممي إنساني، مفعّم بالعزّة القومية والوطنية ويعمل دائما على إبراز هذا البعد والتأكيد أن المقاومة ليست محصورة بطائفة، بل هي مشروع وطني لبناني وعربي في مواجهة الاحتلال والهيمنة.

ولم يكن من السهل على نصر الله أيضا النجاح في المعادلة الوطنية في بيئة أقل ما يقال فيها أنها مفتوحة على حجم كبير من المخاطر لولا تحليه بالبراغماتية السياسية والنجاح في التمسك بالثوابت الفكرية والعقائدية وغيرها، والمرونة والايجابية في التعاطي مع القضايا الداخلية اللبنانية الشائكة، فكان حزب الله مشاركا بإيجابية في منظومة الحكم، سواء في الحكومة أو البرلمان أو غيرها من مؤسسات الدولة، وحريصا على الحوار الوطني، وله فعل اجتماعي تطوعي لا يميّز فيه بين أبناء الشعب اللبناني ويعترف به مخالفوه في الرأي قبل أنصاره.

وهو يعتبر في المقابل أن العدوّ معلوم وهو الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية وهما خصمان ووجهان لعملة واحدة، وهذه هي السمة الأساسية في الهوية السياسية للشهيد والتي يضبط على قاعدتها التحالفات والعداوات.

وقد كشف رفاق درب الشهيد حسن نصر الله وإخوته في حزب الله وحتى في تشكيلات سياسية أخرى وفي صفوف النخب والمستقلين، قبل وبعد استشهاده، حقائق كثيرة حول وزنه السياسي وحجم تأثيره ومكانة شخصيته في بلورة مواقف الحزب والأهم من ذلك تقديمها والإقناع بها في سياق وطني وعربي ودولي فيه من

الخصوم والأعداء في الكثير من الأحيان أكثر مما هو موجود في صفوف الأنصار والاصدقاء.

وقد وفق الأمين العام لحزب الله في النهاية في ضبط التوقيت الاستراتيجي لخطاباته واطالته وحسن إخراجها وترويجها بفضل ماكينه الحزب، ويبدو أن خلفه اليوم، نعيم قاسم يسير على نفس النهج، فهو يطل على العالم غالباً في لحظات مفصلية تتزامن مع أزمة سياسية أو حرب أو اعتداء من طرف العدو الصهيوني أو تأيين أو تكريم لشهيد أو مناسبة دينية، فيتحوّل الخطاب والإطالة الإعلامية لـ «قائد الكلمة» حدثاً إعلامياً في حد ذاته وله أبعاده الوطنية والقومية والأممية كما أسلفنا.



وسواء تحدث مباشرة أمام الجمهور في الساحات والميادين أو بشكل غير مباشر جراء الإكراهات والاحتياطات الأمنية فإن ذلك لا يؤثر البتة في الأداء السياسي والاتصالي، وكان ثمة تناغم دائم مع المشاهدين والمستمعين رغم الحواجز المادية، ندركه حين يتوقف من تلقاء نفسه في مواطن محدّدة من الكلام، وهم يردّدون «لييك يا نصر الله» لأنّه كان قريباً عاطفياً منهم وعلى درجة كبيرة من الحنكة والدهاء السياسي الذي يخوّل له فهم وتحسس وتخيل تفاعلهم.

وقد تعمّد على مرّ تجربته تلقين جمهوره شعارات كرّرها باستمرار لتصبح عناوين المقاومة مثل مقولة «لن نترك فلسطين» ومقولة «ليسمعوا جميعاً.. لبنان هذا لن يكون إسرائيلياً في يوم من الأيام، ولن يكون موطئاً للصهاينة»، دون أن ننسى روائع رسائله الأخيرة «الرد هو ما سترون وليس ما تسمعون»، و«على العدو ومن هم خلف

العدو انتظار ردنا وبيننا وبينهم الأيام والليالي والميدان» وقد ساعده في كل ذلك الإعلام المقاوم الذي واجه الاعلام المتصهين وخلق نوعا من التوازن معه في الواقع وفي الفضاء الافتراضي أين تحولت المواجهة مع العدو في مواقع التواصل الاجتماعي

ويحسب للشهيد حسن نصر الله أنه كان يضطلع بدور تربوي ليس على مستوى القيم والأخلاق فقط ولكن أيضا في مستوى معالجة وتطوير وتأمين سلوك المقاومين والمجاهدين الذين تحدث اليهم بشكل مباشر بعد جريمة البيجر وحتى قبلها عن خطر الهوانف الجواله التي هي أداة خطيرة بيد العدو الصهيوني للتجسس والمتابعة والتصفيه والتخريب وذهب الى حد القول: «إنّ الخلوي أصبح جهاز تتبع وتنصت بامتياز وأن العدو يستطيع عبره تحديد المواقع وتسجيل الأصوات وبالتالي على كلّ مقاوم أو ناشط أن يتعامل مع الهاتف الخلوي كعدو داخل الجيب . .»

والحنكة السياسية تبرز أيضا في بناء الخطاب الذي يستوجب في تقديرنا دراسات مفردة لتحليل المضمون وتحليل الخطاب والتحليل السيميولوجي وغيره للوقوف على خصائص ومميزات «قائد الكلمة» الذي قد يكون نادر الوجود في التاريخ.

وطبيعي هنا بالنسبة الى أمين عام حزب الله ذو المرجعية المعلومة أن يبدأ بمقدمة دينية أو وجدانية تطول وتقصّر وفق المناسبة وموضوع الاطلالة الجماهيرية، ثم ينتقل الى عرض الواقع بتفاصيله الدقيقة والشائكة ويكشف في نفس الإطار الخصوم ويحدّد المسؤوليات ويحلّل بناء على ذلك مجريات الأحداث وأهداف المقاومة في

المدى القريب والمتوسط والبعيد ليمرّ بعد ذلك الى التعبئة والشحن وشحن العزائم بمخاطبة العقول والقلوب في نفس الوقت.

وبالرجوع الى بعض خطابه نجده يمجّد جمهوره «أنتم أهل الوفاء وأهل الصبر وأهل التضحية وأنتم سر صمود المقاومة وانتصاراتها». بل أكثر من ذلك، يتنازل حسن نصر الله عن عرش القائد ويقول: « هذا الجمهور الوفي هو القائد الحقيقي ونحن خدام عند هذا الشعب العظيم». وينصف هذا الجمهور قائلاً « دمائكم، صبركم، دموع أمهاتكم وزغاريد نسائكم هي التي صنعت النصر». ويضيف في مناسبة أخرى: « لو لم يكن هذا الشعب الوفي لما بقيت المقاومة ساعة واحدة.. أنتم الذين حضنتم المقاومة وأعطيتموها الشرعية والغطاء والإرادة».



وكما هو معلوم فإنّ «قائد الكلمة» يلقي كلماته المعدّة والمكتوبة سلفاً في بعض المناسبات، وفي مناسبات أخرى ينطلق من رؤوس الأفلام ويرتجل خطابه وغالبا ما يكون الوقع والتأثير بنفس القوة إن لم يكن أكثر وهذا ليس بالأمر الهين لو لم نكن أمام شخصية سياسية استثنائية بكل المقاييس.

### ثانياً: البلاغة اللغوية

المسألة الثانية التي تميّز «قائد الكلمة» الشهيد حسن نصر الله إلى جانب الحنكة والدهاء السياسي تملكه للغة العربية وقدرته على التبليغ بها شفاهة.

صحيح أنّ العالم يزخر بالأساسة والمثقفين والأكاديميين الذين يتقنون الكتابة بمختلف الألسن، لكنّه نادراً أن يجمع شخص بين

تملّك لغة بعينها والقدرة البلاغية، وفوق كلّ ذلك التمتع بكاريزما وحضور جذّاب مع سرعة البداهة وخفة الروح والإتيان بخطاب مباشر وواضح ومؤثّر يجمع بين البساطة والوضوح والدقة والطرافة والظرافة، والجدّة والحدّة والعمق، وهو ما يؤهله لجذب عموم الناس والنخب والأنصار والخصوم على حد سواء.

ويستخدم حسن نصر الله العربية الفصحى الممزوجة باللهجة العامية اللبنانية ويحسب له أن ساهم بقسط وافر في تقريب اللهجة اللبنانية إلى غير اللبنانيين، وهو يمتلك ثروة لغوية تمكّنه من التلاعب بالألفاظ والجمل والأفكار ويعتمد التكرار والتوازي لزيادة الإيقاع الخطابي والسجع أحيانا ويختار لتحقيق ذلك ألفاظاً مباشرة وسهلة مشحونة بالرمزية كما رأينا ذلك في تحية جمهوره في خطاب الانتصار في حرب العام 2006 حين قال لهم: «يا أشرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس» أو عندما خاطب ضحايا جريمة البيجر: «السلام على عيونكم ودموعكم، السلام على حناجركم وصرخاتكم، السلام على قلوبكم المؤمنة والسلام على لهفتكم ووفائكم، يا أشرف الناس وأطهر الناس وأصدق الناس وأشجع الناس»..

ويكفي هنا العودة إلى تفاعل جمهور «قائد الكلمة»، الحاضر مباشرة خلال إلقاء الخطاب، وإلى ردود أفعال الجميع بما في ذلك الخصوم في كيان العدو الصهيوني والإدارة الأمريكية حيث يسارع مسؤولو هذا الخندق إلى التعليق على المضامين وعلى الشكل والشكليات أيضاً في ما يترجم بالفعل مقولة الإعجاب بالغالب فهو كان متفوّقاً عليهم.

وطبيعي أن تكون من بين نقاط القوة في خطاب الأمين العام لحزب الله استخدامه للرموز والشعارات والاستعارات الدينية وكذلك الرموز التاريخية والاستشهاد بالقرآن والسنة وسير السلف الصالح. ويعود باستمرار لكربلاء وإلى الإمام الحسين وعبارته الشهيرة «ألا وإن الدعي ابن الدعي قدر ركن بين اثنتين بين السلة والذلة، هيهات من الذلة» وقد أصبحت هذه الكلمات شعارات يرفعها الأنصار تأكيداً للثبات على المبدأ ورفض الخضوع للظلم.



وفي ذات السياق يجيد حسن نصر الله استخدام الشرعية الدينية لإقناع وطمأنة جمهوره فهو مثلاً عندما أراد إقناعهم بضرورة تحرير الأسرى لدى العدو الصهيوني هتف فيهم: «نحن قوم لا نترك أسرارنا في السجون، وقد قال رسول الله: فكّوا العاني، أي فكّوا الأسير»، وهو يربط هنا ببساطة وذكاء بين الموقف السياسي ومسألتَي التفاوض أو القتال لتحرير الأسرى بنص شرعي يضيفي فداسة على المطلب.

وهو يدرك جيداً أنه قدّام جمهوره وخصومه في نفس الوقت مطالب باللّعب على وتر التأثير النفسي، لذلك كان يطنب في استخدام خطاب التحدي والثبات لإقناع وطمأنة من يهّمه الأمر، وكذلك السخرية من العدو لتعزيز الثقة لدى جمهوره وضرب معنويات الخصوم، وتذكر جيداً عديد العبارات التي لا يزال وقعها مدويا الى اليوم مثل «إسرائيل أهون من بيت العنكبوت».

ويتقن حسن نصر الله الشعبوية أيضاً التي توظّف بشكل ذكي وإيجابي المفارقة بين نحن / المقاومة وهم / العدو فيقول مثلاً: «إسرائيل تملك الطائرات والدبابات، لكننا نملك الإيمان والإرادة، والإيمان أقوى من الطائرات».

إنّ لدى حسن نصر الله قدرة فائقة على التأثير والإقناع وبفضل تكوينه العلمي والفقهي أيضا يراوح في خطابه بين العاطفة واستمالة مشاعر الجمهور، والعقلانية والبرهان العقلي والحجة الواقعية من خلال استعراض الأمثلة والتجارب، قديمها وجديدها وإسقاط القصص والملاحم التاريخية على الواقع الراهن وحسن توظيف ذلك مع الاعتماد بطبيعة الحال على القرآن والأحاديث النبوية وسير السلف الصالح وهو ما يعطيه الشرعية الدينية دائما.

إنّ وقع البلاغة في خطاب حسن نصر الله ارتبط بامتحان المصدقية والدقة أيضا لدرجة صار فيها الصهاينة يصدّقون روايته ولا يثقون في رواية مسؤوليهم، وتبقى واقعة استهداف البارجة الاسرائيلية في 7 جويلية 2006 خير دليل على قدرة الرجل وجدارته بنيل ثقة الجميع فهو أعلن قصفها من قبل بواصل المقاومة ومجاهدي الحزب في المباشر قبالة السواحل اللبنانية وكانت تلك اللحظة منعرجا في الحرب وتمهيدا للانتصار فيها، «الآن في عرض البحر، في مقابل بيروت، البارجة الحربية العسكرية الإسرائيلية، والتي اعتدت على بنيتنا التحتية وعلى بيوت الناس والمدنيين، انظروا إليها تحترق».

لم يكن الأمر إذن استعراضا لغويا بقدر ما كان مقاومة ووسيلة للتعبئة والتشديد واستنهاض القواعد الشعبية ودفعها نحو الصمود والثبات والتضحيات أيضا، بعبارة أخرى كان حسن نصر الله يدير الصراع مع العدو ويرسم حدود المواجهة معه بإبراز معادلة الردع وما أسميناه بـ«توازن الرعب الاستراتيجي» حيث تتم المحافظة على استقرار الجبهة الداخلية اللبنانية وعلى صورة المقاومة وعلى مكانة هذه المقاومة في عقول وقلوب الجمهور العربي والإسلامي والإنساني عامّة وهو ما يعزز مكانة حزب الله كقوة إقليمية وازنة.

### ثالثاً: المهارة الاتصالية

إننا عندما نعتبر بأن حسن نصر الله «قائد الكلمة» فإن ذلك يستقيم من منظور علوم الاعلام والاتصال وكذلك العلوم السياسية فكم من منظر ومفكر ومتحزب ومسؤول رفيع المستوى فشل في التبليغ والتأثير والاقناع وتعديل المواقف والسلوكات.

إننا إزاء شخصية فذة تتقن مهارات الاتصال السياسي بشكل كبير، الأمر الذي عزز حضوره السياسي والإعلامي ورفع منسوب متابعة خطاباته واطلالاته الإعلامية، والأهم من كل ذلك النجاح والتوفيق في إيصال رسالته المتعددة الأركان كما أسلفنا. وبكل موضوعية، لم يشهد العالم خلال العقود الأخيرة خطيباً بهذا الوضوح وهذه الدقة، والسر ببساطة اعتماد على لغة مباشرة بعيدة عن الغموض تضمن وصول الرسالة وتصل إلى الجمهور الواسع بجميع مستوياته الثقافية والعلمية.

وحتى عند اضطرابه لاعتماد المفاهيم السياسية المعقدة، وهو تحدي منطقي لسياسي في حجمه، فهو كان يوازن ويلجأ للغة البسيطة القريبة من الكل وخلافاً لغيره لم يكن بحاجة الى مفسرين من بعده ولا جدال واختلاف في فهم ما أراد تبليغه.

وبما أننا بصدد قائد ذو عقيدة وصاحب إرث حضاري وثقافي عميق فإنه لم يفرط في توظيف ذلك للإقناع وإضفاء الشرعية الخطابية على ما يصدق به. لقد كان دائم الاستدلال بالماضي وعبره من أجل الإقناع ومن أجل تدعيم الشرعية الخطابية وكان يتقن توظيف الوقائع والأدلة سياسية كانت أو اجتماعية أو دينية ويرواح في ذلك بين الحججة العقلانية ومغازلة العاطفة.



إنَّ تخطّي العقبات الاتصالية للوصول الى الجمهور الواسع يفترض الربط بين القضايا السياسية والمفاهيم الدينية وتجلى ذلك على سبيل المثال في تكرار العبارات المشحونة بالأبعاد العقائدية والجمع الحتمي والتأطير الرمزي بينها كالثوب الكرامة والمقاومة والشهادة. وبالإضافة الى ذلك يستقوي حسن نصر الله في حججه بالرموز الوطنية والعربية والاسلامية ويشيد بها ويتحدث عن خصالها بطريقة تقربها هي ذاتها للجمهور وتعزز الثقة في شخصه. وهو يدرك أنّ الصدق في استحضار الرموز والحديث عن معاناة الناس اليومية في لبنان عموماً وفي الجنوب بشكل خاص وفي فلسطين المحتلة وحتى في بقية أصقاع العالم يوّلّد التعاطف والتأييد للقضية من جهة ومن جهة ثانية للقائد الذي يرسم لنفسه صورة ذلك القائد المقاوم القريب من الناس والمتحدث باسمهم والمدافع عنهم.

مسألة أخرى لا تقل أهمية في الاتصال السياسي تتعلق بالإلقاء وبنبرة الصوت التي يتفنّن الشهيد حسن نصر الله في توظيفها فهو يتكلم بهدوء عندما يستوجب الأمر ذلك، ويرفع الصوت عندما يتعلق الأمر بالحسم في الخطاب سواء لطمأنة الأنصار أو ترهيب الخصوم والاستهزاء منهم والتهكم عليهم أحياناً أخرى. ونتذكّر هنا تحذيره لمجموعة سياسية لبنانية مناوئة للحزب وقوله لرموزها «لا تخطّوا الحساب وتأدّبوا».

ومن بين أقوى الجمل الاتصالية المشحونة تلك التحية التاريخية التي وجهها لجمهوره في مهرجان الانتصار في حرب العام 2006 عندما صاح فيهم «يا أشرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وأصبحت هذه التحية بمثابة التحية

الرسمية لجمهور المقاومة ولم يفلح الخصوم في التآلب عليها وتسويق فكرة إنَّ فيها تمييزاً بين اللبنانيين وهو ما وضحه بنفسه في مناسبات لاحقة.

والى جانب الصوت، لسنا نبالغ حين نقول أن الشهيد حسن نصر الله يمثل استثناء في استعمال لغة الجسد، ليس في جيله فحسب ولكن في قادة ورموز القرنين العشرين والواحد والعشرين، فصاحب العباء السوداء والعمامة السوداء واللحية الكثيفة والنظارات العصرية وخاتم خنصر اليد اليمنى المميز، جميعها رسمت للجمهور خطيباً واثقاً مما يقول، إنسانياً وعاطفياً بقدر صلابته وبأسه وشدته ولا يتمالك نفسه حين يتسم ويمازح الجمهور أو حين يبكي وهو يستحضر بعض الوقائع وخصوصاً عندما يضع النقاط على الحروف ويصرخ أمام العالم «لا خيار أمامنا إلا المقاومة، لأنَّ الاستسلام يعني الذلَّ، ونحن خُلِقنا أحراراً»، وقد كرّر نفس المعنى في أكثر من مناسبة «نحن قوم لا نهزم، لأننا أصحاب حق، وأصحاب الحق لا يُهزمون»، ويلخص كل شيء في الجملة التالية «إنَّ دماء الشهداء هي التي تصنع النصر، وتبني للأمة مجدها».

ويدرك نصر الله أن الوضوح في الاتصال مهم للغاية، لذلك لا يخلو خطاب من خطاباته من الحديث عن فلسطين لأنَّ «فلسطين هي القضية المركزية للأمة، ولا يمكن أن نساوم عليها أو نتنازل عنها»، وكان جريئاً في الدفاع عن حرب الإسناد مباشرة في اليوم الثاني لانطلاقة ملحمة طوفان الأقصى في 7 أكتوبر / تشرين الأول 2023 ، بل أكثر من ذلك سحّر قدرات المقاومة في لبنان وجعلها على ذمة المقاومة في عموم فلسطين وقطاع غزة رغم التباين مع حركة



حماس، ونفس الشيء في علاقة بالجمهورية العربية السورية والتي كانت كلفة الموقف منها باهضا على الجميع.

كذلك الأمر بالنسبة الى كل ما يهيم المسلمين وأحرار العالم؛ فالشهيد كان لا يحصر رسائله في الداخل اللبناني فقط، بل يوجه خطابه إلى العالم العربي والإسلامي، وأحياناً إلى الغرب بلغة سياسية عقلانية كما حصل عند مجابهة حملة الإساءة الى الرسول الكريم يومها قال: «وأنا أريد معكم أن يسمع العالم هذا النداء، فقولوا معي كلمة كلمة: يا رسول الله، فداك يا رسول الله، نفسي ودمي، وأبي وأمي، وأهلي وولدي، وكل مالي وما حوّلي ربي، فداء كرامتك وعرضك وشفرك.. هكذا أيها الأخوة والأخوات يجب أن يفهم العالم حقيقة علاقتنا وارتباطنا بنبينا رسول الله ﷺ».

ونفس الملاحظة بخصوص الموقف من المسيح فقد عرفه كالاتي «المسيح الذي نقرأ عنه في الإنجيل والقرآن، وفي سيرته وفي أخلاقه وفي قيمه، نصيرٌ من سيكون؟ هل سيكون نصير العُتاة والجبارة والفراعة؟ هل سيكون نصير وعون القتلة والمجرمين؟ .. أم أن المسيح الذي نعرفه، هو نصير الحُفاة والفقراء والجائعين؟»..

#### رابعاً: انتصار أبدي لإنسانية الإنسان

إنّ براعة « قائد الكلمة » الشهيد حسن نصر الله والرصيد الذي تركه للإنسانية اليوم يثبته ضمن قائمة الشخصيات العالمية التي أصبح كل واحد منها رمزا وقدوة للأجيال على غرار الثائر الأممي أرنستو تشي جيفارا أو الزعيم الكونغولي باتريس لوممبا (Patrice LUMUMBA 1925-1961) أو زعيم بوركينافاسو

توما سانكارا (Thomas SANKARA 1949-1987) الذين صارعوا الديكتاتورية، وقارعوا الإمبريالية إلى آخر رفق في حياتهم، وكان كلمة السرّ التي كانت بينهم هي تلك التي صدح بها الثائر الأرجنتيني غيفارا وهو أنذاك وزير في الحكومة الكوبية، في الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك: «وطن حر أو موت».

إنّ نصر الله يمثل اليوم أيقونة المقاومة والنضال والصمود والتضحية والتحدّي في وجه الكيان الصهيوني وفي وجه الغرب الإمبريالي بقيادة عدوة الشعوب الولايات المتحدة الأمريكية. وهو لم يتخلّى أثناء مقاومته لأعداء شعبه عن قيم العدل وحقوق الإنسان كما جاءت بها الأعراف والشرائع والقوانين الدولية لا كما يريدونها يطبقها أعداء الشعوب والإنسانية.



لقد استشعر «قائد الكلمة» على ما يبدو ساعة الرحيل والتي كان مستعدا ومتشوقا لها، لذلك ختم خطاب الوداع في 19 سبتمبر / أيلول 2024 بتحديد البوصلة مجددا وطمأنة جمهوره ومصارحته بما يلي «هنا أمام مستقبل المعركة الكبير أقول: الأيام والليالي والأسابيع والشهور وقد تكون السنوات، هذه معركة كبيرة وطويلة مع هذا الكيان ولكن أبقها ونهايتها واضحة، يراها المجاهدون والمؤمنون والصابرون والمحتسبون والجرحى، ويشهد عليها اليوم الشهداء من عليائهم».

و حتى بالرجوع إلى خطابه قبل الأخير في 1 أوت / أغسطس 2024، بدا «قائد الكلمة» وكأنّه يستبق الأمور ويكشف وصيته لجمهوره ويطمئنهم أيضا بنفس القوة والإصرار ويبشّرهم بأن أمنيته





# مقالات

مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر



مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

## في الكاريزما الثورية

القائد الأممي، السيد حسن نصر الله أنموذجا

فرزيع العلوي

أستاذ الفلسفة وعلم الاستغراب

جامعة الزيتونة



### مدخل:

لا يخلو كتاب من كتب التربية من تعزيز القدوة كأحدى الوسائل التربوية المهمة لفعاليتها وأثرها العميق في الحياة. ففي مرحلة ما من حياة المجتمع، وفي اللحظات المصيرية الحاسمة التي تساهم في رسم المستقبل، يحتاج الناس إلى أنموذج وأيقونة ملهمة لتخطي الصعاب، وتجاوز ما يمثل تحدياً أو تهديداً يمكن أن يقود إلى اليأس أو حالة من فقدان الأمل.

من هنا، جاء اختيارنا للسيد حسن نصر الله كرمز للقدوة، لأنه ليس مجرد شخصية تثير إعجابنا، بل هو مرآة للقيم التي نسعى لتجسيدها في حياتنا، ودليل عملي لتحقيق الطموحات: إنه أنموذج ملهم يدفع الآخرين للسير على خطاه.

لقد تجاوزت ظاهرة السيد/ القدوة الاعتبارات التقليدية في تمثّل هذا المفهوم، نحو استحضر الدلالات العملية لمصاديق الإنسان الكامل، في حدود هذه الشخصية الاستثنائية التي نستلهم منها أفكارنا، وأخلاقنا، وطريقة تعاملنا مع المواقف المختلفة. وتكمن قوة القدوة في شخصية السيد حسن نصر الله في قدرتها على التوجيه والتحفيز لتطوير الأنفس، من خلال ما تقدّمه من مثال حي للنجاح والتفوّق.

هذا، وإن اتّخاذ شخص ما قدوة ليس إلغاءً للشخصي والاستقلال الذاتي، بل هو في الحقيقة تعزيز لهذه الجوانب بالاستفادة من الآخرين. لذا، فإن كاريزما السيد نصر الله ليست مجرد سمعة أو بناء رمزي ثابت؛ إنّها قراءة جادة وملتجدة، نجدّد معها إوالياتنا الهشّة، حتى نجعلها عرضة للفحص المستمرّ من قبل من يتمسّكون بها.

ليقينا بأنّ أملنا في شخص تجسّد فيه كلّ السحر الكاريزماتي، مما يكشف عن طبيعة شكل فريد من التأثير الجليل إلى حد كبير<sup>(1)</sup>.

#### أولاً- الكاريزما المفهوم والسياق

عادة ما يستخدم مصطلح «الكاريزما» للدلالة على السلطة الطبيعية، وهو مشتق من الكلمة اليونانية (*χαρισμα/Kharisma*): «نعمة، حظوة». علاوة على ذلك، يُحافظ القاموس، بإظهاره تطور معنى كلمة «كاريزما»، على هذا الغموض، وفي الوقت نفسه يُبدهه بفصل المعنى

(1) كما هو الحال في إحدى روايات إيزابيل كالينوفسكي (I. KALINOWSKI). يقدم هذا المقال قراءة اجتماعية لمقطع من رواية «البحثن الزمن المفقود»، من خلال التركيز على بُعدين سلط بروست الضوء عليهما: الفرق بين المعتقد الكاريزماتي والمعتقد «التقليدي»، من جهة، ودور إدراك الجسد في نشأة السحر الكاريزمي، من جهة أخرى. انظر:

KALINOWSKI (Isabelle): « Le visage du charisme : une page de Proust », in Revue *Théologiques*, Volume17,N°1, 2009, pp.33-50.

القديم عن المعنى الحديث.<sup>(1)</sup>، حيث كانت تعني «السلطة، والانبهار الذي لا يُقاوم يُمارسه الإنسان على مجموعة بشرية»<sup>(2)</sup>.

في هذا التعريف المعاصر، يتعلّق الأمر بالفعل بجوهر الأخلاق، لجهة أنّ لكاريزما ميزة إضافية تُضاف إلى الشرعية<sup>(3)</sup>. أما بالنسبة إلى «النعمة» التي تتجلى في هذا الموضوع، والتي يتحدّث عنها ماكس فيبر (Max WEBER 1864-1920)، فلا يكفي امتلاك الكاريزما في ذاتها. بل يتطلب ذلك توافر صفات شخصية، وأن يكون الشخص مُلهماً، وأن يكون جديراً بحمل رسالة. ومن هنا، نتفق معه في قوله إنّ الكاريزما تشهد على «الصفات الاستثنائية للشخصية، التي تتمتع، إن صح التعبير، بقوى أو خصائص خارقة للطبيعة»<sup>(4)</sup>.

يمكننا القول إنّ لمفهوم الكاريزما أصلاً لاهوتياً، ولم يظهر هذا المصطلح قبل رسائل بولس. وربما الأهم من ذلك، أنّه يشير إلى جهاز إداري يرى في المواهب ووظائف تنظيمية كامنة يمكن تحقيقها لتنجح الحقيقة الدّينية في نشر نفسها في الحياة البشرية؛ والتي ليست سوى قدرات متميزة وجواهر<sup>(5)</sup>، موزّعة اجتماعياً، تُدير العلاقة الإنسانية

(1) REY (Alain) dir.: *Dictionnaire historique de la langue française*, Le Robert, Paris, 1992, p. 1114.

(2) ALAIN (Rey) (dir.) : *Dictionnaire historique de la langue française*, op.cit., p. 392.

(3) Voir à ce propos notre : *La conquête du pouvoir. Opinion, Persuasion, Valeurs*, chap. II., l'Harmattan, Paris, 2013, pp. 92100-.

(4) WEBER (Max) : *Économie et société*, trad. française, Paris, Plon, 1971, p. 320.

(5) «الجواهر التي، أولاً وبطرق عديدة، تشارك في الإلهي وهي، أولاً وبطرق عديدة، كاشفة للسر الإلهي ولهذا السبب، حُكم عليهم، تفضيلاً على جميع الآخرين، بأنهم يستحقون أن يُطلق عليهم اسم الملائكة، لأن لهم أولاً يأتي الاستنارة الإلهية ومن خلالها تنتقل إلينا الوحي الذي يتجاوزنا». انظر:

برسالة المسيح<sup>(1)</sup>. ولهذا السبب، يظل الزعيم الكاريزمي متمسكًا بقوة بمفهوم متسلط لدوره. وانطلاقًا من هذا، فهو يضطر بالضرورة إلى خلق هذه المواقف «الخارقة» التي تُمكنه من إصدار الأوامر، أي تأكيد ذاته كقوة معيارية يُلخّص جوهرها في تأكيد المسيح الشهير: «مكتوب: أقول لكم» (متى 5: 21-22). حتى ينتهي الأمر بالكلمة الكاريزمية إلى رفضٍ ضمنيٍّ لوجود القواعد القانونية: «الكاريزما هي المظهر الأولي النموذجي للقوى الدينية (النبوية) أو السياسية (الفتح)؛ إلا أنها تفسح المجال للقوى العادية بمجرد وصولها إلى السلطة، والأهم من

---

Cf. Pseudo-Denys l'Aréopagite, *La hiérarchie céleste* (seconde moitié du V<sup>e</sup> siècle), trad. M. de Gandillac, Paris, Cerf, 1958 (Sources chrétiennes), chap. IV.

وانظر أيضًا إنجيل (متى، 1: 1-3)

(1) En ce sens voir : AGAMBEN (Giorgio) : *Le règne et la gloire. Pour une généalogie théologique de l'économie et du gouvernement*, Paris, Seuil, 2008.

إذا كان الملائكة في اللاهوت اليهودي المسيحي يمثلون المجتمع غير المرثي بين السماء والأرض الذي يحكمه المبدأ الكهنوتي، وخاصة لأنهم يسمحون للبشر بالمشاركة في الروعة الإلهية

وكما لاحظ يوحنا الذهبي الفم في عظاته عن إنجيل متى (حوالي 390)، فإن أنبياء العهد القديم أنفسهم «تحدثوا كخدام، وكأنهم صادرون عن سيدهم». لقد أعلنوا كلمته كشخصيات تشارك في خدمة، وهو دور كان سيتضح تمامًا في المسيحية لأن الابن هو من يعلن «كلام الأب»، الذي هو أيضًا كلامه. انظر: CHRYSOSTOME (Jean): *Commentaire sur l'Évangile selon Saint Matthieu*, trad. Jeannin, Bar le Duc, GuÉrin & Cie, Paris, 1865, pp. 5-16.

ولكن هذا يتجلى بوضوح أيضًا عندما نفكر في كاريزما بولس نفسه، والتي هي كاريزما «مؤسس رصين نفذ تقليدًا مقدسًا من خلال هياكل اجتماعية بشرية». Voir l'étude de sociologie biblique par BLASI (Anthony J.) : *Making Charisma : The Social Construction of Paul's Public Image*, New Brunswick, Londres, Transaction Publishers, 1991, p. 144.

ذلك، بمجرد أن تتخذ طابعًا جماهيريًا<sup>(1)</sup>. ويعمل الاعتراف هنا كإقرار بالرسالة الخارقة للطبيعة التي سيعهد بها إلى هذا الأخير، وملاحظة أن «من يأتمن بالإيمان يكون في خير»<sup>(2)</sup>، وهذا بالتالي نتيجة للأساس الكاريزماتي الذي ينتمي، في جوهره، إلى الفرد<sup>(3)</sup>.

يمكننا، إذن، أن نفهم إلى أي مدى يُعتبر ماكس فيبر وريثًا مباشرًا للجدل البروتستانتية حول جوهر الكاريزما في دراساته المخصّصة لليهودية القديمة، والذي نجح في تثمين هالة بدائية منه، تبدأ بدراسة الوظيفة التي أداها الأنبياء في التاريخ اليهودي<sup>(4)</sup> من ناحية أخرى، إذا سعينا إلى الأساس المفاهيمي للكاريزما، فإن تأثير النموذج اللاهوتي يلمس بشكل غير مباشر من خلال قبول التفسير البولسي<sup>(5)</sup>، ضمن قدرة الوظيفة الكاريزماتية على الانتشار، التي تسبق نسبتها الفعلية إلى شخصٍ معيّن<sup>(6)</sup>.

(1) WEBER (Max): *Économie et Société*, op.cit., I, III, IV, § 12 a. 1.

(2) WEBER (Max) : *La Domination*, La Découverte, Paris, 2013, p. 274.

(3) WEBER (Max) : *Économie et Société*, op.cit., § 10, 1].

(4) WEBER (Max): *Le Judaïsme antique*, Paris, Flammarion, 2010.

(5) وفقًا لبولس، فإن مواهب النعمة ليست حكرًا على شخص واحد فحسب، حيث يجب على كل فرد أن يضع المواهب الروحية، وعطية النعمة، والمحبة، وبالتالي المحبة، وهي عصية على الفهم والتحكّم من حيث أصلها وحدثها، ولكن يمكن فكّ رموزها وإدارتها في إطار قدرتها العملية المؤسسية. إنّها، بدلًا من أن تكون شروطًا شخصية استثنائية، موجودة في شكل أدوار موزعة داخل الجماعة المسيحية (رومية 12: 6-8). ويتجلى هذا الجانب أيضًا في نصّ مستوحى من بولس، مثل رسالة بطرس الأولى (4: 10)، حيث يجب على كل فرد أن يضع عطية النعمة في خدمة الآخرين الذين يُحسنون إدارة نعمة الله المتعددة الأشكال. وإذا كان الموجه الذي ينشرها بين الأتباع يمنحها طابعًا من السخاء غير المتوقع، فإنه يبقى صحيحًا أيضًا أنها تعمل بشكل ملموس على تنظيم سير الحياة الجماعية للمسيحيين بشكل أفضل.

(6) يتجلى كلّ هذا بأدلة قاطعة حتى في نصّ من إنجيل بولس الثاني، مثل الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، التي كتبت على الأرجح في أواخر القرن الأول،



هنا، نجد «الكاريزما المقدسة» لماكس فيبر: «نُطلق على الكاريزما اسم الصفة الاستثنائية [...] لشخصية تتمتع، إن صح التعبير، بقوى أو خصائص خارقة للطبيعة، أو على الأقل بقوى أو خصائص خارجة عن نطاق الحياة اليومية، يصعب على البشر العاديين الوصول إليها؛ أو تُعتبر مُرسلة من الله أو قدوة، وبالتالي تُعتبر «قائدة»<sup>(1)</sup>.

ولا يخرج هذا المفهوم المعتمد عن الشخصية الكاريزمية عما سبق وأن اقترحه وروج له عالم الاجتماع روبرت كينغ ميرتون (Robert King MERTON 1830- 1910) عن مفهوم «القدوة»، باعتبارها شخصية تتجاوز التجربة الإنسانية اليومية، وتتطلب أخلاقاً مُلهمة، تحمل رسالةً تُمثل وعدًا جليًا أو إعلانًا رؤيويًا، تلعب دور الوسيط، ناقلة الصوت من ما وراء الطبيعة القادم من القوى المتعالية. غير أن ميرتون يجعل من «القدوة» مفهومًا مرتبطًا بالجماعات المرجعية، حين يقارن الأفراد أنفسهم بمن يشغلون أدوارًا اجتماعية يطمحون إلى تحقيقها. وتُشكل هذه الجماعات إطارًا مرجعيًا لتقييم تطلعاتهم وأدائهم. لذا، فإن القدوة هي أفراد أو جماعات تؤثر، من خلال قدوتها، على مواقف وسلوكيات الآخرين<sup>(2)</sup>.

عندما حثُّ بولس نائبه في أفسس على القيام بدوره كمعلم للعقيدة، وحارس للإيمان بيسوع، ومُبشِّر به: «لا تهمل الموهبة الروحية التي فيك، التي أُعطيت لك بالنبوة» (1 تيموثاوس 4: 14).

(1) WEBER (Max): *Économie et société*, op. cit., p. 320.

(2) يستحضر ميرتون هذه الفكرة كثيرًا في تأملاته النظرية الفوقية حول وضع وخصائص علم اجتماع العلوم، ويُحيل قراءه أو مراسليه (على انفراد) إلى المقاطع الواردة في كتابه ( : On the Shoulders of Giants OTSOG) ويكرر بانتظام نفس الفكرة في تعريف شبه مُختزل، مُجسدًا بذلك مفهومه «التكرار مع التباين»، الذي طوره في دراساته الدعائية في أربعينيات القرن العشرين. انظر: CAMIC (Charles): «Repetition with Variation: A Mertonian Inquiry into a Lost Mertonian Concept», in Y. Elkana,

ورغم ما يبدو من جدية في الطرح من جانب ميرتون، إلا أن خلفيته العقائدية كيهودي يضمن نصوصه مسيحية توراتية تبدو باهتة أحياناً، لكن رؤيته والمميز لا يمكن أن تسقط عنها مرجعيتها الثقافية والحضارية. من هنا. كان لزاما علينا تبوئة معنى القدوة في السياق الفكري والحضاري الإسلامي الذي ينتمي إليه فكرا ورسالة السيد حسن نصر الله.

القدوة هي شخص حاز على جل الكمالات الإنسانية، فيلهم سلوكه المثالي الآخرين ويؤثر فيهم إيجاباً. وهي عبارة عن الشخص والمثال الأعلى الذي يجب أن يتبع، والنموذج المثالي في تصرفاته وأفعاله وسلوكه، بحيث يطابق قوله عمله ويصدق. فالقدوة يجب أن تعمل على تحقيق ما تريده من الآخرين في نفسها أولاً، بحيث يطابق قوله عمله ويصدق. فعليه أن يتابع نفسه على الدوام فيراقب تصرفاته وأفعاله، ويقوم اعوجاجها، وبالأخص لا بد له من إخلاص نيته لله تعالى، لأن أول علامة النجاح في القدوة أن يقوم بما يأمر به الله تعالى، وينتهي عما ينهى عنه: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(1)</sup>. وجدنا أن الإنسان لا يكون مؤثراً في غيره إن هو لم يلتزم ما يأمر به غيره. ويكون القدوة بالنسبة إلى أتباعه مثلاً سامياً وراقياً، فيعملون على تقليده وتطبيق نهجه والحدو حذوه. وينبع تقليدهم إياه من الإرادة والاختناق الذاتيين للمقتدي، لا بالإلزام والضغط الخارجي من جهة القدوة بذلك. والهدف من اتباع القدوة الرقي لأعلى مستوى من الأخلاق والتعامل والعلم.

A. Szigeti, G. Lissauer (eds.): *Concepts and the Social Order: Robert K. Merton and the future of Sociology*. Budapest, Central European University Press, 2011, pp. 165-188.

(1) البقرة: 44.

قد يكون هذا القدوة مرشداً، أو فرداً من العائلة، أو شخصية عامة تحظى بالإعجاب لقيمها ومواقفها الإيجابية. وتلعب القدوة دوراً محورياً وحاسماً في مجالات مُختلفة، بما في ذلك التعليم والقيادة والتنمية الشخصية وتشكيل الأجيال القادمة.

إن أهمية القدوة الصالحة والمطبقة قولاً وعملاً للنهج الصحيح تجعل من الآخرين يسيرون على الطريق نفسها، ولا سيما عند الشدائد والمحن. فعندما تثبت القدوة ولا تنزل؛ تكون المثل الأعلى وتكبر في النفوس وتعظم. وخير قدوة على الإطلاق رسول الله (ﷺ)، ثم الأنبياء والأئمة والأوصياء والعلماء العاملين. فقد كان رسول الله مرياً عظيماً وهادياً بأخلاقه وحكمته وسلوكه، وكذا آل البيت النبوة، فهم قرآنٌ يمشي على الأرض: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(1)</sup>. فالأنبياء والرسل هم صفوة الخلق ودعاة الحق، ومن شروط الإيمان الاقتداء بهم والسير على نهجهم، والتأسي بأخلاقهم وأفعالهم<sup>(2)</sup>. فضلاً عن العلماء المجتهدين العاملين: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

(1) الأحزاب: 21.

(2) قوله تعالى «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ» (الممتحنة 4)، وقوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: 21). وفي سورة الأنعام بعد أن ذكر الله عز وجل - نحو ثمانية عشر نبياً ورسولاً، أمر الله تعالى رسوله الكريم باقتفاء هديهم: «وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» (الأنعام: 90). كما يلزم الاقتداء بصحبة رسول الله (ﷺ): «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: 100)، وقوله تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ» (الممتحنة: 4)

بِالْقِسْطِ ﴿١﴾. والمراد من أولي العلم في هذه الآية الذين عرفوا وحدانيته بالدلائل القاطعة؛ لأن الشهادة إنما تكون مقبولة، إذا كان الإخبار مقرّونا بالعلم. إضافة إلى الصالحين، وهم خير من يسرع إلى الخير وبينوه للناس متى لزم الأمر، فهم قدوة الناس إلى الخير والصلاح: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢).

كما أن الاقتداء بالآباء الصالحين والمصلحين من أعظم أساليب التربية في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (٣). والآباء الذين أشار إليهم يوسف (عليه السلام) هم أنبياء الله الذين دعوا إلى توحيده الخالص: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (٤). وتنزلها الصحبة الصالحة، بما لها من أثر في المصاحب، فالصاحب الصالح عون لأخيه على فعل الخيرات والتقرّب إلى الله تعالى بالطاعات: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٥).

وبعيداً عن الترابط الأصلي بين القدوة والكاريزما من جهة، وبين الكاريزما الأصيلة والكاريزما التي تضعها هذه النصوص التأسيسية أمام أعيننا؛ نفهم إذًا، أن «فضيلة الخادم» - في القراءة اللاهوتية المسيحية - ليست في استخدام موارده الشخصية بقدر ما هي في استغلال إمكانات هبة الله (٦).

(1) آل عمران: 18.

(2) يس: 20-21.

(3) الطور: 21.

(4) يوسف: 38.

(5) الكهف: 28.

(6) SPICQ (C.): *Les Épîtres pastorales*, 2 t., Gabalda, Paris, 1969, I, p. 516.

ويعتبر السيد حسن نصر الله بذلك القدوة الحسنة، والرجل الصالح والمصلح، والمجدد لأمر الدين، تأسياً بجده رسول الله (ﷺ) وسائر الأنبياء والرسل؛ فكان بذلك قائداً فذاً وشخصية استثنائية، تسعج تماماً مع النماذج التي عرضها القرآن للقدوة الحسنة، حيث تمثل شخصية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) نموذج حي من القدوة الحسنة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ\*وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(1)</sup>. ومعنى «كان أمة»، أي إماماً في الخير يقتدى به الناس. وقد أمر رسولنا محمد (ﷺ) بالافتداء بإبراهيم واتباع ملته: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(2)</sup>. بل إن الدعوة للاقتداء بإبراهيم (عليه السلام) لم تكن لمحمد (ﷺ) وحده، بل كانت للناس جميعاً بما فيهم عبدة الأوثان من العرب: ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) النحل: 120-122.

(2) النحل: 122.

(3) البقرة: 130. ومجالات القدوة بإبراهيم، (ﷺ) كثيرة جداً، منها أنه ﷺ كان «قانتاً لله»: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ» (النحل: 120). و«قانتاً» تعني أنه (عليه السلام) كان مطيعاً لله، أو هو القائم بأوامر الله. وكان «حنيفاً»، أي مائلاً إلى دين الإسلام ميلاً لا يزول عنه: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (النحل: 120). وكذلك: «شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (النحل: 120-122). ويعني أنه كان «أواهاً»: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (التوبة: 124)، وعظيم التضرع لله والاستغفار. فكان بذلك كثير الصفح عما يصدر من قومه من الزلات، وكان «حليماً»: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ» (هود: 75). كما أنه كان بحق «كريماً»: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ\* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ\* فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ\* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ» (الذاريات: 24-27).

وقد جمعت هذه الآيات آداب وكرم الضيافة التي هي من أعظم وأشرف الآداب، والتي من أبرزها الصبر على الابتلاءات: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: 124). وهذه سمة للاقتداء به في مجال الصبر: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(1)</sup>. ومعالم الاقتداء بإبراهيم (عليه السلام) كثيرة جدا، فحاز بذلك أخلاق القرآن كلها، والتي منها نهل السيد حسن نصر الله، وتحولت معه إلى أسس موجهة لسيرته ومسيرته. ولا يمكن حصر نماذج الاقتداء لدى السيد حسن نصر الله في حدود جندرية غريبة ذات توجهات ذكورية، بل شملت قدوات نسائية تمثلا في امرأة فرعون التي ضرب الله تعالى بها مثلا للذين آمنوا، لأخذ العبرة والعظة والتأسي والاقتداء الحسن بما حملته من قيم العطف والرحمة: ﴿وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾<sup>(2)</sup>.

ومن معالم الاقتداء بها أن وصفها الله تعالى بالتضرع لربها زمن الشدائد: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(3)</sup>، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله السيئة، ومن فتنة كل ظالم،: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ

(1) الأحقاف: 35 حتى أن بره بوالده المشرك دفعه أولى طلب الاستغفار له، فلما مات كافرا، ترك الاستغفار له: «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا» (مريم: 47). وهو ما يكشف عن أنه كان سليم القلب: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ\* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الصافات: 83-84). ولم يمنعه ذلك من قول الحق والبراء من الشرك وعبادة الأوثان: «قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ\* أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الأنبياء: 66-67). وقوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ» (الزخرف: 26). فتجاوز بذلك القول إلى الفعل، فكان يهدد ويتوعد أصنامهم، في درس استثنائي في الشجاعة وقول الحق: «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ» (الأنبياء: 57).

(2) القصص: 9.

(3) التحريم: 11.

أَمْنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي  
مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(1)</sup>. فاستجاب الله لها:  
﴿نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(2)</sup>. يضاف إلى  
ذلك تعففها عن دنيا فرعون الزائفة، وطلب النجاة منها: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ  
ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾<sup>(3)</sup>.

ولكن هل الكاريزما مجرد هبة غير يومية، أم أنها نتاج أكثر تعقيداً  
لعوامل متعددة (السياق التاريخي، الوظيفة في المجتمع، إلخ)؟ هل  
يمكن أن تكون مجرد وهم مُصطنع خطابياً، من قبل ما يُسمى بالرجل  
«الكاريزمي» نفسه أو من قبل سيرته الذاتية؟ هذه هي الأسئلة التي  
يحاول مؤلفو كتاب «ماذا نعمل بالكاريزما؟» الإجابة عليها من خلال  
تحليل مفهوم الكاريزما في أعمال فيبر<sup>(4)</sup>.

ولهذا، يُعرّف القاموس الرجل الكاريزمي بصفته «القائد» الذي  
«يقود، يُوجّه، يُسير»، والقيادة بأنها: «الدولة، الوضع»<sup>(5)</sup> ورغم تمييز  
الاستخدام بين المصطلحين، إلا أنّهما يميلان إلى أن يستخدمهما  
بالتبادل، بين «القائد» بأنه الشخص الذي يمارس القيادة في مجال معين  
دون غيره، حضوراً فعلياً في قطاع يشغل فيه الآخرون مساحة محدودة،  
يقود الآخرين (مجموعة، شعب)، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية،  
في مجالات مختلفة: السياسة؛ والاقتصاد؛ والثقافة. فمن المناسب

(1) التحريم 11.

(2) التحريم 11.

(3) التحريم 22.

(4) REY (Alain): «Réflexion pour l'analyse du discours populiste»,  
in Revue Mots. Les langages du politique, N° 97, 2011, pp. 101116-.

(5) ALAIN (Rey) (dir.): Dictionnaire historique de la langue  
française, Le Robert, Paris. 1992, p. 1114.

حينئذٍ الاهتمام بظاهرة بناء هذه الصورة الاستثنائية للقائد التي تسمى الكاريزما، وفق العملية التي يُعطي بها الشخص نفسه صلاحية الاعتراف بحقه، من قبل الجسم الاجتماعي، في التصرف باسم قيمة مقبلة، ترسي مكانة تفوق الفرد على الآخرين، ومُعترف به من قبل جميع أفراد المجتمع. هذه هي عملية الشرعية، ومن ضمنها «الشرعية البيروقراطية التقليدية» القابلة للتقييم<sup>(1)</sup>.

أما العملية الثانية التي تبني عليها الشخصية الكاريزمية صورة وروح أخلاقية معينة عن ذاتها هي مسألة «المصادقية»<sup>(2)</sup>. باعتبارها حالة من التمثل الذاتي المعبر عنها في صورة الذات المتحدثة، في سياق فعل كلامي لا يخلو من بناء صورة ذاتية، في حدود بما ينشق من سلوكها وعلاقتها بالآخرين وبذاتها. وهذا ما يُسمى في البلاغة القديمة، وفي كتابات مختلفة «الأخلاق»<sup>(3)</sup> ومن البديهي أن الأخلاقية تنجم عن مزيج مما هو مُركب مسبقاً، وذلك لأن لكل شخص متحدث هوية مزدوجة: اجتماعية (كشخص) وخطابية (كمُتكلم)<sup>(4)</sup>.

(1) كما نجد «الشرعية العقلانية» التي يتحدث عنها ماكس فيبر، والتي تستند إلى كفاءة الشخص و/أو أدائه. في مقابل شكل ثالث من أشكال السلطة، وهو ما ينبع من البنية و«النسب»، ويرتكز على السلطة المطلقة لهؤلاء «أصحاب الحقوق»، باسم قانون إلهي أو قوة غامضة تكمن في «الماوراء». ويتحدث ماكس فيبر، في هذا الصدد، عن «الشرعية الكاريزمية»، لأنها تستند إلى قيم أخلاقية ودينية وجمالية، هي نعمة خاصة يُمنحها الشخص. ينظر:

WEBER (Max): *Économie et société*, Plon, Paris, 1971, p. 351 et s.

(2) CHARAUDEAU (Patrick) : *La conquête du pouvoir. Opinion, Persuasion, Valeurs*, L'Harmattan, Paris, 2013, pp. 184-191.

(3) MAINGUENEAU (Dominique): « Problèmes d'ethos », in *Revue Pratiques*, N° 113- 114, 2002.

CHARAUDEAU (Patrick): *Identités sociales et discursives*, (4) (28-Paris, L'Harmattan, 2009, p. 15).  
لذلك، جاء حديث رولان بارت عن «الروح المعنوية» من حيث هي مسألة تقاطع وجهات النظر لا تُطابق

### ثانيا - في الكاريزما وشروط الشخصية الكاريزمية:

تناول ماكس فيبر، في تأمله لطبيعة علاقات القوة القائمة في تنظيم المجتمعات وحكمها، مسألة الكاريزما، وهي ظاهرة اعتبرها أساسية لتفسير الأنظمة السياسية. لذلك، فهو يربط الكاريزما من ناحية بالشخص، بقدر ما يتأثر بـ «نعمة»: «سوف نطلق على الكاريزما الصفة غير العادية للشخصية، التي تتمتع، إذا جاز التعبير، بقوى أو خصائص خارقة للطبيعة»<sup>(1)</sup> ومن ناحية أخرى، فهو يربط الكاريزما بالوظيفة التي يؤديها الشخص، ويربطها بظاهرة «الاعتراف من جانب أولئك الذين يهيمن عليهم كاريزميا»<sup>(2)</sup> وبالتالي فهو يميز بين «كاريزما الوظيفة والسلطة» التي من شأنها أن تكون من نوع الشرعية، و«الكاريزما السحرية» الشخصية التي من شأنها أن تكون بالأحرى مسألة أخلاقية.

إذا كانت الكاريزما هي ذلك الفائض من الشخصية المتجسدة في الشخص، بما تحمله من نور وظلال، فيمكننا القول إن هناك ثلاثة شروط تحكم الشخصية الكاريزمية: من حيث «مصدرها»، وهي في جوهرها، تشير دائماً إلى شيء لا يُوصف، ولا يُلمس، موجود في «ما وراء»، ما وراء النظام الإلهي: «كل كاريزما تدعي امتلاكها بقايا من أصل سحري، مما يعني أنها مرتبطة بقوى دينية وأن هناك دائماً نعمة إلهية في داخلها»<sup>(3)</sup>.

«الحالة النفسية» الفعلية للمتحدث أو الجمهور، بل «ما يعتقد الجمهور أن الآخرين موجودون في أذهانهم». انظر:

BARTHES (Roland): « L'ancienne rhétorique », *Communications*, N° 16, 1970, p. 211.

(1) WEBER (Max): *Économie et société*, op. cit., p. 320.

(2) Ibid., p. 321

(3) Ibid., p. 322.

ومع ذلك، فإن هذا ما وراء ليس بالضرورة من النظام الإلهي. صحيح أن الكاريزما

لقد ورد في شأن ذي القرنين أن ملكه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب، وهذا هو القدر المعمور من الأرض، ومجالات الاقتداء بذي القرنين كثيرة. إذ أن عدم الفتنة بالملك، رغم أن الله تعالى قد مكن له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا»<sup>(1)</sup>؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من إقامة العدل بين الناس، بما يحقق لهم الأمن والاستقرار: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْدَبُهُ ثُمَّ يَردُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيَعْدَبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾<sup>(2)</sup>. مع المحافظة على قيمة التواضع: «قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا»<sup>(3)</sup>، فضلا عن الاستعفاف عما في أيدي الناس: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا»<sup>(4)</sup>، ومشاركة الناس أعمالهم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا»<sup>(5)</sup>.

وقياساً على ذلك، فإن ما عرف عن السيد حسن نصر الله هو جمعه لهذه الخصال كلها مجتمعة، فعاش بين أهله واستشهد بينهم، ولم يمنح

مرتبطة بشخصيات استثنائية، مُرسلة بطريقة أو بأخرى، تتخذ شكل الأنبياء، الذين يُطلقون إعلانات نهاية العالم أو الظهور، والذين يُقدمون أنفسهم كمخلصين قادمين من مكان آخر، ليجلبوا الخلاص إلى الأرض. وفي هذا يمكننا أن نقول إن هناك شيئاً مقدساً يتخلل الكاريزما.

(1) الكهف: 84.

(2) الكهف: 87-88.

(3) الكهف: 94.

(4) الكهف: 94-95.

(5) الكهف: 95.

نفسه وضعا خاصا. بل حول المسؤولية السياسية إلى رسالة عملية في خدمة الناس، ولم يجعلها غنيمة شخصية، لأنّ ورعه وتدينه الممهور بشخصية عالمة وعاملة معا، دفعه نحو بناء بيئة حاضنة لمشروعه، صنعت بتضحياتها أعظم المناقب الجماعية عبر التاريخ لأشرف الناس وأكرمهم وأنبأهم، كما تردد ذلك الشعار أكثر من مرة على لسان سماحة الشهادة. وهو قد استلهم من ذي القرنين حكمته وصنعتة في صهر الحديد، فعلمهم كيف يصنعون الردم، حتى لا يعيشوا مع الإحساس بالعجز. إلى أن جعل بينهم وبين العدو الصهيوني ردمًا؛ والقوة التي طلبها منهم: قبضات وصناع يحسنون البناء والعمل: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾<sup>(1)</sup>.

لقد حقّ له أن صنع رجالا من فلاذ لا يعصون له أمرا. والتحت إرادة السيد مع عشاقه، وما زالوا كذلك حتى صارت كالنار اشتعالا وتوهجا، فصب النحاس المذاب على الحديد المحمي فالتصق بعضه ببعض، حتى صار أمر المقاومة جبلا صلداً. ولم ينسب هذه الانجازات وما نراها من ملاحم وانتصارات إلى نفسه، بل وهبها لشعب المقاومة وحاضنتها الوفية، بل وسائر اللبنانيين، رادا ذلك كله في إطار نعم الله عليه، وما يقتضيه من وجوب الشكر لأنعمه: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾<sup>(2)</sup>.

أما الشرط الثاني فيتمثل في «مظهر» الشخصية الكاريزمية، وارتباط الكاريزما بالجسد، حيث تشع شخصيته بهذه النعمة ليُمارس سحره. ليس كل من مُنح نعمة إلهية يمارس قوة السحر هذه. لذلك، يجب على القائد الكاريزمي، من خلال جسده، أن يحمل قوة السحر هذه،

(1) الكهف: 96.

(2) الكهف: 98.

التي يجب أن تشير إلى ما وراء الكون. وهي عبارة أصيلة في المدونة الخطابية للسيد حسن نصر الله حول المابعديات (ما بعد حيفا، وما بعد حيفا)، حين تكون هذه الكاريزما «حاضرة» ونابعة من الجسد، من خلال عملية تجسيد الطاقة، والكثافة، والهيبة التي تسكن الجسد الشريف الذي يشع منه شيء غير قابل للتعريف يجذب، وحتى ينوم مغناطيسياً. وحيث شكلت حركاته موضوع عمل ومتابعة من مراكز البحوث والدراسات المتخصصة الصهيونية.

في حين شكّل «تفاعل» الشخصية الكاريزمية الشرط الثالث، بالنظر إلى أن الكاريزما مسألة تبادل؛ إنها نتيجة تفاعل الصور والنظرات التي تتناغم وتتردد صداها. وعلى الشخصية الكاريزمية أن تقدم نفسها كوسيط في مرآة هذا العالم، بحيث يجذب الجمهور إلى حركة تماثل، وفي الوقت نفسه، يدرك أن وراء المرأة مثلاً أعلى، نقاءً، مطلقاً، بعيد المنال، نوعاً من الإشباع مع حاجة إلى التماثل من جانب رأي أو مجتمع يفتقر إلى هوية أو يعاني من تراجع اجتماعي. وهكذا، يصبح القائد الكاريزمي دعامة للتماثل في حلم تحقيق المثل الأعلى. تماماً كما هو الحال مع شخصية السيد حسن نصر الله.

على أي حال، هناك شيء غامض وسحري في كاريزما السيد نصر الله، ينبع من مصدر غير مرئي. ومن ثم، يمكن القول إن جاذبيته، بقدر ما تتوافق مع ما يرتبط بالشخص ويشكل صورة له، هي مسألة أخلاقية، ويجب التعامل معها بهذه الطريقة.

فمن الناحية النظرية، ليس من المهم تماماً كيف يمكن الحكم على الجودة الاستثنائية للشخصية الكاريزمية بشكل صحيح على المستوى الموضوعي، من وجهة نظر أخلاقية أو جمالية أو غيرها؛ ما يهم فقط هو



كيف أن مصطلح «الكاريزما» يخفي أيضًا فجوات في المعنى سرعان ما تُكبت، حيث يحل اكتمال الكلمة محل غياب المفهوم. وفي عصر الشعبوية المتجددة، تُعدّ الكاريزما العنصر الأمثل لتلبية متطلبين جذابين: موهبة سياسية ذات طابع جمالي ومسرحي متزايد من جهة، والاعتراف المفترض بالقدرة الذاتية على اتخاذ القرار لدى الشخص الذي يُقال إنه يتمتع بالكاريزما من جهة أخرى. بجمالها وفعاليتها، تُحدث الكاريزما تمييزًا أنثروبولوجيًا. فقد افترض إيف كوهين (Yves COHEN) بحق أنه في مواجهة الأفقية السياسية والاقتصادية التي تميز العالم منذ عام 1968، فإن «التعبير الثابت» عن «الزعيم الكاريزمي» يشكل لأن محاولة لإنقاذ التسلسل الهرمي»<sup>(1)</sup>

وإذا كان مصطلح «كاريزما» مفهومًا يختزل بيئة حاضنة ومولدة له، تشير إلى جملة الخصائص الرمزية والأبنية الثقافية المعبرة عن مرجعية حضارية؛ فإن منطق التنسيب يرفض كل إحالات تعميمية مغالطية، من شأنها أن تساوي، على نحو من التواطؤ المخل، بين تجارب متباينة لأسماء متناقضة، كما هو الحال في سماحة السيد حسن نصر الله مثلاً، وما طبقه إيان كيرشو (Ian KERSCHAW) من تفسير ليس أصيلاً على هتلر، كمفتاح منهجي لنسب قوة تفسيرية إلى عامل نفسي اجتماعي كالكاريزما، وهي قوة مبالغ فيها في حالة النازية، وتبدو غير مناسبة تمامًا

(1) COHEN (Yves): «Qui a encore besoin du charisme? Ou pour histoire politique sens», in *Sensibilités. Histoire critique & sciences sociales*, N°1, 2016, pp. 37- 51.

وذلك بصفته قائدا يتمتع بصفات "بارزة لدرجة أنها تبدو لهم [أتباعه] خارقة للطبيعية". انظر

MICHELS (Robert): « Les partis politiques et la contrainte sociale», in *Mercure de France*, 1<sup>er</sup> Mai 1928, p. 515.

كأساس للتفسير التاريخي<sup>(1)</sup>. وهو تمييز يستحضر الرسالة الأخلاقية للشخصية الكاريزماتية، المعبر عنها في شخص الشهيد نصر الله.

فكيف امتلكت هذه الشخصية الكاريزمية سلطة المرابي؟

هذا السؤال، الذي يتقاطع فيه علم الاجتماع مع العلوم التربوية، مثيرٌ للانقسام. فمن جهة، يعتقد البعض أن السلطة تركز أساسًا على تطوير إطار هيكلية وموقف تربوي مشروع، بغض النظر عن السمات الشخصية الكاريزما/المعلم<sup>(2)</sup>. ومن جهة أخرى، يبدو من الصعب تجاهل حقيقة أن الشخصيات الكاريزماتية الأكثر تأثيرًا غالبًا ما تتمتع بسلطة تربوية قوية، قادرة على أسر الأتباع والمعجبين وإلهامهم<sup>(3)</sup>.



(1) KERSHAW (Ian): *Hitler : a Profile in Power*, 1991, trad fr. *Hitler: essai sur le charisme en politique*, Gallimard/Folio, Paris, 2001.

كما يلجأ بعض المؤرخين إلى مفهوم قديم، من روايب قديمة يشعر الناس بالانتماء إليها، والتي تُعاد تنشيطها على الفور في وقت اللحظة المنتظر منذ ألفي عام، وفقًا للتسلسل الزمني الألفي الذي اقترحه «مؤرخ» مثل هاينريش هيملر. ينظر:

HIMMLER (Heinrich): *Discours secrets*, Paris, Gallimard, 1978, p. 168 cit. par Philippe Burrin, « Charisme et radicalisme dans le régime nazi », in Henry Rousso (dir.), *Stalinisme et nazisme. Histoire et mémoire comparées*, Bruxelles, Éd. Complexes, 1999.

وفقًا للرؤية «التأزيرية» للكاريزما التي ناقشها بعض الباحثين.

SCHWEITZER (Arthur): *The Age of Charisma*, Nelson-Hall, Chicago, 1984.

(2) ROBBES (B.): *L' autorité enseignante. Approche clinique*. Champ Social, Paris, 2016. DOI : 10.3917/chaso.robbe.2016.01.

(3) GRAVELEAU (S.): « Passionnés, charismatiques, critiques... ces professeurs qu' on n' oublie pas », in *Le Monde*, 19 septembre 2017.

هذا التوتر هو جوهر الأساس، في ارتباط مفهوم الكاريزما بامتدادات غير عيانية، ومراوحتها بين مجمل التظاهرات الشكلانية في محدوديتها النظرية في الفلسفات والمنظومات التربوية الغربية، وتلك الأبعاد الروحية والرسالية في طغيانها، داخل السياق المرجعي للهوية الدينية الإسلامية، المتحققة في شخصية السيد حسن نصر الله الكاريزماتية. إذ لا تكفي المعطيات الدلالية المستخدمة في المطارحات الغربية للاستجابة لمقتضيات مفاهيم أساسية مرافقة على نحو من الإلزام العلني والخفي معا. وحيث يتنزل مفهوم القدوة، باعتباره سندا وأوليا ومخرجا أصيلا لأزمة الكاريزما/المربي<sup>(1)</sup>.

وليست سلطة القدوة شكلاً من أشكال الهيمنة التعسفية، بل هي جزء من ديناميكية علائقية قائمة على الالتزام والموافقة. وتهدف إلى خلق الظروف للتعلم الذاتي، وليس إبقاء العناصر تحت النفوذ، من خلال فرض «المنطق المتكرر والقهري لقوة الإخضاع»<sup>(2)</sup>. وهي أقرب إلى المعنى التحرري لسلطة «تسعى إلى مصلحة المُطيع أكثر من مصلحة

(1) القدوة هي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة. وقد وردت مفردة "قدوة" في القرآن الكريم في موضعين، والصيغ التي وردت هي: فعلاً، الأمر، وقد ورد مرة واحدة: قال الله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ» (الأنعام: 90). وورد مرة واحدة في صيغة اسم الفاعل، في قوله تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ» (الزخرف: 23). وقد وردت القدوة في القرآن الكريم بمعنى «الأسوة» الذي يقتدى به، ويتخذ مثلاً يجب اتباعه كفعل والافتداء به كفاعل، قال الله تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ» (الممتحنة: 4).. والاتباع هو اقتفاء أثر شخص والسير على نهجه: «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» (يس: 20-21)

(2) ROBBES (B.): Avoir de l'autorité. Pour une approche clinique de l'autorité enseignante. Dans Beretti (M.) Boudjadi (G.), Point (C.) et Roelens (C.) (dir.): *L'autorité en éducation : figures, variations, recompositions*, 2023, p. 23.

الأمر»<sup>(1)</sup>. لذا، جسدت خطب السيد نصر الله، فضلا عن سيرته النضالية، خلاصة شكل من هذه السلطة المجسدة للتوازن المطلوب بين الثقة المتبادلة، والاعتراف بإطار تعليمي يشرعن على نحو عملي ممارسة هذه السلطة حقًا، مع وجود شكل من أشكال الحضور الجذاب الذي يأسر الأتباع ويُلهم دعمهم. وهي تستند إلى كاريزما ساحرة وفيها الكثير من ديناميكية عرفها ماكس فيبر مختلفة تمامًا، تُضفي على صاحبها هالة خاصة، تُوجب الإعجاب والطاعة: «يملك القادة الكاريزماتيون [...] مواهب جسدية وعقلية تُعتبر خارقة للطبيعة»<sup>(2)</sup> مع وجود فروق جوهرية لم يلحظها فيبر إلا في شكل انتهازي، يجعل من الشخص الكاريزماتي «يتولى المهمة الموكلة إليه ويطلب بالطاعة والإخلاص بحكم هذه المهمة»<sup>(3)</sup> بحجة أنه عندما تسعى السلطة إلى التنظيم والتحرر، يمكن للكاريزما أن تثير تعلقًا أو انبهارًا يكاد يصل أحيانًا إلى حد السيطرة، كما هو حاصل في علاقة السيد بمناصريه.

وفقًا لذلك، امتلكت هذا الشخص الكاريزماتي صفات استثنائية أضفت عليها هالة خاصة، تُولد الاحترام والفتنة. وتُشكل هذه القوة العاطفية جوهر النقاشات حول سلطة الكاريزما التربوية. فبينما يرى البعض أن الكاريزماتية أداة تربوية محتملة، يربطها آخرون، وهم أكثر عددًا، بالتلاعب والسيطرة والتوظيف، بحسب ضعف استجابة هذا المفهوم لشروط القدوة. فبالنسبة لبرونو. روبس (B. ROBBES)، على سبيل المثال، «يستخدم المعلم الكاريزمي الإغواء بدلًا من القوة،

(1) ROUSSEAU (J.J.): *Discours sur les fondements de l'inégalité parmi les hommes* (1755), Éditions Sociales, Paris, 1983, p.159.

(2) WEBER (M.): *La domination*, Éditions La Découverte, Paris, 2013, p. 270.

(3) Ibid., p. 271.

لكن هدفه يبقى إخضاع الآخرين لإرادته»<sup>(1)</sup>.

وفي هذا استعادة لتجربة إنسانية من الجنسين، أولها قصة اقتتال ابني آدم، ليتضح أن مجالات القدوة السيئة تتجلى في: المعصية، والظلم، والحسد، وقد توج هذا بالقتل: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِنِّي أَدَمُ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(2)</sup>. وقد ترتب على هذه الجريمة أن يحمل القاتل الأول تبعات جريمته مع كل حالة اقتداء به: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(3)</sup>.

أما ثاني هذه التجربة في القدوة السيئة فتعود إلى امرأة لوط وامرأة نوح، وجعل الله حالة هاتين المرأتين عظة وتنبها للذين كفروا: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحَ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

كما أن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط لم تكن أخلاقية (الزنا)، لأن الأنبياء (عليهم السلام) لا يتليهم الله في نساءهم بفساد، وإنما كانت الخيانة في الدين. ومما يقتضيه ذلك من وجوب أخذ العبرة والعظة وعدم الاقتداء بهم: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) ROBBES (B.): (2016). *L'autorité enseignante. Approche clinique*. Champ Social, 2016, p. 24. DOI : 10.3917/chaso.robbe.2016.01.

(2) المائدة: 27.

(3) المائدة: 32.

(4) التحريم: 10.

(5) الذاريات: 37 وقوله تعالى: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» (الأعراف: 84)، وقوله تعالى: «فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ فَفَجَعَلْنَا

من هذا المنظور، لا تُمكن الكاريزما من بناء علاقة تربوية متوازنة بل تظل حبيسة وظيفة الاتباع؛ وهي الصورة المعبرة عن القدوة السيئة، التي تأخذ، على العكس من ذلك، طابعا ديماغوجيا، يخفي رغبة في ترسيخ سلطته على أساس سعيه للاعتراف الشخصي به كـ«شخصية بطولية»<sup>(1)</sup> تُعلي من شأن حالته وشخصيته النرجسية على حساب الوظيفة التربوية ذاتها. وهو ما لا ينطبق مطلقا على شخصية السيد حسن نصر الله، لافتراق المرجعية النظرية في عمرها الأخلاقي التي ينتمي إليها سماحته، والقائمة على تلازم مساري القول والفعل، وعدم افتراقهما، لما يوجبه ذلك من تحقق مقدمات النفاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.



يسلّط المنهج التحليلي النفسي الضوء على هذه الظاهرة من خلال دراسة القضايا اللاواعية والتحويلية، التي تُشكّل أساس علاقة السلطة، كما أشار كاريل (A. CAREL)، فإننا نتساءل باستمرار، عن الحدود بين السلطة والاستبداد<sup>(3)</sup> وذلك في إطار مرجعية «القدوة السيئة»، باعتبارها اتباع الإنسان لغير هو تأسيه به في الشر والباطل وفعل

عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِمُتَوَسِّمِينَ (الحجر: 74-75)، «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» (الشعراء: 173-174)، وقوله: «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (العنكبوت: 34-35)، و«ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ \* وَإِنكُمْ لَتَمْرُؤُنَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ \* وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الصافات: 138-139).

(1) DUBET (F): « Une juste obéissance ». in *Autrement*, N° 198, 2000, p. 146.

(2) الصف، 2-3:

(3) CAREL (André) : «Le jeu, le rêve et le soin», in *Gruppo/Revue Groupal, Revue de Psychanalyse Groupale*, Éditions ApsyGéés, N° 9, 1993, pp. 161179-.

المنكرات. ولا يقف الحد عند الاتباع فحسب بل يتعدى ذلك إلى الدفاع عن أهل الباطل وتبرير أفعالهم، والتسويق لكفرهم أو فسقهم وفجورهم. ومن أبرز رموز القدوة السيئة التي ذكرها القرآن الكريم الشيطان وحزبه، بأن يحذو حذوهم متناسيا أمر خالقه سبحانه في وجوب اتخاذه عدواً: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(1)</sup>. والسبب هو أن الاقتداء بإبليس يجلب الحسرة والخزي والندامة، حين يتبرأ من متبعيه يوم القيامة: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَقْتَكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمَا أَنْفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

كما أن تقديم طاعة القادة والزعماء على طاعة الخالق، إما خوفاً من بطشهم، أو طمعا فيما بين أيديهم من الجاه والمال: ﴿وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾<sup>(3)</sup>. وهذا مصير أي ولاء يكون لغير الله، فإن القادة سيتخلون عن أتباعهم يوم القيامة: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ \* قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدِ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾<sup>(4)</sup>. يضاف إلى ذلك الآباء الكافرون كخطر اجتماعي يهدد إيمان الأسرة.

(1) فاطر:6.

(2) إبراهيم:22.

(3) إبراهيم: 21.

(4) غافر: 47-48.

وهذا ما نعه الله تعالى على المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(1)</sup>. كما أن الصحبة السيئة هي وجه آخر من القدوة السيئة: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكُ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾<sup>(2)</sup>.

فالواضح من الآية الكريمة أن الصاحب الفاسد هو سبب هلاكه ودخوله النار: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَّ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾<sup>(3)</sup>. وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر نماذج من القدوة السيئة، ومن أبرزهم فرعون، حتى إن الله تعالى نجى بدنه بعد إهلاكه، ليكون عبرة لكل من اقتدى به: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) البقرة: 170.

(2) طه: 16. وقوله تعالى: «وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا\* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا\* لَقَدْ أَصَلَّيْتُ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا» (الفرقان: 27-28).

(3) الكهف: 28.

(4) يونس 92. ومن الآيات التي جاء التحذير فيها صراحة من الاقتداء بفرعون قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ\* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ\* يَقَدِّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ\* وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ» (هود: 96-99). أما نماذج القدوة السيئة في شخصية فرعون فكثيرة جدا أذكر منها «العلو»: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» (القصص: 40). إلى حد أن تجبر فرعون في أرض مصر وتكبره وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودية: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى\* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى\* أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى» فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى\* وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى. فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى\* فَكَذَّبَ وَعَصَى\* ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى\* فَحَشَرَ فَنَادَى\* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى\* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى\* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» (النازعات: 17-26). واقترن الاستكبار لديه بالإسراف: «مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ» (الدخان: 31). والطغيان وهو تجاوز الحد في العصيان:

عندما يستخدم الشخص الكاريزماتي الإغواء لممارسة سلطته، يُمكنه الدخول في ديناميكية «الحب النرجسي»، كما عرّفه م. سيفالي (M.CIFALI)<sup>(1)</sup>. في هذه الحالة، لم تعد العلاقة الكاريزماتية موقفا تربويا يهدف إلى تحرير الأتباع؛ بل تصبح مصدر إشباع للشخصية الكاريزماتية التي تتغذى على التعلق الذي تثيره. فتُضعف هذه الديناميكية المسافة اللازمة لأي نقل من خلال إرساء علاقة تأثير، يصبح فيها تقدير الشخص الكاريزماتي غاية في حد ذاته. وهكذا، تُخاطر السلطة الكاريزمية بتحويل العلاقات التربوية عن هدفها التحرري، بتوجيهها نحو علاقة إلزام غير مشروط بشخصه. وإذ يُنظر إلى الكاريزمي على أنه كائنٌ موهوبٌ بكل الكمالات، فإنه يجد نفسه في موضع قوة مطلقة، يعززه إسقاط توقعات الأتباع ورغباتهم<sup>(2)</sup>.

يتجاوز هذا التعظيم التماهي مع سمة واحدة، تنتج علاقة تبعية عاطفية تتسم بـ«التصاق» بالآخر<sup>(3)</sup>؛ لدرجة أن الشخص الكاريزماتي، بدلاً من تعزيز استقلالته، يميل إلى الحفاظ على رابط تعلق يُعزّز مكانته. ولهذا السبب، يرى ج. مندل (G. MENDEL) أن السلطة

---

« أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى » (النازعات: 17). فضلا عن امتناع فرعون وجنده عن قبول الإيمان ترفعاً وتكبرا، كان استكبار فرعون وجنوده بامتناعهم عن قبول الإيمان ترفعاً وتكبرا: «وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ (القصص: 39). ولما كان الاستكبار مقترنا بالظلم، فقد حاز فرعون الأشكال الثلاثة من الظلم بسبب اسرافه في الفساد والإفساد

(1) CIFALI (M.): *Le lien Éducatif : contre-jour psychanalytique*. PUF, Paris, 1994, p. 120.

(2) FREUD (S.): « Pour introduire le narcissisme ». Dans *La vie sexuelle* (1914), PUF, Paris, 1989, pp. 81105-.

(3) FREUD (S.) : *Psychologie des foules et analyse du moi* (1921), Payot, Paris, 2012.

الكاريزمية تُؤد «طفولية» للفرد<sup>(1)</sup>. من خلال استغلال، ما يسميه فرويد (Sigmund FREUD 1856 - 1939)، «قلق الهجر»<sup>(2)</sup>.

ولهذا، حدّر بيار بورديو (P. BOURDIEU 1930-2002) من مخاطر أسلوب تربوي يعتمد على شخصية المعلم الكاريزمية أكثر من المحتوى<sup>(3)</sup>. وبالتالي، فإن الشخص الكاريزماتي يُخاطر بفرض سيطرة عاطفية، مما يُضر ببناء علاقة تعليمية، يصبح بمقتضاها التابع موضوعاً مستقلاً. من هنا، تُطرح مجموعة أسئلة تتصل أولاً بمدى ارتباط الكاريزما بالشرعية؟ وما إذا كانت الروح والكاريزما مفهومين متطابقين أم مختلفين، وهل هما تابعان أم مستقلان عن الظروف الاجتماعية والتاريخية؟



يُميز فيبر بين عدة أنواع خالصة من الهيمنة الشرعية: الهيمنة القانونية-العقلانية، والهيمنة التقليدية، والهيمنة الكاريزمية. لكن المنطق القانوني-العقلاني وحده لا يسمح بالاعتراف بالهيمنة أو قبولها من قبل المُهيمن عليه. فلكي تُقبل بالكامل، يجب أن تكون مصحوبة بمبررات فردية وجماعية تدعم هذا الاعتقاد. يمكن أن يكون هذا العنصر تقليدياً بطبيعته، أو كاريزمياً بطبيعته، ويشكل الأساس الخفي للهيمنة القانونية-العقلانية. وهنا يأتي مفهوم «كاريزما الوظيفة».

(1) MENDEL (G.): *Une histoire de l'autorité*, Éditions La Découverte, Paris, 2003, p.227.

DOI : 10.3917/dec.mende.2006.01.

(2) FREUD (A.): *Le normal et le pathologique chez l'enfant*. Gallimard, Paris, 1968.

(3) BOURDIEU (P.): *Raison pratique. Sur la théorie de l'action*. Seuil, Paris, 1994.

### ثالثاً - الكاريزما: بين تأكيد الذات والتحديات الأخلاقية:

يبدو أن الكاريزما سمة متأصلة في عمل الجماعة، حتى أنه حين يحلل جان كلود مونود (J.C. MONOD) شخصية القائد، التي غالباً ما تُشبه الكاريزما، فإنه يميزها عن شخصيات المعلم أو الأب أو القاضي المتعلم، مع وضعها في إطار التحديات المعاصرة للديمقراطية<sup>(1)</sup>.

وهي عادةً ما تصاحب شخصية القائد، حتى في المجتمعات الديمقراطية، ولا تُكتسب إلا من خلال إظهار قدرات معينة بفعالية، بحسب القراءة التي ذهبت إليها إيزابيل كالينوفسكي، وفق التمشي المعتمد في فكر فيبر<sup>(2)</sup>.

من هذا المنظور، تتسم الكاريزما ببعده أدائي: فهي تستند إلى أفعالٍ ظاهرة وقابلة للإثبات يعترف بها المجتمع. وكما يشير فيبر: «لا يكتسب البطل الكاريزماتي [...] سلطته ويحافظ عليها إلا من خلال إظهار نقاط قوته في الحياة. عليه أن يصنع المعجزات إذا أراد أن يكون نبياً، وأن يقوم بأعمال بطولية إذا كان يطمح إلى أن يكون قائداً حربياً»<sup>(3)</sup>.

وعليه، لا بد لفهم الشخصية الكاريزمية القائدة والقدوة الحسنة لدى السيد حسن نصر الله إلا متى تم الفصل بين مستويين من التحليل، وهما الشخصنة (Personnalisation) والمأسسة (Institutionnalisation). صحيح أن السيد كان شخصية فذة واستثنائية، إلا أنه لم يكن ينتمي إلى السياقات الفلسفية السلبية

(1) MONOD (J.C.): (2012). *Qu'est-ce qu'un chef en démocratie ? Politiques du charisme*, Le Seuil, Paris, 2012.

(2) KALINOWSKI (Isabelle):(2016). Max Weber et la nature du charisme. *Sensibilités*, 1, 1125-.DOI : 10.3917/sensi.001.0011).

(3) WEBER (M.):*La domination*, op. cit.,p. 274.

لمصطلح «التخصيص» («personnalisation»)، وهو أقل شيوعاً من «التفرد» («Individualisation» أو «personnalisme») (الشخصنة). فهو يشير إلى صنع شيء فريد للفرد. ويرتبط هذا المفهوم بتأملات حول أولوية الشخص، وتحرره من المؤسسات، وتكوين الذات.

إن فهم كاريزما السيد تكون بترك المعايير القائمة شكلياً على حالها، ووضع نفسها كقلب جديد للعمل التنظيمي، والتي لا تجسد الشخصية الكاريزمية له كثوري محترف، الذي يُقيم علاقة مباشرة مع قوانين ومؤسسات عصره بهدف تحييدها. ولا تُغذي الكاريزما تمرد السيد على المنظومة القائمة، بل تُدخل، بمهارة أكبر، إزاحةً ضمنيةً للمصدر المعياري؛ مما يُفرغ المؤسسة من محتواها الخارجي، ويُحترم غموضها مع إدانتها بالتفاهة، ودون أن يشير ذلك إلى أن الكاريزما تُلغي القانون.

لقد كان للقدوة المتجسدة في السيد الشهيد تأثيرٌ كبيرٌ على المجتمع، فهي تؤثر على سلوكيات الأفراد ومواقفهم، مما يساهم في بناء مواطنين مسؤولين وملتزمين، وأجيال ومؤسسات، شكلت رؤية حية وبديلاً استراتيجياً متكاملًا، يحمل آمال شعوب وأجيال، وهي تعبير أصيل عن المفهوم الذي ينطوي فيه التباين المنحط لما يسميه فيبر بـ «أمتشاريزما» (كاريزما المنصب أو الوظيفة) على انخفاض في الكثافة الوجودية، إذا جاز التعبير، لصالح التنشئة الاجتماعية الأوسع<sup>(1)</sup>.

في كتاب «الاقتصاد والمجتمع»، تتجلى هذه العلاقة الجدلية بين الكاريزما والمنصب بشكل أوضح من الناحية المفاهيمية. ليس فقط فيما يتعلق بالغموض النموذجي لمفهوم «الأمتشاريزما» المذكور سابقاً، حيث ينتقل الجوهر الكاريزماتي من الذات إلى الإجراءات وفقاً لما

(1) WEBER (M.): *La domination*, op. cit., p. 312 s.

يبدو للغير، بقدر ما هو تكييف تقني، كقانون تاريخي لا مفر منه مع ظهور الجماهير على الساحة السياسية والاجتماعية. لذلك، فنحن بحاجة إلى القدوة الحسنة غير المبتلاة بداء الشخصية المرضية، حين تذيب الذات الكاريزمية كل من حولها في ذاتها النرجسية كتوابع ولاحق متشيئة لذات القائد المتوحدة، على نحو التآله وادعاء التميز والتفرد. وهو ما ينسجم مع ما عهدناه عن السيد نصر الله، حين تحول إلى خيار المأسسة. وهو مصطلح يستخدم على نطاق واسع في النظريات الاجتماعية للإشارة إلى عملية وضع شيء ما (على سبيل المثال، مفهوم، أو دور اجتماعي، أو قيمة معينة، أو نمط سلوك) داخل منظمة، أو نظام اجتماعي، أو مجتمع ككل. وفي الفلسفة، يشير مصطلح «المأسسة» إلى العملية التي تُحوّل من خلالها المعرفة والممارسات والأفكار الفلسفية إلى معرفة مشتركة ومعترف بها اجتماعيًا. ويشير إلى الطريقة التي يُنظّم بها الفكر الفلسفي ويُنقل ويكتسب بها شكلاً مستقرًا، ليصبح «نظامًا مؤسسيًا» يُشكّل النشاط الفلسفي وهوية الأفراد ضمن هذا التقليد.

هذه معالم المأسسة التي جسدها السيد حسن نصر الله، من حيث هي عمليةٌ ينشأ من خلالها واقعٌ اجتماعي مقاوم، داخل مجتمع هجين وغير متجانس. وقد تحوّلت إلى آليةٍ يتشكّل من خلالها تدريجيًا ما لم يكن يُدرکه الفاعلون الاجتماعيون بعدُ على أنه سيتخول إلى ظاهرة ثورية مغرية، عابرة للتفاصيل المذهبية، رغم خلفيتها الدينية غير المضمرة، من خلال الحضور الجماهيري الواسع، ومن خلال أنشطتهم الفكرية وخطاباتهم وممارساتهم، وينتهي به الأمر إلى اكتسابه صفةً خارجيةً أو قوةً أو تماسكًا كافيًا في نظرهم للاستفادة من تحديد الواقع.

إذا كان هناك مؤسسة، فذلك بسبب وجود مشاكل في السلطة؛ الأمر الذي يتطلب إعادة تفسير مبدأ الكاريزما من منظور مناهض للاستبداد ضمن تجربة السيد حسن نصر الله. ففي حين أن الخوف ضروري أحياناً لترسيخ السلطة، فإن السلطة الكاريزماتية وحدها هي القادرة على تحقيق شكل من أشكال الطاعة الطوعية الدائمة، من خلال دعم المهيمن. يُعد هذا العنصر جوهرياً في فكر فيبر: «لكي تنجح السلطة في المطالبة باحتكار الإكراه المشروع، لا بد من وجود قبول، واستيعاب لهذه الشرعية من جانب المهيمن عليه.»<sup>(1)</sup>



وبالتالي، يمكن إعادة تفسير مبدأ الكاريزما في الشرعية بمعنى مناهض للاستبداد، بقدر ما يُعتبر الاعتراف بالقائد أساساً لشرعيته وليس نتيجة لها. من هذا المنظور، تُعدّ الانتخابات، على سبيل المثال، تأكيداً لاحقاً لسلطة الفرد الكاريزماتي، فإن ذلك لا ينطبق مع الزعامة غير التقليدية للسيد. وهو أمر متاح حين نكرس - كما فعل فيبر - جزءاً كبيراً من التفكير في أساس الشرعية المسؤول عن توفير «الإيمان» الذي يسمح بطاعة السلطة دون استخدام القوة. في مجتمع تنبع فيه العلاقات الهرمية من كاريزما كآل فرد، يتمثل الإيمان بـ «الإخلاص للفضيلة البطولية أو الشخصية المثالية للشخص»، أي علاقة عاطفية بين القائد أو زعيم الحزب، السيد مثالا، وأتباعه. يصل هذا الانقلاب في تفسير أساس السلطة إلى حدّ محو فكرة القائد لصالح شخصية تمثيلية، أو حتى خادمة للمناصرين. وهذه بالضبط كاريزما السيد حسن نصر الله الحكيم، التي تتجاوز الظروف السياسية. فالحكيم الحقيقي خارج نطاق السلطة، لا أفق له سوى المثل الإنسانية، ويقف فوق التناقضات الإنسانية. ولكن،

(1) WEBER (F.):Max Weber. Les textes essentiels, Paris, Hachette, Paris, 2001.

إذا بدا السيد الزعيم الكاريزمي قوياً، فهو بسبب أنه ممثّل لفئة مستضعفة من الشعب، حيث تكون العلاقة بين القائد والشعب عاطفية أكثر منها إيديولوجية. إنه مُشبع بالتعاطف الإنساني، لأنّه يُفكّر في الناس بذكاء تام، فيتعاطف معهم، ويسعى لإنقاذهم، ليس لأسباب انتخابية كالزعماء الشعبويين، بل لأنّ هذا هو مبرر وجوده، وهذا ما يُربّبه من الكاريزما المتسامية. من الواضح أنه سيكون من الصعب العثور على هذا النوع من الكاريزما في السياسة. بهذا المعنى، أطلق السيد طاقةً مُبتكرةً تتحدى العقائد الجامدة. علاوةً على ذلك، يجبر أتباعه على الانحياز، والإعلان عن أنفسهم بشكل فردي بدلاً من الاختباء وراء «النعمة الطقسية التي يمنحها الكهنة تقليدياً». ومع ذلك، تُوازن هذه الطبيعة الثورية بحقيقة أن الكاريزما قد تكون أيضاً نتيجةً لتكوينات خارجية غير عادية، أي نتيجةً لموقف ثوري ولم تعد سبباً له.

في الواقع، يبدو أنّه في حالات الشدائد، يتبلور الأمل لدى أشخاص ذوي صفات استثنائية يصبحون نقطة التقاء لتوقعات مجموعة في لحظة معينة. من هذا المنظور، يعدّ السيد حسن نصر الله «رجل الموقف».

## خاتمة

الحاجة إلى القدوة تنبع من الطبيعة الإنسانية التي تميل للتعلم من النماذج الحية، عندما نرى شخصا حقق ما نطمح إليه، نصبح أكثر يقينا بأن أهدافنا ممكنة التحقيق. والقدوة تساعدنا أيضا على تجنب الأخطاء، فهي تقدم دروسا مستفادة من تجاربها، وتمنحنا رؤية واضحة للطريق الذي يجب أن نسلكه، مما يوفر الوقت والجهد والمال، لمالها من تأثير كبير على التصورات والأفكار التي تنطلق منها الأعمال. كما أنها من أفضل الوسائل التربوية المؤثرة في النشء؛ لأنها تطبيق عملي يثبت قدرة الإنسان على نقل المعرفة من الإطار النظري إلى الواقع العملي المؤثر.

إن النموذج الكامل للقدوة المعاصرة قد تجسدت في شخصية السيد حسن نصر الله، بما تدعو إليه من تنمية اهتمام عام بالإنسانية، وهو شعورٌ صوفيّ نموذجي بالأخوة والرحمة والشفقة تجاه جميع المخلوقات، ما وصفه بودليير (Charles BAUDELAIR 1821 - 1867) بـ«الروح المقدسة»، التي تُسلم نفسها «للوفاة الأول» بدلا من شخص محدد، للدلالة على هذا الشكل المؤسسي، الذي يقوم على شخصنة السلطة مع احترام الأشكال القانونية القائمة، للتعويض عن البيروقراطية غير الشخصية، ولإتاحة «تفعيل الجماهير». ومع ذلك، فإن القدوة ليست منصبا أو مكانة اجتماعية، بل هي مسؤولية كبيرة تتطلب من الشخص

التحلي بصفات إنسانية سامية. في عالم اليوم، نحن بحاجة إلى قدوات تلهمنا فعل الأفضل، وتدفعنا للعمل من أجل مستقبل مشرق. لذلك، يجب أن يسعى كل فرد ليكون قدوة حسنة في محيطه؛ لأن التأثير يبدأ بخطوة بسيطة، لكنه يمكن أن يغير الكثير من السلبيات.

لذ، فكانت خطابه أصدق إنباء؛ سيفاً حاداً فاصلاً بين الحقّ والباطل، ساعده ذلك على امتلاك قلوب الجماهير ليس في لبنان فقط، بل في العالم الإسلامي كلّهُ؛ فلم يكن بالمستضعفين رحيمًا، وبالمستكبرين شديدًا فحسب، بل كان أيضًا لاعبًا سياسيًا بارعًا وشخصيةً فذاً يمقت الضعف ويعرف كيف يستغلّه، باحثًا حثيثًا عن مواطن الضعف ليهاجمها، سواء عند أعدائه أو عند المقربين منه.

رحل السيّد حسن نصر الله، لكنّه ترك وراءه مؤسسة انصهرت فيها شخصيته؛ ربّما أغلق برحيله حساب الماضي، لكنّه أبقى أسئلة «ثقيلة الوطأة» حول مستقبل حزب الله ومحور المقاومة والمنطقة كلّها، مفتوحة وبلا إجابات مغلقة..

للدراسات والتوثيق والنشر

## البيليوغرافيا

القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

الكتاب المقدس: العهد الجديد.

أولاً: المصادر

-Pseudo-Denys l'Aréopagite, *La hiérarchie céleste* (seconde moitié du V<sup>e</sup> siècle), trad. M. de Gandillac, Paris, Cerf, 1958.

- ROUSSEAU (J.J.):*Discours sur les fondements de l'inégalité parmi les hommes* (1755), Éditions Sociales, Paris, 1983.

- WEBER (Max):*Économie et société*, trad. française, Paris, Plon, 1971.

-WEBER (Max) : *La Domination*, La Découverte, Paris, 2013.

- WEBER (Max): *Le Judaïsme antique*, Paris, Flammarion, 2010.

- WEBER (F.):*Max Weber. Les textes essentiels*, Paris, Hachette, Paris, 2001.

- WEBER (M.):*La domination*, Éditions La Découverte, Paris, 2013.



## ثانياً: المراجع

### أ- الكتب

- AGAMBEN (Giorgio) :*Le règne et la gloire. Pour une généalogie théologique de l'économie et du gouvernement*, Paris, Seuil, 2008.
- ALAIN (Rey) (dir.):*Dictionnaire historique de la langue française*, Le Robert, Paris. 1992.
- BLASI (Anthony J.) : *Making Charisma : The Social Construction of Paul's Public Image*, New Brunswick, Londres, Transaction Publishers, 1991.
- BOURDIEU (P.):*Raison pratique. Sur la théorie de l'action*, Seuil, Paris, 1994.
- CHARAUDEAU (Patrick):*Identités sociales et discursives*, Paris, l'Harmattan, 2009.
- CHARAUDEAU (Patrick) : *La conquête du pouvoir. Opinion, Persuasion, Valeurs*, chap. II., L'Harmattan, Paris, 2013.
- CHRYSOSTOME (Jean):*Commentaire sur l'évangile selon Saint Matthieu*, trad. Jeannin, Bar le Duc, Guérin & Cie, Paris, 1865.

- CIFALI (M.): *Le lien éducatif : contre-jour psychanalytique*. PUF, Paris, 1994.
- FREUD (A.): *Le normal et le pathologique chez l'enfant*. Gallimard, Paris, 1968.
- FREUD (S.) : *Psychologie des foules et analyse du moi* (1921), Payot, Paris, 2012.
- HIMMLER (Heinrich): *Discours secrets*, Paris, Gallimard, 1978.
- KERSHAW (Ian): *Hitler : a Profile in Power*, 1991, trad. fr. *Hitler: essai sur le charisme en politique*, Gallimard/Folio, Paris, 2001.
- MONOD (J.C.): (2012). *Qu'est-ce qu'un chef en démocratie ? Politiques du charisme*, Le Seuil, Paris, 2012.
- REY (Alain) dir.: *Dictionnaire historique de la langue française*, Le Robert, Paris, 1992.
- SPICQ (C.): *Les Épîtres pastorales*, 2 t., Gabalda, Paris, 1969.
- SCHWEITZER (Arthur): *The Age of Charisma*, Nelson-Hall, Chicago, 1984.



ب- المقالات والدوريات

- BARTHES (Roland): « L'ancienne rhétorique », *Communications*, n° 16, 1970.
- BURRIN (Philippe) : « Charisme et radicalisme dans le régime nazi », in Henry Rousso (dir.), *Stalinisme et nazisme. Histoire et mémoire comparées*, Bruxelles, Éd. Complexes, 1999.
- CAMIC (Charles): « Repetition with Variation : A Mertonian Inquiry into a Lost Mertonian Concept », in Y. Elkana, A. Sziget, G. Lissauer (eds.): *Concepts and the Social Order: Robert K. Merton and the future of Sociology*. Budapest, Central Europe-an University Press ,2011.
- CAREL (André): "Le jeu, le rêve et le soin", *Gruppo/Revue Groupal, Revue de Psychanalyse Groupale*, Éditions ApsyGées, N° 9, 1993.
- COHEN (Yves): «Qui a encore besoin du charisme? Ou pour histoire politique sens», in *Sensibilités. Histoire critique & sciences sociales*, N°1, 2016.
- DUBET (F.): « Une juste obéissance ». in *Autrement*, N° 198, 2000.

- FREUD (S.): « Pour introduire le narcissisme ». Dans *La vie sexuelle* (1914), PUF, Paris, 1989.
- GRAVELEAU (S.): « Passionnés, charismatiques, critiques... ces professeurs qu'on n'oublie pas », in *Le Monde*, 19 septembre 2017.
- KALINOWSKI (Isabelle): « Le visage du charisme : une page de Proust », in *Revue Théologiques*, Volume 17, N°1, 2009.
- MAINGUENEAU (Dominique): « Problèmes d'ethos », in *Revue Pratiques*, n° 113-114, 2002.
- MICHELS (Robert): « Les partis politiques et la contrainte sociale », in *Mercure de France*, 1<sup>er</sup> Mai 1928.
- REY (Alain): "Réflexion pour l'analyse du discours populiste", *Revue Mots. Les langages du politique*, N° 97, 2011.
- ROBBES (B.): « Avoir de l'autorité. Pour une approche clinique de l'autorité enseignante », Dans Beretti (M.) Boudjadi (G.), Point (C.) et Roelens (C.) (dir.): *L'autorité en éducation : figures, variations, recompositions*, 2023.



## ج- المواقع الإلكترونية

- KALINOWSKI (Isabelle):(2016). Max Weber et la nature du charisme. *Sensibilités, 1*, 11-25.DOI : 10.3917/sensi.001.0011).
- MENDEL (G.):*Une histoire de l'autorité*, Éditions La Découverte, Paris, 2003. DOI : 10.3917/dec.mende.2006.01.
- ROBBES (B.):*L'autorité enseignante. Approche clinique*. Champ Social, Paris, 2016.DOI : 10.3917/chaso.robbe.2016.01.

مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر

# حزب الله كفاعل هجين في فضاء متغير: القيادة والتموضعات الجيوهيائية من نصر الله إلى الأفق المفتوح

عدنان الإمام

أستاذ القانون والعلاقات الدوليّة

## مقدمة

يشكّل حزب الله اللبناني ظاهرة سياسية-عسكرية-إيديولوجية مركّبة، يتعدّد اختزالها في مقولات الهوية الطائفية أو الولاء الإقليمي، كما لا يمكن مقاربتها ضمن أطر تحليلية تقليدية تحصرها في ثنائية «المقاومة» و«الإرهاب»، أو في ثنائية «الولاء الوطني» مقابل «الارتباط الخارجي». إنّ بنية الحزب، وتحوّلاته، وأدواره الممتدة عبر مستويات محلية، إقليمية ودولية، تفرض معالجة تتجاوز التناول الوصفي أو التحليلات الظرفية، نحو قراءة متعددة الأبعاد، تُزوّج بين السوسيولوجيا السياسية، والتحليل العقائدي، والجيوستراتيجية، ونظرية الفواعل غير الدّولتيّة (*Acteurs non-étatiques*) في العلاقات الدّولية.<sup>(1)</sup>

(1) Cf, sur ce point, KEOHANE (Robert O.), & NYS (Joseph S) : *Transnational relations and world politics*, Harvard University Press, 1972.

منذ تشكّله في رحم الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، وتبلوره كحركة مقاومة مسلّحة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، إلى تحوّل لاحقاً إلى فاعل سياسي-عسكري يُعيد إنتاج موقعه ضمن معادلات الإقليم ككل، جسّد حزب الله تقاطعاً بين الدين والسياسة، بين المحلي والعاور للحدود، وبين الاستراتيجيات الأمنية والعقائد الإيديولوجية. فهو ليس مجرد ذراع عسكرية لإيران، ولا تنظيمًا طائفيًا مغلقًا، بل كيان مركّب يستمدّ مرجعيته من عقيدة ولاية الفقيه، ويعيد تشكيل ذاته باستمرار ضمن سياقات متبدّلة تفرض عليه ديناميكيات متعددة المستويات.

إنّ المقاربة العلمية لتجربة حزب الله تقتضي استيعاباً دقيقاً للسياق الذي نشأ فيه، والذي يتمثّل في تفكك الدولة اللبنانية، وتهميش الطائفة الشيعية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ ما قبل الاستقلال، مروراً بانتصار الثورة الإسلامية في إيران (1979) الذي أعاد تشكيل المزاج السياسي الشيعي في المشرق العربي، وصولاً إلى الاجتياح الإسرائيلي للبنان (1982) الذي مثّل المحرّك الميداني لنشوء الحزب، بصفته «ضرورة سياسية وعقائدية» في لحظة فراغ قاتلة. بهذا المعنى، فإنّ نشأة الحزب لم تكن حادثاً طارئاً أو صدفة تاريخية، بل نتيجة تراكمات سوسولوجية، سياسية، وعقائدية، تفاعلت لتنتج كياناً فريداً من نوعه في البيئة اللبنانية.

ويعدّ مبدأ «ولاية الفقيه»، الذي يستند إليه الحزب كمرجعية عليا، العامل المركزي في فهم منطلقاته النظرية، وخياراته الاستراتيجية، وآليات شرعنة أفعاله داخلياً وخارجياً. فولاية الفقيه ليست بالنسبة إلى حزب الله مجرد خيار فقهي، بل هي منظومة مفاهيمية جامعة، تُنتج

تصورًا شاملًا للعالم، وتوفّر إطارًا نظريًا لتفسير الواقع وإعادة تشكيله، ما يجعل من الحزب امتدادًا عضويًا للعقيدة السياسية الإيرانية، وفي الوقت ذاته، فاعلاً لبنانياً مندمجاً في تعقيدات البنية الطائفية والمؤسسية للدولة.

وإذا كانت الأدبيات الكلاسيكية في حقل العلاقات الدولية قد درجت على تحليل الفواعل السياسية من منطلق الدولة القومية، فإنّ «حزب الله» يمثل نموذجًا مُغيّرًا، يكسر ثنائية الدولة-اللاعب، ويُجسّد، في الآن ذاته، بنية ما فوق وطنية متجذّرة في مجتمع محليّ. فهو تنظيم يمتلك جهازًا عسكريًا موازيًا لجيوش الدول، ومنظومة مؤسسات اجتماعية وتعليمية وصحية، وكتلة نيابية وازنة في البرلمان اللبناني، وامتدادًا إقليميًا فعّالًا ضمن ما يُعرف بـ«محور المقاومة»، ما يفرض على الباحث مقارنته كـ«دولة داخل الدولة» أو، حتى، بحسب البعض، «فوق الدولة»<sup>(1)</sup>، أو «فاعل هجين»، يتجاوز التصنيفات التقليدية.

وبالعودة إلى قيادة الحزب، فإنّ صعود السيد حسن نصر الله إلى الأمانة العامة عام 1992، شكّل نقطة تحوّل استراتيجية، ليس فقط في بنية الحزب الداخلية، بل أيضًا في موقعه داخل الإقليم. فقد مثّل نصر الله، بخطابه السياسي المحكم، وكاريزمته الشخصية، وعلاقاته الإقليمية، عاملاً مؤسسًا لإعادة تموقع الحزب من مقاومة مسلّحة محلية إلى فاعل إقليمي له كلمة في معادلات الحرب والسلام، ولعلّ حرب جويلية 2006 أبرز محطات هذا التحول، إذ أظهرت قدرة الحزب على فرض قواعد اشتباك جديدة، وتهشيم صورة «الجيش الذي لا يُقهر».

(1) Cf, sur ce point, AYAD (Christophe) : *Géopolitique du Hezbollah*, Presses Universitaires de France, Paris, 2024, version ebook, emplacement 750 et ss.

لكن هذه المسيرة لم تخلُ من تناقضات بنيوية: بين منطق الدولة ومنطق المقاومة، بين السلاح والعمل السياسي، بين العقيدة والانخراط في مؤسسات طائفية/مدنية. وقد ازدادت هذه التناقضات حدّة بعد الانخراط المباشر في الحرب السورية سنة 2013، إذ وُضِعَ الحزب أمام تحدّي تبرير انخراطه في صراع داخلي دموي، أمام جمهور لبناني وعربي كان ينظر إليه سابقاً بصفته «حركة مقاومة ضد الاحتلال»، لا كقوة إقليمية تتدخل في شؤون الدول المجاورة.

ولعلّ اللحظة المفصلية الأشدّ تأثيراً في حاضر الحزب ومستقبله، هي اغتيال السيد حسن نصر الله سنة 2024، وما نجم عنه من فراغ قيادي وتنظيمي ونفسي داخل الحزب وبيئته. فالنظام الرمزي الذي شيّده نصر الله على مدى أكثر من ثلاثة عقود، وشرعن به السلاح، والمقاومة، والانخراط في الدولة، تعرّض لصدمة بنيوية قد تعيد صياغة تموضع الحزب إقليمياً، وتضعف قدرته على الحفاظ على صورته المتماسكة كفاعل عقائدي-ميداني.

انطلاقاً من هذه الخلفية، يطمح هذا البحث إلى تقديم قراءة تأليفيّة لتجربة حزب الله، من النشأة إلى الاستشراف، لا باعتباره مجرد حركة مسلّحة أو تيار ديني، بل ك«منظومة فكرية وتنظيمية وجيوسياسية» في آنٍ واحد. وسيتم ذلك من خلال تتبّع مسارات التكوين الفكري والتنظيمي للحزب، واستجلاء بنيته المركّبة، وتحليل تموقعه العقائدي في إطار ولاية الفقيه، واستكشاف علاقاته التفاعلية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ثم دراسة تطوره تحت قيادة حسن نصر الله، ومحاولة استشراف المآلات المحتملة بعد اغتياله، وذلك بمنهج مركّب يجمع بين التحليل البنوي، والمقاربة التاريخية، والديناميكيات الجيوسياسية الراهنة.

وإن هذا التحليل لا يهدف إلى تقديم سردية وصفية أو أحكام معيارية، بل إلى مقارنة علمية تتوخى الصرامة المنهجية والدقة التحليلية، لفهم ظاهرة سياسية-عسكرية-عقائدية تُعدّ من بين أكثر الظواهر تعقيداً وتشابكاً في المشهد العربي المعاصر. ذلك أنّ «حزب الله»، كما سنبيّن في هذا البحث، هو مرآة تعكس تحولات المنطقة، وأحد المفاتيح لفهم صراع المصالح والهويات والأفكار الذي يعصف بالشرق العربي منذ عقود.

ومن أجل الإحاطة الشاملة بجوانب هذه الظاهرة المركّبة، ورصد تحولاتها العميقة عبر الزمن والسياقات، يُقسّم هذا البحث إلى قسمين رئيسيين، يتكاملان منهجياً ومعرفياً:



• في القسم الأول: نتناول النشأة التاريخية لحزب الله، والأسس العقائدية التي شكّلت بنيته الفكرية، مع تحليل هيكلته التنظيمية وموقعه ضمن السياق اللبناني الداخلي. ويهدف هذا القسم إلى تفكيك الشروط البنيوية والتاريخية التي أفرزت الحزب، وفهم المنظومة الإيديولوجية التي تحكم توجهاته، وأثر «ولاية الفقيه» في تشكيل علاقته مع إيران، وفي بناء شبكة من الانتماءات العابرة للحدود.

• أما القسم الثاني: فيتطرق إلى مسار حزب الله تحت زعامة السيد حسن نصر الله، من حيث إعادة التوقيع السياسي-العسكري، والتدخل في المشهد الإقليمي، والتأثير في معادلات القوة. كما يتناول هذا القسم اللحظة المفصلية المتمثلة في اغتيال نصر الله، وما خلّفته من تداعيات عميقة على مستوى القيادة والبنية التنظيمية، ثم يحاول استشراف مستقبل الحزب في ظل التغيرات الجيو سياسية المتسارعة، وانهايار الحليف السوري، وتزايد الضغوط الداخلية والخارجية المطالبة بنزع سلاحه.

بهذا التقسيم الثنائي، يسعى البحث إلى تقديم قراءة تحليلية مركّبة تزوج بين العمق التاريخي، والدقة العقائدية، والبعد الاستشراقي، ضمن رؤية علمية صارمة لا تكتفي بتوصيف الظواهر، بل تسعى إلى فهم منطقتها الداخلي وسياقاتها المؤسّسة ومآلاتها المحتملة.

## **القسم الأول: حزب الله كتمظهر بنيوي لعقيدة سياسية-عسكرية في سياق متحوّل: قراءة في النشأة والمرجعية والتنظيم**

حين يُستدعى حزب الله إلى مائدة التحليل، لا يكفي أن نقرأه كجماعة مسلّحة تشكّلت استجابةً لاحتلال، ولا كمجرّد امتداد إيديولوجي لكيان ديني سياسي خارج الحدود. بل نحن بإزاء ظاهرة تتشابك فيها الجغرافيا بالعقيدة، وتتعالق فيها النصوص المؤسّسة مع التحولات الميدانية، حتى غدا هذا الكيان السياسي-العسكري بمثابة عقدة عصية على التفكيك، إلا عبر مقارنة تتعقب لحظة التكوين الأولى وتغوص في بنيته العميقة.

في هذا الأفق، يبدأ تحليلنا من السياق الجيوسياسي الذي أنجب الحزب (أ)، حيث لم يكن حزب الله طفرة طارئة في مشهد مفكّك، بل كان استجابة عضوية لفراغ استراتيجي خلفه تراجع قوى كانت فاعلة في معادلة الصراع. في لحظة بدت فيها القضية الفلسطينية على شفا التصفية، ولبنان على حافة التفكك، تدفقت العناصر الثلاثة: الاجتياح، الثورة الإيرانية، والانسحاب الفلسطيني، لتؤسس أرضية خصبة لصعود كيان جديد، غارق في الأرض، ومشدود إلى السماء.

ومن التربة الجيوسياسية إلى الجذور العقائدية (ب)، يتبدّى لنا

الحزب ككائن قائم على مرجعية إيمانية صلبة، لا تكتفي بصياغة خطاب تعبوي، بل تؤسس لوعي رسالي منغرس في ثقافة الشهادة، ومشدود إلى المثال الحسيني. فالإسلام في تجربة حزب الله ليس مجرد إطار رمزي، بل هو جوهر الفعل وغاية الوجود، يتموضع ضمنه الجهاد، لا كأداة، بل كقيمة وجودية، يتجلى من خلالها المشروع الإيماني في مواجهة الظلم والهيمنة.

ثم تتجلى نظرية ولاية الفقيه كحلقة مفاهيمية مفصلة (ج)، تربط بين العقيدة والتنظيم، وبين المرجعية والانتماء الجيوسياسي. فالولاية، كما يتبناها الحزب، ليست خياراً تنظيمياً عابراً، بل بنية معرفية وسلوكية تؤطر تموضعه الإقليمي، وتشكل صلة الوصل بين تجربته اللبنانية ومركزه المرجعي في طهران، دون أن تفرّغه من خصوصيته المحلية أو استقلاليتها الإجرائية.

وأخيراً، تقودنا التحولات التنظيمية للحزب إلى معاينة ما يمكن تسميته بالازدواجية النبوية (د) التي تمنحه قدرة خارقة على التكيف. فبين العلن والسري، بين المؤسسات الخدمية والمنظومات الأمنية، بين الدولة والمقاومة، ينسج حزب الله هيكلًا متعدد الطبقات، يجمع بين المرونة التكتيكية والصرامة العقائدية، ويمنحه موقعاً فريداً ضمن الخارطة السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط.

هكذا، تقودنا هذه المحطات الأربع نحو قلب الظاهرة، حيث تتعاقب العوامل التكوينية، والعقائدية، والتنظيمية، في بناءٍ متراصّ، لا يمكن فهمه إلا من الداخل، حيث يولد الفكر من النار، وتُصاغ الهوية من بارود المعركة.



## أ- الطبيعة تأبى الفراغ: السياق الجيوسياسي لنشأة حزب الله

كان من المعتقد، عند اجتياح الجيش الصهيوني للبنان خلال صيف عام 1982، وبلوغه العاصمة بيروت بنجاح، وما أعقبه من فرض إجلاء المقاتلين الفلسطينيين<sup>(1)</sup> وتأسيس منطقة عازلة في جنوب البلاد<sup>(2)</sup>، أنّ خطوة حاسمة قد أنجزت في اتجاه تصفية القضية الفلسطينية، وأنّ الكيان الصهيوني قد ضمن أمن حدوده الشمالية لعقود قادمة. غير أنّ الوقائع الميدانية أثبتت أنّ هذا الاعتقاد لم يكن سوى وهم جيوسياسي، وخطأ في التقدير الجيوستراتيجي. فكما تأبى الطبيعة الفراغ، جاء قدر الأرض أن يملأ الغياب الفلسطيني بصعود مقاومة محلية أكثر شراسة وانغراساً في النسيج المجتمعي، تشكلت بمرور الوقت ضمن محور أوسع أُطلق عليه لاحقاً اسم «محور المقاومة»، وأضحت تهديداً وجودياً للكيان الإسرائيلي.

في هذا السياق، برز حزب الله ككيان سياسي-عسكري شيعي، منفتح في بُنيته الاجتماعية والتنظيمية، تأسس في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين في حضمّ الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، كنتيجة لانشقاق داخل حركة أمل<sup>(3)</sup>، التي كان يرأسها نبيه بري. وقد نشأ هذا الحزب بتقاطع ثلاثة محددات رئيسية: أولها النمو الديموغرافي المطرد للطائفة الشيعية، التي تمثّل ما لا يقل عن 40% من سكّان لبنان، ثانيها انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979، وما أحدثته من

(1) Cf, <https://www.monde-diplomatique.fr/index/sujet/guerreduliban>, consulté le 27/2025/3/.

(2) Cf, [ael-n-a-pas-determine-la-nature-de-la-zone-tampon-qu-exige-dans-le-sud\\_2892328\\_1819218.html](http://ael-n-a-pas-determine-la-nature-de-la-zone-tampon-qu-exige-dans-le-sud_2892328_1819218.html), consulté le 27/2025/3/.

(3) انظر، في هذا الخصوص، الأغا (يوسف): «حزب الله، التاريخ الأيديولوجي والسياسي (1978-2008)»، دراسات عراقية، بغداد-أربيل-بيروت، 2008، ص. 47 وما يليها.

تحول جذري في المزاج السياسي للشيعة في المشرق، وثالثها الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982.

وفي هذا الإطار، يجدر التذكير بأن الميثاق الوطني اللبناني لسنة 1943، الذي أسس لتقاسم السلطة بين الطوائف، قد همّش الطائفة الشيعية وأقصاها عن الأدوار المركزية، رغم أنّها باتت الطائفة الأكبر من حيث العدد. وقد بدأت ملامح التهيكل السياسي للطائفة الشيعية تظهر تدريجياً في ستينيات القرن الماضي، بفضل الجهد التنظيمي والعلمي للإمام موسى الصدر، الذي وفد إلى لبنان من إيران سنة 1959، وأسس لاحقاً حركة أمل كميليشيا شيعية مسلحة تحمل اسم «أفواج المقاومة اللبنانية»، بهدف الدفاع عن الشيعة في ظلّ انهيار الدولة وتفكك الأجهزة الأمنية عقب اندلاع الحرب الأهلية سنة 1975<sup>(1)</sup>.



لكن الإمام موسى الصدر اختفى في ظروف غامضة بعد سفره إلى ليبيا سنة 1978، وخلفه نبيه بري على رأس الحركة، وكان يُعرف عنه ميوله للبراغماتية واستعداده لعقد تفاهمات، ما أثار تملماً داخل أوساط الحركة.

وفي سنة 1979، ومع الانتصار الكاسح للثورة الإسلامية في إيران، دخلت الطائفة الشيعية في المشرق العربي، وخصوصاً في لبنان، مرحلة مفصلية. فقد غادر الشاه البلاد في 16 جانفي، وعاد الإمام الخميني إلى طهران في 1 فيفري، ليؤسس نظاماً سياسياً يرتكز على مفهوم «ولاية الفقيه»، الذي أصبح لاحقاً المرجعية النظرية والسياسية العليا لحزب الله.

(1) حول دور موسى الصدر على الساحة اللبنانية، انظر، الأغا (يوسف) : «حزب الله، التاريخ الأيديولوجي والسياسي ( 1978-2008)»، مصدر سابق، ص. 35 وما بعدها.

وفي السياق التاريخي المباشر لتأسيس الحزب، اجتاح الجيش الإسرائيلي لبنان في جوان 1982، بدعم من الميليشيات المسيحية بقيادة بشير الجميل، بهدف القضاء النهائي على الوجود الفلسطيني المسلّح. وجرى في ظلّ هذا الغزو تشكيل «هيئة الإنقاذ»، برئاسة إلياس سركيس (رئيس الجمهورية آنذاك)، وضمت كلاً من بشير الجميل، ووليد جنبلاط، ونبيه بري، وشفيق الوزان، وفؤاد بطرس. وقد أثار انضمام نبيه بري إلى هذه الهيئة معارضةً شديدة داخل حركة أمل، فانشق جزء من أعضائها، وواصلوا مقاومة الاجتياح<sup>(1)</sup>.

وقد أدّى هذا الانقسام إلى تأسيس «حركة أمل الإسلامية»، بقيادة حسين الموسوي، المتأثر بأطروحات محمد باقر الصدر، أحد أبرز منظرّي «ولاية الفقيه» إلى جانب الإمام الخميني. وفي هذا المناخ، شكّلت مجموعات قتالية شيعية جديدة، خاصة في منطقتي البقاع والضاحية الجنوبية، وكان لإيران دوراً محورياً في دعمها، حيث أرسلت فيلقاً إلى لبنان لمحاربة الجيش الإسرائيلي، لكن سوريا اعترضت، ولم توافق سوى على إرسال قوة محدودة من الحرس الثوري (تقدّر بـ 2000 عنصر كحدّ أقصى)، تركزت في البقاع وباشرت تدريب المقاتلين اللبنانيين.

وقد ضمّ الفوج الأول من المتدربين شخصيات ستشكل لاحقاً النواة القيادية لحزب الله، مثل السيد عباس الموسوي والسيد حسن نصر الله، وهما من بين أبرز المنشقين عن حركة أمل، والذين شكّلوا، إلى جانب طلاب شيعية وأعضاء من حزب الدعوة وهيئة علماء المسلمين

(1) انظر، في هذا الخصوص، الأغا (يوسف): «حزب الله، التاريخ الأيديولوجي والسياسي»، مصدر سابق، ص. 47 وما يليها.

في البقاع، البنية التأسيسية الأولى للحزب<sup>(1)</sup>.

وكان عام 1982 عامًا مفصليًا في التبلور المؤسسي للحزب، حيث وُقعت «وثيقة التسعة» بين ثلاثة أطراف: هيئة علماء البقاع (شيعية)، حركة أمل الإسلامية، واللجان الإسلامية المنبثقة عن حزب الدعوة. ونصّت الوثيقة على اعتماد الإسلام كمنهج، والدعوة إلى مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بالسلاح، واعتماد «ولاية الفقيه» بصفتها الإطار المرجعي الشرعي، والالتزام بالقيادة الدينية العليا للإمام الخميني. وبعد عرض الوثيقة عليه، صادق عليها وأضفى عليها الشرعية الثورية اللازمة<sup>(2)</sup>.



وبناءً على ذلك، قرّرت الأطراف الموقّعة حلّ تشكيلاتها التنظيمية السابقة وتأسيس كيان موحد حمل لاحقًا اسم «حزب الله». وقد بدأت العمليات العسكرية الميدانية للحزب قبل الإعلان الرسمي عن تأسيسه، واستهدفت الاحتلال في الجنوب والبقاع الغربي، وتكثّفت تحت راية

(1) « Le grand ordonnateur est Ali Akbar Mohtachamipour, alors ambassadeur d'Iran à Damas et entretenant des relations avec al-Tu-fayli. Le Hezbollah, écrira-t-il en 2006 (Charq, 3 août), est l'« enfant spirituel de l'imam et de la révolution islamique » : « Chaque cours comprenait 300 combattants, qui servaient, à leur tour, de formateurs [...]. Le Hezbollah a ainsi formé plus de 100 000 forces volontaires de manière directe ou indirecte».

Le modèle structurel des Pasdarans est repris (milice, soutien social, activités culturelles, puissance économique), cf, AVON (Dominique), KHATCHQDOURIAN (Anaïs-Trissa) : *Le Hezbollah. De la doctrine à l'action : Une histoire du « parti de Dieu »*, Editions du Seuil, Paris, 2010, p.27.

(2) انظر، في هذا الخصوص، قاسم (نعيم) : *حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، دار المحجة البيضاء-بيروت، الطبعة السابعة، 2010، ص.37 وما يليها.*

«الجهاد الإسلامي»، إذ نُفذت عملية استشهادية ضدّ السفارة الأمريكية في بيروت في 18 أبريل 1983، تلتها أخرى ضدّ مقرّي «المارينز» والقوات الفرنسية في 23 أكتوبر من نفس العام، علماً بأنّ هذه القوات كانت ضمن بعثة متعددة الجنسيات دخلت لبنان بطلب من الحكومة اللبنانية بعد مجزرة صبرا وشاتيلا<sup>(1)</sup>.

وبعد ثلاث سنوات من النشاط الجهادي السري، أعلن رسمياً عن تأسيس «حزب الله» في 16 فيفري 1985، من خلال رسالة مفتوحة إلى «المستضعفين في لبنان والعالم»، تضمنت ما يقارب خمسين صفحة عرضت فيها المبادئ التأسيسية للحزب وأهدافه<sup>(2)</sup>.

وقد قوبل هذا الإعلان بعداء واسع من قبل القوى السياسية التقليدية اللبنانية، ما أدى إلى اندلاع مواجهات مسلّحة بين الحزب من جهة، والحزب السوري القومي الاجتماعي، والحزب الشيوعي، وحتى حركة أمل من جهة أخرى، خصوصاً سنة 1988. وكانت المواجهات مع أمل تهدف إلى تأمين المعايير والقواعد الاستراتيجية لحزب الله في الجنوب اللبناني، وفي اتجاه فلسطين المحتلة<sup>(3)</sup>.

وإذا كانت الجغرافيا السياسية وموازين القوى قد شكّلت المحاضرة الأولى لنشأة حزب الله، فإنّ فهم دينامية هذا الكيان لا تكتمل إلا بالتوغّل

(1) انظر:

AYAD (Christophe): *Géopolitique du Hezbollah*, Paris, PUF, 2024, emplacement 228 et ss.

(2) انظر، نص الرسالة كاملاً في هذا الرابط:

[https://www.umambiblio.org/AR/book\\_detail/14426](https://www.umambiblio.org/AR/book_detail/14426) /اطلعت عليه

بتاريخ 2025/1/11.

(3) حول هذا الموضوع، انظر على سبيل الذكر، عبد الغني (عماد): حزب الله، إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2013، ص. 35 وما يليها.

في نواته العقائدية التي منحت له مشروعية معنوية ومرجعية فكرية راسخة، كانت بمثابة البوصلة الموجّهة لمساره السياسي والعسكري.

### ب- الأسس الإيديولوجية والعقائدية لحزب الله

تُستمدّ الأسس الإيديولوجية والعقائدية التي تأسس عليها حزب الله من الرسالة المفتوحة التي أعلن من خلالها عن نفسه رسمياً في 16 فيفري 1985. وتُظهر القراءة التحليلية المركّبة لهذه الوثيقة أنّ البناء العقائدي للحزب يستند إلى ثلاث ركائز كبرى، تشكّل مجتمعة الإطار المرجعي الحاكم لأفكاره وتوجّهاته.

#### 1. الإيمان المطلق بالإسلام وفق منهج آل البيت (المرجعية الشيعية)

تشكّل العقيدة الإسلامية، المستندة إلى مدرسة أهل البيت الركيزة الأساسية التي يقوم عليها حزب الله. فالإسلام، بشقيه العقائدي والتشريعي، هو المرجع الأعلى للحزب في تحديد أهدافه، وتبرير أفعاله، وصياغة مواقفه، وتوجيه خطابه السياسي والاجتماعي. ويعتمد الحزب في ذلك على الفقه الجعفري الإثني عشري، مع الالتزام بمنهجية منفتحة تجاه سائر المذاهب الإسلامية.

وقد عبّر نائب الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم، عن هذا الانفتاح في معرض ردّه على الدعوات الداعية إلى اعتماد «توليفة فقهية» جامعة بين المذاهب الإسلامية، إذ قال: «أمنيتنا الكبرى أن نكون في هذا الموقع الذي يوحد مذاهب المسلمين، لكنه أمر معقد لم يتمكن الفقهاء من حله خلال مئات السنين، ويتطلب لجأً علمائية متخصصة تجري أبحاثاً موضوعية وجريئة لمناقشة القضايا كافة، وليس معلوماً إذا كان بإمكانها الوصول إلى نتيجة أو أنها توجد مذهباً جديداً»<sup>(1)</sup>. يُفهم من

(1) قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في



هذا الطرح أن انتماء الحزب للمذهب الشيعي لا يعني بالضرورة انغلاقاً عقائدياً، بل هو خيار ديني-فقهّي ضمن أفقٍ وحدوي يتوخّى تقاطعاً واسعاً بين المسلمين.

## 2. الجهاد في سبيل الله كواجب ديني وسياسي

يُعدّ الجهاد، كما تطرحه أدبيات الحزب، تجلياً مباشراً للركيزة العقائدية الأولى، وهو يشكّل بُعداً مركزياً في المشروع السياسي والميداني للحزب. ووفقاً لهذا التصوّر، فإنّ الجهاد لا يُعدّ مجرد وسيلة للدفاع، بل هو قيمة تعويّة وروحية تُستبطن بصفتها فعلاً مقدّساً وممارسة وجودية.

ويُقسّم حزب الله الجهاد إلى نوعين:

• الجهاد الابتدائي: وهو الهجوم على أراضي العدو دون أن يكون ذلك ردّاً على عدوان مباشر، ويُعتبر مرتبطاً بالنبي (صلى الله عليه وآله) أو الإمام المعصوم، ومن ثمّ لا يُعدّ مطروحاً في الزمن الحاضر بسبب غيبة الإمام المهدي المنتظر<sup>(1)</sup>.

• الجهاد الدفاعي: وهو الردّ المشروع والواجب على أيّ اعتداء يستهدف الأرض أو الشعب أو العقيدة. ويؤكد الشيخ نعيم قاسم أنّ «هذا أمر مشروع، بل واجب، لكن قرار الجهاد مرتبط بالولي الفقيه، الذي يُشخّص الحالة التي ينطبق عليها عنوان الجهاد الدفاعي، والذي يحدّد قواعد المواجهة وضوابطها»<sup>(2)</sup>.

الواجبة، مصدر سابق، ص ص. 52-53.  
(1) قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص 63.  
(2) المصدر نفسه، ص 64.

ويولي حزب الله أهمية كبرى للبعد التعبوي لمفهوم الشهادة، ويعتبرها أسمى مراتب العطاء في سبيل العقيدة. فالحزب لا يربّي مقاتليه على انتظار النصر فقط، بل على «حبّ الشهادة»، وهو ما يمنح حركته الميدانية زخمًا استثنائيًا. يقول نعيم قاسم في هذا الصدد: «عندما يتربى الناس على النصر فقط ويكون الهدف من تحركهم ذلك، فهذا يعني توقف سعيهم عن مواجهة العدو إذا ما بدت علامات النصر بعيدة أو غامضة. لكن عندما يتربون على الشهادة فإن بذلهم سيكون في أقصى مستويات العطاء، فإذا استشهدوا فقد نالوا ما تمنوا، وإذا انتصروا فهي نعمة دنيوية كثرة لجهادهم»<sup>(1)</sup>.



وفي هذا الإطار، يستحضر الحزب شخصية الإمام الحسين بن علي بصفته القدوة المركزية في ثقافة الشهادة، إذ يُشكّل، هو وأصحابه الذين استشهدوا في واقعة كربلاء، النموذج الملهم للمجاهد الشيعي. ويؤكد نعيم قاسم على هذه المرجعية الرمزية بقوله: «إنّ القدوة في التربية على الشهادة تؤدي إلى فعالية التأثير والتبني لنهج الشهادة. ولم تحصل حادثة في التاريخ أعظم من واقعة كربلاء...»، مضيفًا أنّ الحسين خرج «الطلب الإصلاح في أمة جده»، وهو يعلم أنّ موقفه سيؤدي إلى الشهادة<sup>(2)</sup>. وهكذا، يتحوّل النموذج الحسيني إلى منظومة قيمية تستبطن فكرة البذل المطلق في سبيل العقيدة، دون توقع مكافأة مباشرة أو نصر عسكري فوري، بل تأسيسًا لوعي نضالي طويل المدى.

وتأسيسًا على ذلك، فإنّ حزب الله، بُنية وقيادة وأتباعًا، يتشكّل ضمن عقلية استشهادية حسينية، تعتبر الموت في سبيل القضية الدينية

(1) قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص 71.

(2) المصدر نفسه، ص 72.

والسياسية تحقيماً للذات، وتفتح الباب أمام دورة مستمرة من التضحية والتعاقب القيادي.

### 3. ولاية الفقيه: الإطار المفاهيمي والجيوسياسي للحزب

تُشكّل «ولاية الفقيه» الركيزة الثالثة في المنظومة العقائدية للحزب، وتُعدّ حجر الأساس في تموضعه داخل الفضاء الجيوسياسي الإقليمي. وهي عقيدة مُستمدة من الفقه الشيعي الاثني عشري، وتنصّ، في جوهرها، على أنّ الفقيه الجامع للشرائط هو نائب عام عن الإمام المعصوم -أي الإمام المهدي الغائب- طيلة فترة الغيبة، ويتولّى إدارة شؤون الأمة، بما في ذلك السيادة السياسية، والدينية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية.

تنطلق نظرية ولاية الفقيه من معايينة أنّ المعرفة التفصيلية بأحكام الدين غير متاحة بسير لعامة الناس، وأنّ هذا الأمر الأساسي هو من شأن العلماء المجتهدين، ومع تعددهم يظهر من هو الأعلم فيهم؛ ويكون بذلك مؤهلاً لكي يصبح مرجعاً للأمة ومحلّ تقليد الناس. وقد طوّر كلّ من آية الله الخميني ومحمد باقر الصّدر نظرية ولاية الفقيه كيفما يجب أن تكون وتطبّق في الحقبة المعاصرة.

ويترتب عن هذه النيابة المؤقتة، في انتظار ظهور الإمام، الإقرار لفائدة النائب ولاية عامة في جميع شؤون الأمة وتعني إمامة أمور الدين والدنيا، من ذلك، الاجتهاد في إقامة حكم إسلامي ومدّ سلطانه على البلاد التي في حوزته، والحفاظ على المصالح العامة سياسياً وأخلاقياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً ونحو ذلك، والقيام بموجبات الدعوة وشحن الثغور وتعميرها بما يصلح للدفاع عنها، والأمر بالجهاد الدّفاعي، وعقد الصلح والهدنة، والقضاء بين الناس بالعدل والإفتاء. إلخ.

في هذا الصدد يقول محمد باقر الصدر إنَّ « النبي والإمام معينان من الله تعالى تعيينا شخصيا، وأما المرجع فهو معيّن تعينا نوعيًا، أي أنّ الإسلام حدّد الشروط العامّة للمرجع وترك أمر التعيين والتأكد من انطباق الشروط إلى الأمة نفسها. ومن هنا، كانت المرجعية كخطّ قرارا إلهيًا والمرجعية كتجسيد في فرد قرارا من الأمة.»<sup>(1)</sup>

وتتفرّع عن هذا المفهوم ثنائية مهمّة بين «المرجعية» و«الولاية». فالأولى تُعنى بالعبادات والمعاملات الفردية وتستند إلى تقليد الفقيه الأعلّم، في حين أنّ «الولاية» تُعنى بالشأن العام للأمة، وتُخوّل للولي الفقيه اتخاذ القرار في القضايا الاستراتيجية الكبرى. ولذا، أتجه التمييز بين جانبيين مختلفين:

- الجانب الأوّل: له طابع فردي ويتعلّق بالعبادات والمعاملات بين الناس وبكلّ ما له علاقة بالحياة الشخصية اليومية، وهذا الأمر يحيل إلى الحاجة إلى مرجع تقليد لمعرفة الأحكام الشرعية وضوابطها.

- أمّا الجانب الثاني، فيرتبط بالشأن العامّ للأمة ومصالحها وحرّبتها وسلمها وتوجهاتها العامّة، وهذا هو شأن القائد الوليّ الفقيه الذي يختص بوضع الإستراتيجيات العامة التي تسيّر عليها الأمة وبتحديد الدور العملي للمكلفين في تنفيذ أحكام الشريعة في هذا المجال<sup>(2)</sup>، علما وأنّه يمكن أن تجتمع المرجعية والولاية في شخص واحد ويمكن أن لا تجتمع.

(1) الصدر (محمد باقر): خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص 26.

(2) انظر في هذا الخصوص، قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص ص 81-82.

وفي هذا السياق، يبرّر نعيم قاسم حتمية ولاية الفقيه بالقول بأن «هذه الولاية ضرورية لحفظ وتطبيق الإسلام، فلا يمكن التعاطي مع المشروع الإسلامي الكبير بمبادرات فردية أو أعمال منفصلة عن بعضها البعض. بل لا بدّ من خطّ عامّ يربط الأمة عملياً مع بعضها البعض، وهذا الذي يتمّ من خلال قيادة الولي الفقيه ورعايته»<sup>(1)</sup>. في نفس الاتجاه، يعتبر الإمام الخامنّي أنّ: « المراد بالولاية المطلقة للفقيه الجامع للشرائط، أنّ الدين الإسلامي الحنيف- الذي هو خاتم الأديان السماوية والباقي إلى يوم القيامة- هو دين الحكم، وإدارة شؤون المجتمع، فلا بدّ أن يكون للمجتمع الإسلامي بكلّ طبقاته وليّ أمر، وحاكم شرعي، وقائد ليحفظ الأئمة من أعداء الإسلام والمسلمين، وليحفظ نظامهم وليقوم بإقامة العدل فيهم...»<sup>(2)</sup>.

أمّا عن حجم صلاحيات الولي الفقيه، فموجب هذه النيابة العامة، تُمنح له سلطات شاملة في مجالات الحكم والتشريع، تُصاهي-من حيث المبدأ- تلك التي كان يتمتع بها النبي والإمام المعصوم. وقد أكدّ الإمام الخميني على ذلك بقوله: « توهم أنّ صلاحيات النبي-ص- في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين (ع) وصلاحيات أمير المؤمنين(ع) أكثر من صلاحيات الفقيه، هو توهم خاطئ وباطل. نعم إنّ فضائل الرسول(ص) بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشر، لكن كثرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم. فالصلاحيات نفسها التي كانت للرسول (ص) والأئمة(ع) في تعبئة الجيوش وتعيين الولاة والمحافظين واستلام الضرائب وصرّفها في مصالح المسلمين قد أعطها

(1) اسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص 81-82.

(2) الإمام الخميني (روح الله الموسوي): أجوبة الاستفتاءات، ج1، دار الحقّ، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ص 24.

الله تعالى للحكومة المفترضة هذه الأيام. غاية الأمر لم يعين شخصا بالخصوص وإنما أعطاه لعنوان العالم العادل»<sup>(1)</sup>.

ومن الناحية العملية، فإن حزب الله يعلن التزامه بالولي الفقيه القائم في زمانه، إذ بايع الإمام الخميني، ثم الإمام الخامنئي بعد وفاته، دون أن يعني ذلك، بالضرورة، أن الحزب مجرد أداة تنفيذية بيد الولي الفقيه. بل إن الحزب يحتفظ بهامش واسع من الاستقلالية في الإدارة والتنظيم واتخاذ القرار، وهو ما يجسده النظام الداخلي للحزب، والذي يمنح القيادة المنتخبة من كوادره صلاحيات واسعة في إدارة الشأن السياسي، الثقافي، والاجتماعي، وحتى في إدارة العمل الجهادي نفسه، ضمن توجهات عامة يضعها الولي الفقيه دون التدخل في التفاصيل التنفيذية اليومية<sup>(2)</sup>.



لكن هذه المرجعية العقائدية لا تبقى حبيسة الفضاء النظري أو التعبئة الروحية فحسب، بل تجد تجسيدها العملي في البنية المفهومية والسياسية لمبدأ «ولاية الفقيه»، الذي شكّل العمود الفقري لتموضع الحزب إقليمياً، وأعاد صياغة علاقته بإيران ضمن أفق يتجاوز التحالف الظرفي إلى الانصهار المفاهيمي.

(1) الإمام الخميني (روح الله) : الحكومة الإسلامية، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وزارة الإرشاد، 1982، ص 86.

(2) «التزام حزب الله بولاية الفقيه... هو سلوك في إطار التوجهات والقواعد التي رسمها الولي الفقيه. ثم تكون الإدارة المتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات، والقيام بالإجراءات المناسبة، والعمل السياسي اليومي، والحركة الثقافية والاجتماعية، بل والجهاد ضد المحتل الإسرائيلي بتفاصيله، من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادره الحزب بحسب النظام الداخلي المعتمد.. تنعكس هذه الصلاحيات استقلالاً كبيراً في الأداء العملي» (قاسم نعيم): حزب الله، المنهج- التجربة- المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص ص 87-88.

ج- انعكاسات ولاية الفقيه على الهيكلية التنظيمية والعلاقة مع إيران

انطلاقاً من المرجعية العقائدية التي وردت في الرسالة المفتوحة التأسيسية، يعلن حزب الله، بصورة صريحة، ولاءه المطلق للوليّ الفقيه القائم في زمانه، الإمام الخميني، أولاً، ثم، بعد وفاته، الإمام علي الخامنئي. غير أنّ هذا الالتزام لا يجب أن يُفهم، كما قد يتبادر للوهلة الأولى، على أنّ الحزب هو مجرد تابع منفذ ضمن منظومة الوليّ الفقيه، أو أنّه يمثل «امتداداً عضوياً» مباشراً للسياسة الإيرانية في لبنان.

فالواقع التنظيمي والسياسي يُظهر صورة مغايرة أكثر تعقيداً وتركيباً، إذ أنّ التزام الحزب بمبدأ ولاية الفقيه يُعدّ، في جوهره، خياراً عقائدياً-إيديولوجياً يقع ضمن الثوابت الفكرية للحزب، غير أنّه لا يفرغ الحزب من استقلاليته الإجرائية والسياسية. ويؤكد هذا التصوّر ما ورد في أدبيات الحزب من أنّ «التزام حزب الله بولاية الفقيه...» هو سلوك في إطار التوجهات والقواعد التي رسمها الولي الفقيه. ثم تكون الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات، والقيام بالإجراءات المناسبة، والعمل السياسي اليومي، والحركة الثقافية والاجتماعية، بل والجهاد ضد المحتل الإسرائيلي بتفاصيله، من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب بحسب النظام الداخلي المعتمد.. تنعكس هذه الصلاحيات استقلالاً كبيراً في الأداء العملي»<sup>(1)</sup>.

بناءً على ذلك، يتّضح أنّ الحزب يتمتع بهامش معتبر من الاستقلالية في قراراته السياسية والميدانية، ويتصرّف كفاعل سياسي لبناني، يتأثر ببنية النظام السياسي الطائفي اللبناني وتوازناته، دون أن يفقد مرجعيته

(1) قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص ص 87-88.

الإيديولوجية العليا المتماهية مع المشروع الإيراني الذي يتخذ من ولاية الفقيه نواة صلبة له. هذا التوازن بين الانتماء العقائدي الشيعي العابر للحدود، والانخراط في الديناميكية المحلية اللبنانية، يُشكّل أحد أبرز ملامح خصوصية حزب الله مقارنة بسائر الحركات الإسلامية في المنطقة.

كما أنّ العلاقة بين حزب الله وإيران لا تُختزل في التبعية، بل تقوم على مزيج من التفاعل الاستراتيجي والتشارك العقائدي. فإيران، بصفتها الراعية لمبدأ ولاية الفقيه، تمثل المرجعية السياسية والدينية العليا للحزب، وتوفّر له الدعم العسكري، والمالي، واللوجستي، في إطار مشروع إقليمي أوسع يتبنّى استراتيجية «الردع المتدرج» ضد الهيمنة الغربية والإسرائيلية. من جهته، يُمثّل حزب الله الذراع الميداني الأكثر فاعلية لهذا المشروع في الساحة اللبنانية، وهو ما يفسّر تراكم قدراته العسكرية والتنظيمية على نحو فاق بكثير قدرات الدولة اللبنانية ذاتها.

ولئن كان الارتباط الفكري والسياسي مع إيران يشكّل مصدرًا لتعزيز القوة الرمزية والمادية للحزب، فإنّه يُنتج، في المقابل، تحديات متنامية في علاقته بمحيطه العربي واللبناني، نظرًا لما تثيره «التبعية لإيران» من إشكاليات سيادية في الوعي السياسي اللبناني، لا سيّما في ظلّ وجود معارضة داخلية واسعة ترفض الجمع بين الانتماء الوطني والانضواء تحت مرجعية دينية أجنبية.

لكن حزب الله، عبر خطابه السياسي، سعى إلى تأطير هذا الالتزام ضمن منطلق «الولاء العقائدي لا التبعية السياسية»، مؤكّدًا على أنّ مشروع مقاومة وطنية تتكامل مرجعيتها الدينية مع وظيفتها الوطنية، ولا تتناقض معها. ومن هذا المنطلق، يعمل الحزب على صياغة



توازن دقيق بين انخراطه في مؤسسات الدولة اللبنانية، وخصوصاً بعد دخوله العمل السياسي العلني منذ عام 1992، وبين حفاظه على استقلالية بنيته العسكرية، وعلى ولائه العقائدي لمرجعية ولاية الفقيه.

هذا التوازن غير السهل، والذي تتخلله تناقضات بنيوية، هو ما يمنح حزب الله خصوصية فريدة في الخارطة السياسية-العقائدية في الشرق الأوسط: فهو حركة مقاومة مسلحة، وتنظيم سياسي لبناني، وامتداد مفاهيمي لولاية الفقيه، وقوة إقليمية في آن واحد. وهذه التركيبة المركبة تُعزز من قدرته على الفعل المتعدد المستويات، لكنها في الآن ذاته تُعرّضه إلى ضغط داخلي وخارجي متزايد، نتيجة التناقض بين أبعاده الوطنية والعبارة للحدود.

وإذا كان مبدأ «ولاية الفقيه» قد مهّد لبلورة تموضع الحزب ضمن الفضاء الجيو-عقائدي الإيراني، فإن هذا التموضع انعكس بوضوح على بنيته التنظيمية، التي اتسمت بخصوصية هيكلية مزدوجة، جمعت بين البعد المؤسسي العلني والبعد السري الخاص، ما مكّنه من التكيف مع التحولات الداخلية والخارجية، والبقاء كياناً فاعلاً ومعقداً في آن واحد.

## **د- الخصوصية الهيكلية والتنظيمية لحزب الله: تعددية الأبعاد وازدواجية البنية**

تتجلى فريدة البنية التنظيمية لحزب الله في كونه كياناً متعدد الأبعاد، تتقاطع داخله الوظائف السياسية والعسكرية والاجتماعية، ويقوم على هيكلية تجمع بين العمل العلني والمؤسساتي من جهة، والعمل السري والخاص من جهة أخرى. ويُعدّ هذا النموذج الهيكلي المعقّد نتاجاً طبيعياً لطبيعة الدور الذي يضطلع به الحزب، بصفته فاعلاً سياسياً-مقاوماً يخوض مواجهات مباشرة وغير مباشرة مع قوى دولية وإقليمية

كبرى، من بينها أجهزة استخبارات ذات قدرات متقدمة، مما يجعل من السرية أحد أركان استراتيجيته.

يقوم حزب الله على مبدأ الازدواجية التنظيمية، حيث تتعايش ضمن بنيته مؤسسات علنية معروفة ومُعلنة، وأخرى سرّية تضطلع بالأنشطة الخاصة، ولا سيما المرتبطة بالشقّ الأمني والعسكري، والتي لا يمكن ممارستها إلا في إطار من السرية التامة.

### أولاً: البنية العلنية والتنظيم المؤسسي

منذ تأسيسه، تبنى حزب الله نمط القيادة الجماعية، الذي يُطلق عليه اسم «مجلس الشورى»، وهو الهيئة العليا في الهرم التنظيمي للحزب. ويتكوّن المجلس من سبعة أعضاء يُنتخبون من قبل كوادر الحزب لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

يُنتخب من بين أعضاء مجلس الشورى أميناً عام للحزب لمدة الدورة الجارية (ثلاث سنوات)، ويُتاح له الترشّح لعدد غير محدود من الدورات المتتالية. وفي حال تعدّر استمراره في أداء مهامه لأي سبب، كالوفاة أو العجز، يقوم المجلس بانتخاب أميناً عاماً جديداً لإتمام الدورة الجارية.

يعدّ مجلس الشورى الهيئة الأكثر أهمية داخل الحزب، إذ تضطلع بصياغة الأهداف العامة والسياسات الاستراتيجية، ومتابعة تنفيذ البرامج، واتخاذ القرارات ذات الطابع السياسي.

أما الأمين العام، فيتولّى مهمة الإشراف والتوجيه والتنسيق، ويُعبّر عن المواقف السياسية للحزب. وقد أدّت الضرورات التنظيمية، في مرحلة لاحقة، إلى استحداث منصب نائب الأمين العام لمساعدته في مهامه.



إلى جانب مجلس الشورى، تنبثق عنه مجالس أخرى متخصصة، تشكل معاً البنية العلنية الأفقية للحزب، وهي:

• المجلس السياسي: يضم مسؤولي الملفات السياسية وأعضاء لجنة التحليل، ويُعنى بإعداد التحليل السياسية الموجهة لمجلس الشورى، إلى جانب التواصل مع القوى السياسية والحزبية اللبنانية بمختلف انتماءاتها.

• المجلس الجهادي: يُشرف على كل ما يتعلق بالعمل المقاوم المسلح، ويضمّ المسؤولين عن العمليات، والتدريب، والإعداد، والتجهيز، ويتولى التخطيط والقيادة الميدانية في ساحات المواجهة.

• مجلس العمل النيابي: يتكوّن من نواب الحزب، ويُعنى بمتابعة شؤون كتلة الوفاء للمقاومة التي تضم نواب حزب الله بالإضافة إلى نواب آخرين من الطوائف اللبنانية، سواء أكانوا من المسلمين أو المسيحيين. ويُشرف هذا المجلس على دراسة مشاريع القوانين المعروضة أمام البرلمان، والدفاع عن مصالح المواطنين، وتبني المواقف السياسية للحزب داخل المؤسسة التشريعية.

• المجلس التنفيذي: يتكوّن من مسؤولي المناطق والقطاعات المختلفة، الاجتماعية، التربوية، الثقافية، النقابية، والمهنة الحرة. ويُشرف على إدارة مؤسسات الحزب العاملة في هذه المجالات، والتي تخضع لإدارة مجالس إدارية مستقلة شكلياً، ومرتبطة تنظيمياً بالحزب.

• المجلس القضائي: يتكوّن من محكّمين قضائيين ينتشرون في المناطق المختلفة، ويُعنى بالنظر في النزاعات الداخلية بين أعضاء الحزب، وكذلك في القضايا التي يُحيلها المواطنون إليه طوعاً،

شريطة التزامهم بتنفيذ الأحكام الصادرة عنه. لكن، في حال عرض النزاع على القضاء الرسمي للدولة، يُسحب النظر فيه من قبل المجلس القضائي للحزب.

### ثانيًا: البنية السريّة والمكوّنات غير المعلنة

إلى جانب البنية العلنية، من المسلم به وجود هياكل سريّة داخل الحزب، تظل خارج إطار الإعلان العلني. من بين أبرز هذه الوحدات، يُذكر:

• وحدة العمليات الخارجية

• جهاز الاستخبارات التابع للحزب،

وهي كيانات تضطلع بالعمليات الخاصة والأدوار الاستخباراتية التي تقتضي أعلى درجات السريّة والتكتم.

### ثالثًا: المؤسسات الاجتماعية والخدمية

يُشرف حزب الله أيضًا على عدد كبير من المؤسسات الخدمية التي تؤدي أدوارًا حيوية على المستوى الاجتماعي، وغالبًا ما تُعتبر بديلاً عن الدولة اللبنانية في عدد من المجالات التي فشلت الدولة في الاضطلاع بها. ومن بين هذه المؤسسات:

• مؤسسة جهاد البناء،

• الهيئة الصحية الإسلامية،

• مؤسسة القرض الحسن،

• مؤسسة الشهيد،



• المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم،

• مؤسسة الجرحى،

• هيئة دعم المقاومة الإسلامية.

وتُعتبر هذه المؤسسات من أبرز عناصر القوة الناعمة للحزب، إذ تسهم في توسيع قاعدته الشعبية، وترسيخ حضوره الاجتماعي داخل مختلف البيئات اللبنانية، من خلال تقديم خدمات حيوية وفعّالة، تُعزز من متانة الحاضنة الشعبية التي تحيط بالحزب وتدعمه<sup>(1)</sup>.

لقد تبين، من خلال تتبع النشأة والخلفية العقائدية والبنية التنظيمية، أنّ حزب الله لا يمكن فهمه إلا كمنظومة متكاملة تتجاوز الحدود القطرية. لكن هذا الكيان لم يبلغ ذروته الرمزية والسياسية إلا حين اقترن اسمه باسم حسن نصر الله، القائد الذي أعاد تعريف معادلات الردع، ورَسَخ خطاب المقاومة في الوعي العربي والإسلامي. ومن هنا، تبدأ قراءة المرحلة الثانية، حيث يندمج المسار الحزبي بالقيادة الكاريزمية، وتُعاد صياغة التوازنات الداخلية والخارجية للحزب.

(1) حول التنظيم الهيكلي للحزب، انظر، قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج- التجربة- المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص. 97 وما يليها، AYAD (Christophe) : Géopolitique du Hezbollah, op. cit., empl 122 et ss عبد الغني (عماد) : حزب الله، إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، مصدر سابق، ص 23 وما يليها.

## القسم الثاني: مرحلة نصر الله وما بعدها: إعادة تشكيل موقع الحزب في الداخل والإقليم

بعد أن ارتسمت ملامح التكوين العقائدي والتنظيمي لحزب الله، وتبينت خلفياته الفكرية وامتداداته الجيوسياسية، تلوح في الأفق مرحلة مفصلية لا يمكن تجاوزها دون الوقوف عند ديناميتها الفارقة: مرحلة قيادة السيد حسن نصر الله. فقد شكّلت زعامته الطويلة حقبة زاخرة بالتحوّلات الكبرى، شهد فيها الحزب صعودًا عسكريًا متسارعًا، وانخراطًا سياسيًا فاعلاً، وتوسّعًا إقليميًا غير مسبوق. ولأنّ التاريخ لا يُختزل في حاضرٍ متينٍ مهما بلغ تماسكه، فإنّ اغتيال السيد حسن نصر الله فتح الباب على مصراعيه أمام مرحلة مغايرة، تتجاوز منطق الامتداد الخطي إلى منطق التحوّل الجذري، بما يحمله من تساؤلات قلقة حول مآلات الحزب، وإمكانات استمراره، وحدود تكيّفه في غياب قائده الأبرز.

وانطلاقًا من هذه الجدلية، ينقسم هذا القسم إلى محورين أساسيين:  
أولاً، قراءة معمّقة لمسيرة حزب الله تحت زعامة السيد حسن نصر الله، في أبعادها السياسية والعسكرية والإقليمية (أ)، وثانياً، محاولة استشرافية تفكّك السيناريوهات المحتملة لما بعد الاغتيال، وتُحلّل تداعيات الفراغ القيادي في سياق إقليمي متحوّل وضابط (ب).

### أ- حزب الله تحت زعامة حسن نصر الله: بين الصعود السياسي-العسكري والتحديات الإقليمية.

شهد حزب الله اللبناني، تحت قيادة السيد حسن نصر الله، فترة تاريخية تميزت بتحوّلات استراتيجية عميقة انعكست على المشهد الإقليمي والدولي. تولى نصر الله منصب الأمين العام للحزب عام



1992، ليصبح الشخصية المركزية في توجيه سياساته العسكرية والسياسية، مما أفضى إلى تحولات جوهرية في موقع الحزب داخل لبنان وخارجه.

خضع الحزب في بداياته لنظام قيادة جماعية، إلا أن التطورات الميدانية والسياسية فرضت ضرورة تحديد قيادة موحدة. في عام 1989، تم انتخاب صبحي الطفيلي كأول أمين عام للحزب، وخلال فترة ولايته شهد الحزب تصعيداً في العمليات العسكرية ضد الاحتلال الإسرائيلي، إضافةً إلى صدمات داخلية مع حركة أمل فيما عُرف بـ«حرب الأشقاء» (1988-1990) <sup>(1)</sup>

خلال سنة 1991، وقعت انتخابات ثانية في حزب الله انتخب فيها السيد عباس الموسوي خلفاً له، فعاد الشيخ صبحي الطفيلي واحداً من أعضاء مجلس شورى حزب الله <sup>(2)</sup>.

عبّاس الموسوي هو أحد مؤسسي حزب الله وهو ثاني أمين عام له، تسلم منصبه عام 1991، لكنه لم يبقى فيه أكثر من 9 أشهر، إذ اغتالته يد الغدر الإسرائيلية أثناء عودته من خطاب ألقاه في بلدة «جبشيت» بجنوب لبنان بمناسبة ذكرى مقتل راغب حرب أحد أفراد الحزب <sup>(3)</sup>.

في 16 فيفري 1992، انتخب مجلس شورى حزب الله السيد حسن نصر الله أميناً عاماً للحزب بالإجماع خلفاً لعباس الموسوي،

---

(1) انظر: في هذا الخصوص، قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص 159 وما بعدها.  
(2) انظر: الأغا (يوسف): حزب الله، التاريخ الأيديولوجي والسياسي، مصدر سابق، ص.65.

(3) انظر، قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص.168 وما بعدها.

على الرغم من أنه كان أصغر أعضاء مجلس الشورى سناً، وأنه لم يكن نائباً للأمين العام.

وُلد السيد حسن نصرالله في 31 أوت 1960 في الضاحية الشرقية لبيروت، وحينما كان يزاول دراسته الإعدادية ارتاد حلقات آية الله محمد حسين فضل الله. إلا أنّ ذلك لم يدم طويلاً، إذ اندلعت الحرب الأهلية في لبنان خلال سنة 1975؛ ممّا أجبر عائلته على اللجوء إلى منطقة صور حيث مسقط رأس والده.



في خضمّ ما فرضته الحرب الأهلية من اصطفاً وانتظام طائفي، انخرط السيد حسن نصر الله في حركة أمل، التي كان يقودها، آنذاك، الإمام موسى الصدر، ثمّ ارتحل إلى النّجف، حيث زاول تعليمه الديني تحت إشراف آية الله العظمى، محمد باقر الصدر، وتعرّف على السيد عباس موسوي، الذي سيسبقه فيما بعد إلى منصب الأمين العام لحزب الله.

كان السيد حسن نصر الله طالباً نبياً ومتفوّقاً، إذ أكمل «المقدّمات»، وهي الدّورة الأولى من الدراسة الدينية في الحوزة، خلال سنتين في حين أنه من المفروض أن تستغرق خمس سنوات، إلاّ أنّه اضطرّ إلى الهروب من العراق على إثر حملة القمع الموجهة ضدّ الشيعة التي شنتها صدام حسين خلال شهر أفريل 1980 إذ تمّ إلقاء القبض على محمد باقر الصدر وشنقه والتمثيل بجثته في شوارع النّجف.

بعد عودته من العراق، استقرّ نصر الله في بعلبك بالبقاع اللبنانية، حيث زاول وأكمل بنجاح المرحلة الثانية من دراسته الدينية في الحوزة العلمية التي أسّسها السيد عباس موسوي، وفي بداية التسعينات سافر إلى قمّ حيث استكمل تكوينه العلمي.

بالتوازي مع ذلك، أصبح السيد حسن نصر الله عضوا في المكتب السياسي لمنطقة البقاع التابع لحركة أمل إلا أنه استقال من الحركة في خضمّ الاجتياح الإسرائيلي للبنان على إثر تشكيل هيئة الإنفاذ المهادنة للكيان الصهيوني، والتي ضمّت من ضمن أعضائها رئيس حركة أمل، السيد نبيه بري.

كان السيد حسن نصر الله من الأعضاء الأوائل للمقاومة الإسلامية بلبنان، إذ كان ضمن الدفعة الأولى التي التحقت بمراكز التدريب التي فتحتها حراس الثورة الإيرانيون في سهل البقاع. ومد ذلك تدريج في المسؤوليات بصفة متواترة، إذ عُيّن قائدا لمنطقة بعلبك ثم لكل سهل البقاع وأصبح، بعد ذلك، نائبا لقائد منطقة بيروت فقائدا لها. بعد مدة، عُيّن كعضو في مجلس الشورى ورئيس للمجلس التنفيذي للحزب، وأخيرا، خلال شهر فيفري من سنة 1992، عُيّن أمينا عاما لحزب الله وسنّه لم يتجاوز الواحد والثلاثون، ممّا أثار بعض التوجّس الذي سرعان ما انقشع بما أثبته السيد حسن نصر الله من حكمة وإقدام وذكاء تكتيكي واستراتيجي<sup>(1)</sup>.

خلال شهر أفريل من سنة 1996 شنّ الكيان الصهيوني عملية عسكرية واسعة النطاق استهدفت حزب الله، وكذلك، بنى تحتية مدنيّة داخل لبنان، ارتكب خلالها مجزرة قانا<sup>(2)</sup>. استغرقت العملية ستة عشر يوما وانتهت بإبرام اتّفاق وقف إطلاق النار برعاية فرنسا والولايات المتّحدة. وفي شهر سبتمبر من سنة 1997، ابتلي حسن نصر الله

(1) حول كلّ هذه المعطيات، انظر، على سبيل الذكر:

AYAD (Christophe): *Géopolitique du Hezbollah*, op. cit., empl. 533 et ss.

(2) قامت القوات الإسرائيلية في تاريخ 18 أفريل 1996 بشن هجوم دموي ضد المدنيين في مخيم قانا للاجئين الفلسطينيين في لبنان، والموجود تحت حماية الأمم المتحدة.

بأستشهاد ابنه البكر في سنّ الثامنة عشر أثناء اشتباك، في جنوب لبنان، مع جنود إسرائيليين. وأظهر هذا الحدث للجميع أنّه من طينة الزعماء الصادقين والمتواضعين الذين يجري عليهم، وعلى أبناءهم ما يجري على غيرهم من أعضاء الحزب<sup>(1)</sup>.

منذ توليه زعامة الحزب، ركّز نصر الله على تعزيز القدرات العسكرية لحزب الله، وعلى إقرار استراتيجية المقاومة المسلّحة بدون هوادة ضدّ الاحتلال مع الرّفص القطعي لأيّ تفاوض مع العدو، حتى في خصوص الانسحاب من جنوب لبنان، وقد آتت هذه الإستراتيجية أكلها إذ قرّر الكيان الصهيوني، من طرف واحد، الانسحاب سنة 2000 بعد احتلال دام 22 عامًا. اعتُبر هذا الانسحاب إنجازًا استراتيجيًا عزّز من مكانة الحزب كمقاومة وطنية لبنانية، وأسهم في تكريس نصر الله كقائد مؤثر على المستويين العربي والإسلامي<sup>(2)</sup>.

في شهر جويلية من سنة 2006، خاض الحزب حربًا غير متناظرة ضد إسرائيل استمرت 33 يومًا، أظهر خلالها تكتيكات عسكرية متطورة، مكبّدًا الجيش الإسرائيلي خسائرًا فادحة. وانتهت الحرب دون تحقيق إسرائيل لأهدافها المعلنة، ما اعتُبر نصرًا استراتيجيًا لحزب الله في منطق الحروب غير التقليدية. في أعقاب هذه الحرب، تعاضمت

(1) انظر، في هذا الخصوص، قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص.185 وما بعدها، AYAD (Christophe) : *Géopolitique du hezbollah*, op. cit., empl.579 et ss.

(2) حول تفاصيل هذا الانسحاب، انظر، على سبيل الذكر:

-AYAD (Christophe) : *Géopolitique du hezbollah*, op. cit., empl.597 et ss.cit.

-AVON (Dominique) et KHATCHADOURIAN (Anaïs-Trissa) : *Le Hezbollah. De la doctrine à l'action*, op. cit., p.53 et ss.



شعبية نصر الله في الأوساط العربية والإسلامية، وأصبح رمزاً للمقاومة في مواجهة الهيمنة الإسرائيلية والأمريكية. إلا أن بعض الأحداث التي استُدرج إليها الحزب في الداخل اللبناني أثارت انتقادات واسعة، خصوصاً أحداث 7 ماي 2008،<sup>(1)</sup> التي شهدت اشتباكات بين الحزب وخصومه السياسيين، مما عزّز الاتهامات الموجهة له بأنه يمثل «دولة داخل الدولة» و«ذراعاً إيرانيّاً» في لبنان.

### ب- التحديات السياسية: من الوطنية إلى الإقليمية

إلى جانب دوره العسكري، عزّز حزب الله من حضوره السياسي إذ قرّر، خلال سنة 1992، المشاركة في الانتخابات التشريعية اللبنانية حيث ظفر بأثني عشر مقعداً وتموضع، بموجب ذلك، وبصفة دائمة، في المشهد السياسي والمؤسساتي اللبناني.

كما نجح في توظيف حرب 1996 لتحقيق اختراق دبلوماسي هامّ يتمثّل في إقرار اتفاق وقف إطلاق النار المبرم في أبريل 1996 بحقّ المقاومة اللبنانية في محاربة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وهو، بذلك، يثبّت حقّ معلوم من القانون الدولي بالضرورة<sup>(2)</sup>.

(1) انظر، على سبيل الذكر، الأغا (يوسف): حزب الله، التاريخ الأيديولوجي والسياسي، مرجع سابق، ص. 131 وما يليها. قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص. 264 وما يليها. AYAD (Christophe) : *Géopolitique du Hezbollah*, op. cit., empl. 719 et ss.

(2) القانون الدولي العامّ يكرّس الحقّ في المقاومة المسلّحة للاحتلال. انظر: في هذا الخصوص، على سبيل الذكر:

DARWISH (Majd): La légalité internationale de la résistance armée palestinienne, in, [https://www.carep-paris.org/recherche/etudes\\_sur\\_la\\_palestine/la-legalite-internationale-de-la-resistance-armee-palestinienne/](https://www.carep-paris.org/recherche/etudes_sur_la_palestine/la-legalite-internationale-de-la-resistance-armee-palestinienne/), consulté le 31/2025/3/.

خلال هذه الحقبة، وضع حزب الله، بقيادة حسن نصر الله، سياسة جديدة يتعامل من خلالها مع الداخل اللبناني، إذ عدل، نهائياً، عن فكرة إنشاء دولة إسلامية بالقوة، وعود في شعاره مصطلح «الثورة الإسلامية» بـ «المقاومة الإسلامية»، واعترف بحقوق كل الطوائف الأخرى، وسعى إلى توطيد العلاقة والتنسيق مع الدولة اللبنانية<sup>(1)</sup>. وانتهى هذا التمشي إلى تقديم وثيقته السياسية التي حددت رؤيته للقضايا الداخلية والخارجية<sup>(2)</sup>. فبعد الانتصارات العسكرية للمقاومة، قدم السيد حسن نصر الله الوثيقة السياسية الجديدة لحزبه في خطاب ألقاه في نوفمبر 2009، وحدد فيه الخطوط العريضة لسياسة الحزب فيما يتعلق بعدد من القضايا الداخلية والخارجية. ووفق الوثيقة، التي اعتبرها المراقبون تحولاً نوعياً في الفكر السياسي للحزب، فإن الحزب لم يتحدث عن وجود أعداء له في الداخل اللبناني، وأكد أن لبنان وطن الآباء والأجداد والأجيال، وربط بقاء سلاح الحزب ببقاء التهديد الإسرائيلي، وزواج بين وجود مقاومة شعبية وجيش وطني. ورهنت الوثيقة السياسية تطبيق الديمقراطية في لبنان بإلغاء الطائفية السياسية، ورفضت التقسيم والفيدرالية الصريحة أو المقنعة، وجددت التزام حزب الله بتبعيته العقائدية تجاه ولاية الفقيه في إيران. وفي هذا السياق، يتجه الإشارة إلى أن هذه الوثيقة لا تلغي وتعوض الرسالة المفتوحة المعلن عنها في 16 فيفري 1985 بل تضاف إليها.



(1) انظر، على سبيل الذكر، عبد الغني (عماد) : حزب الله، إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، مصدر سابق، ص. 43 وما يليها.  
(2) انظر: قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، مصدر سابق، ص. 467 وما يليها.

### ج- انعكاسات الربيع العربي والتدخل في سوريا

أحدثت الثورات العربية عام 2011 تحديات جديدة لحزب الله على المستوى الإقليمي. ففي حين دعم نصر الله الثورات في تونس ومصر وليبيا والبحرين، اتخذ موقفاً مغايراً تجاه الاحتجاجات في سوريا، التي تعد الحليف الاستراتيجي الأهم للحزب في إطار محور المقاومة. في شهر أفريل من سنة 2013، أعلن نصر الله رسمياً مشاركة عناصر حزبه في القتال إلى جانب الجيش السوري، متجاوزاً المبررات السابقة التي اقتصرت على «حماية المقامات الدينية» أو «الدفاع عن الحدود اللبنانية».

أثار هذا التدخل جدلاً واسعاً، حيث اعتبره معارضوه دليلاً على «طائفية» الحزب، كما أدى إلى تراجع شعبيته في بعض الأوساط العربية، خاصة بعد اتساع رقعة التدخل إلى مناطق مثل دمشق، حلب، دير الزور، والقلمون<sup>(1)</sup>. إلا أنّ التطوّرات المأساوية للأوضاع في سوريا بعد سقوط النظام وتداعياتها على مستوى التوازنات الإقليمية أثبتت أنّ تدخل حزب الله في سوريا لم يكن لمساندة نظام سلطوي، بل للحفاظ على موازين قوى تخدم المصالح العليا للأمة، وبالأخصّ، القضية الفلسطينية، وكذلك، للتصدّي للجماعات الإرهابية التكفيرية التي زجّت بها الصهيون-أمريكية المسنودة من تركيا ومشيوخ وممالك الخليج في أرض المعركة، وفي هذا السياق، وفي شهر فيفري من سنة 2015، أعلن نصر الله أن عناصر الحزب يشاركون في القتال ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في العراق لمواجهة تهديد إرهابي عابر للحدود. وقد برّر الحزب هذا التدخل باعتباره امتداداً لمهمته في حماية المنطقة من المخططات التكفيرية التي تقف وراءها الصهيون-أمريكية.

(1) انظر، حول هذا الموضوع، على سبيل الذكر:

AYAD (Christophe) : *Géopolitique du Hezbollah*, op. cit., empl.793 et ss.

## د- المواجهة مع الكيان الصهيوني ودور الحزب في «طوفان الأقصى»

في أعقاب عملية «طوفان الأقصى» التي أطلقتها المقاومة الفلسطينية في 7 أكتوبر 2023، انخرط حزب الله في المواجهة عبر فتح جبهة إسناد بقصف مزارع شبعا، ما أدى إلى تصعيد على الحدود اللبنانية الإسرائيلية. ومع استمرار الحرب في غزة، كرّر نصر الله تأكيده على أن الجبهة اللبنانية ستبقى مفتوحة طالما استمر العدوان الإسرائيلي على القطاع. وبالفعل، توسّع نطاق العمليات شيئاً فشيئاً إلى أن تحوّل الأمر إلى مواجهة مفتوحة وشاملة مع الكيان الصهيوني.

### هـ الاغتيال وتداعياته

في 27 سبتمبر 2024، نفذ الكيان الصهيوني غارة جوية استهدفت الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث أعلن الجيش الإسرائيلي أنها استهدفت مقر قيادة حزب الله. وفي اليوم التالي، أكد حزب الله مقتل نصر الله في الهجوم، متعهداً «بمواصلة المقاومة والدفاع عن لبنان».

أثار اغتيال نصر الله ردود فعل واسعة، حيث نعت حركة حماس القائد الراحل، مشيدةً بدوره في دعم القضية الفلسطينية. كما اعتُبر الاغتيال نقطة تحول في المشهد الإقليمي، حيث يُتوقع أن يفتح مرحلة جديدة في المواجهة بين حزب الله وإسرائيل، فضلاً عن إعادة تشكيل هيكل القيادة داخل الحزب.

لقد مثلت قيادة السيد حسن نصر الله لحزب الله مرحلة مفصلية في تاريخ التنظيم، إذ عزّز من دوره كقوة عسكرية وسياسية داخل لبنان، وكمحور رئيسي في الصراع الإقليمي. ومع اغتياله، يظل التساؤل مطروحاً حول مستقبل الحزب، ومدى قدرته على إدارة تداعيات هذا الحدث داخلياً وإقليمياً، في ظل التحولات الجيوسياسية المتسارعة في المنطقة.



ومن جهتها نعت نصر الله حركة المقاومة الإسلامية حماس وقالت في بيان إنها تستذكر «سيرته ومسيرته الحافلة بالتضحيات في سبيل تحرير القدس والمسجد الأقصى المبارك».

وأشادت الحركة في بيانها بمواقف نصر الله «المشرّفة الداعمة لشعبنا الفلسطيني ومقاومتنا الباسلة وحقوقنا المشروعة، وإصراره على مواصلة جبهة الإسناد البطولية لشعبنا ومقاومتنا في طوفان الأقصى، على الرّغم من عظم التضحيات وجسامة التحديات، حتى قضى شهيدا وهو على ذات النهج الدّاعم والمؤيّد للشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة».

وبينما شكّلت قيادة السيد حسن نصر الله مرحلة ذهبية في تاريخ حزب الله، رسّخت حضوره العسكري والسياسي على الساحتين اللبنانية والإقليمية، فإنّ اغتياله المفاجئ فرض تحوّلاً دراماتيكيّاً في المشهد، يستدعي محاولة استشراف مستقبل الحزب في ظلّ غياب شخصيته المحورية، وتغيّر المعادلات الإقليمية والدولية من حوله.

### ج- حزب الله في مرحلة ما بعد نصر الله: قراءة استشرافية في المآلات المحتملة

إنّ محاولة استشراف مصير حزب الله كقوة سياسية - عسكرية في الداخل اللبناني وعلى المستوى الإقليمي يجب أن تأخذ في الاعتبار معطى جوهريا يتمثّل في العلاقة ذات الطبيعة الاندماجية بينه وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية (1) وكذلك، حدثين بارزين وهما استشهاد السيد حسن نصر الله وقيادات كبيرة (2)، وانهيار النظام السوري وطلول حكومة متشكّلة من عناصر إرهابية معادية محلّه (3).

## أولاً : العلاقة بين حزب الله وإيران والخلفية العقائدية المؤسّسة لها

يندرج حزب الله ضمن مكونات ما يُعرف بمحور المقاومة، الذي يضمّ، بصورة أساسية، الجمهورية الإسلامية الإيرانية والنظام السوري (قبل انهياره) أنصار الله في اليمن وفصائل المقاومة العراقية وحركات المقاومة المسلّحة الفلسطينية. وتعدّ العلاقة التي تربط حزب الله بإيران علاقة عضوية تتجاوز نطاق التحالف السياسي التقليدي لتأسس على قاعدة عقائدية راسخة ترتبط مباشرة بتبنيّ الحزب لمبدأ ولاية الفقيه، بصفته الإطار المرجعي الأعلى الذي ينتظم من خلاله البعد السياسي والديني لحركته.



في هذا السياق، يجب التأكيد على أنّ العلاقة بين إيران وحزب الله ليست علاقة قائمة على مصالح جيوسياسية أو مقتضيات استراتيجية ظرفية، بل هي علاقة تحكمها خلفية عقائدية صلبة، تُضفي على الالتزام الإيراني بالقضية الفلسطينية ومعاداة الكيان الصهيوني طابعاً دينياً مُلزماً يتجاوز كل الحسابات البراغماتية. فلو كانت دوافع الجمهورية الإسلامية الإيرانية محكومةً بمنطق المصلحة، لكان من الأجدي لها أن تتخلّى عن دعم القضية الفلسطينية، وتسعى إلى تطبيع علاقاتها مع الغرب بما يتيح لها رفع العقوبات الاقتصادية، والاندماج في النظام المالي والنقدي الدولي على نحو يتناسب مع وزنها الجيوسياسي. ولو فعلت ذلك، لكان الإنجاز الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية، والكيان الصهيوني، والدول الأوروبية، التي لن تتردّد في دفع الثمن اللازم لذلك.

غير أنّ إيران لم تسلك هذا المسار، بل تمسّكت بمناصرة القضية الفلسطينية بناءً على منطلقات عقائدية صرفة، يجدها المتتبع مكرّسة بوضوح في الدستور الإيراني. فقد نصّت المادة الخامسة منه على ما يلي:

«في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل، والمتقي، البصير بأمر العصر، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير...». وقد كرس هذا النص مبدأ ولاية الفقيه، ونصّب الإمام روح الله الخميني، عند دخول الدستور حيّز التنفيذ سنة 1979، كأول وليّ فقيه ونائب عن الإمام الغائب، حسب ما يعتقد المذهب الشيعي الاثني عشري. وقد اعتبر الإمام الخميني القضية الفلسطينية، ومدينة القدس تحديداً، قضية إسلامية مركزية، وجعلها في صميم اهتمامات الدولة الإيرانية وفي قلب سياساتها الخارجية<sup>(1)</sup>.

ويُعتبر هذا التوجه انعكاساً مباشراً لما نصّت عليه المادة 11 من الدستور الإيراني من أنّه وفقاً للآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: 92]، يشكل المسلمون أمةً واحدةً، ويتعين على حكومة جمهورية إيران الإسلامية صياغة سياستها العامة على أساس تضامن الشعوب الإسلامية ووحدتها».

في هذا الإطار، أعلن الإمام الخميني أن آخر يوم جمعة من شهر رمضان من كلّ سنة يكون يوماً عالمياً للقدس، تأكيداً منه على مركزية القضية الفلسطينية ضمن المشروع الإسلامي.

وتتجاوز مواقف الإمام الخميني البعد السياسي لتأخذ طابعاً دينياً ملزماً، لا سيما بالنسبة إلى أتباع المذهب، الذين يرون فيه الوليّ الفقيه الجامع للشرائط، والملزم لهم في شؤون الدين والدولة على حد

(1) انظر، في هذا الخصوص، القدس في فكر الإمام الخميني، جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية، بيروت، <https://books.almaaref.org/view.php?id=220>. 2025/3/25

سواء. وقد واصل الإمام علي خامنئي، خلفه في منصب الولي الفقيه، النهج ذاته<sup>(1)</sup>، مؤكداً التزامه بما يُعرف بـ «خط الإمام»<sup>(2)</sup>، أي الأهداف والأولويات والسياسات التي رسمها الخميني، وعلى رأسها دعم المقاومة الفلسطينية المسلحة.

وتتجلى الأهمية التي أولاها الإمام الخميني للقضية الفلسطينية في كونه أحد المحاور الأساسية في وصيته السياسية التي خلفها قبل وفاته<sup>(3)</sup>، ما يؤكد مركزيتها ضمن الفكر السياسي والديني الإيراني.

بالنسبة إلى المؤسسة الدينية الإيرانية المتنفذة في الحكم، تُعدّ القضية الفلسطينية قضية إسلامية بالدرجة الأولى، ما يجعلها ملزمة لجميع التيارات السياسية داخل البلاد، ويمنحها كذلك طابعاً موجّهاً للسياسة الخارجية الإيرانية<sup>(4)</sup>.

وفي هذا السياق، تبوّأت القضية الفلسطينية موقعاً محورياً ضمن ثوابت السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية، ودفعت إيران في سبيل التزامها هذا أثماناً باهظة، لا يمكن تفسيرها ضمن أدوات التحليل الجيوسياسي التقليدي: من العقوبات الاقتصادية المتعددة، إلى المؤامرات المستمرة، وصولاً إلى دفع ضريبة الدمّ في ساحات الصراع المختلفة.

(1) انظر في هذا الخصوص، السيد خامنئي(علي): قضية فلسطين، مراجعة حسن صعب، مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، بيروت، 2011.

(2) نفس المصدر ص.45 وما بعدها.

(3) نفس المصدر.

(4) انظر في هذا الخصوص، فاضل (رضا علي): إيران والقضية الفلسطينية، دراسة في المواقف والتحوّلات (1948-2010)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2024.

ويُعتبر الالتزام الإيراني بمناصرة القضية الفلسطينية جزءاً من متطلبات الشرعية الثورية التي تأسست عليها الجمهورية الإسلامية، بما يفرض إدماج هذه القضية داخل المشروع السياسي الإيراني عبر آليات دستورية، وتشريعية، وتنفيذية.

وفي ظل هذه الخلفية، تُعدّ إيران الدولة الوحيدة في الوقت الراهن التي تُقدّم دعماً عسكرياً وميدانياً مباشراً للقضية الفلسطينية، سواء عبر التمويل والتسليح، أو من خلال نقل التكنولوجيا التي تمكّن حركات المقاومة من تحقيق الاكتفاء الذاتي في تصنيع الأسلحة. ويتم ذلك عبر شبكة واسعة تضم أطراف محور المقاومة، الذي شكّل في الأصل من أجل إسناد القضية الفلسطينية، ويُعدّ حزب الله أحد مكوناته الأساسية.

غير أنّ حزب الله لا يُعتبر مجرد حليف لإيران، بل هو امتداد عقائدي وعسكري مباشر لها، يشترك معها في المشروع الرامي إلى إزالة الكيان الصهيوني، ما يجعل من غير الوارد أن تُقدم الجمهورية الإسلامية على التخلي عنه، كما لا يُتوقع أن ينفصل الحزب عن مرجعيته الإيرانية في المستقبل المنظور.

### ثانياً : اغتيال حسن نصر الله وقيادات الصفيين الأول والثاني

في ذروة المواجهة مع حزب الله، تمكّن الكيان الصهيوني، مستفيداً من تفوّقه التكنولوجي والاستخباراتي، المدعوم بشكل مباشر من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، من توجيه ضربات شديدة الدقة والأثر إلى البنية القيادية والتنظيمية لحزب الله، مركّزاً على استهداف منظومة القيادة والتحكم لديه، ما أسفر عن إحداث أضرار جسيمة على المستويين العمليّات والتكتيكيّ.

ففي 17 سبتمبر 2024، حوالي الساعة 15:30 بالتوقيت المحلي، انفجرت آلاف الأجهزة اللاسلكية من طراز (Gold Apollo AR924) في كل من لبنان وسوريا. وأشارت التقارير الفنية إلى أنّ هذه الأجهزة كانت تحتوي على متفجرات بلاستيكية مخفية داخل البطاريات، وهو ما جعل من الصعب اكتشافها حتى باستخدام الأشعة السينية. وفي اليوم الموالي، 18 سبتمبر 2024، دوّت انفجارات أخرى، استهدفت مئات أجهزة اللاسلكي المحمولة التي يستخدمها مقاتلو حزب الله، وقد بينت التحقيقات أنّ هذه الأجهزة خضعت لتعديلات جعلتها قابلة للتفجير الذاتي، ما تسبب في وقوع إصابات إضافية. وقد كشفت تحقيقات لاحقة أنّ جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) كان الجهة التي تقف خلف هذه العمليات، بعد أن نجح، على امتداد عقد كامل من الزمن، في إنشاء شركات وهمية، والتعاون مع عدد من المصنعين في دول مختلفة، من أجل توريد أجهزة لاسلكية مزوّدة بمتفجرات لحزب الله، دون أن يتفطن هذا الأخير إلى طبيعة هذه الأدوات أو أهدافها الكامنة<sup>(1)</sup>.



للدراسات والتوثيق والنشر

(1) Cf, <https://www.hrw.org/news/2024/09/18/lebanon-exploding-pagers-harmed-hezbollah-civilians>, consulté le 23/3/2025.  
<https://www.reuters.com/graphics/ISRAEL-PALESTINIANS/HEZBOLLAH-PAGERS/mopawkkwipa/> consulté le 23/3/2025.  
<https://apnews.com/article/lebanon-israel-devices-exploding-mossad-cbs-hezbollah-b008d92e6c9f0747f23def9bf3a5e-3df> consulté le 23/3/2025  
<https://www.thetimes.com/world/us-world/article/israel-mossad-exploding-pager-plot-planned-for-decade-50hwtgfrf?r> consulté le 23/3/2025.  
<https://lieber.westpoint.edu/well-it-depends-explosive-pagers-attack-revisited/> consulté le 23/3/2025.

أسفرت هذه الضربات عن إرباك واسع داخل صفوف الحزب، إذ فقد عدد كبير من عناصره القدرة على التواصل الميداني، ما أثر بشكل مباشر على مستوى عملياته وتنظيمه القتالي. وإلى جانب ذلك، انتهج الكيان الصهيوني سياسة اغتيايات ممنهجة استهدفت قيادات الصفيين الأول والثاني، محدثاً بذلك خللاً في سلسلة القيادة والتحكم، وهزاً واضحاً في الهيكلية التنظيمية والقدرة العمليانية لحزب الله.

ومن المفيد، في هذا السياق، الإشارة، على سبيل الذكر، لبعض من أبرز الاغتيالات:

- في 8 جانفي 2024، استهدفت غارة إسرائيلية في جنوب لبنان وسام الطويل، نائب قائد وحدة الرضوان، وهو أحد القادة الميدانيين البارزين في الحزب.

- في 30 جويلية 2024، قُتل فؤاد شكر، المعروف بلقب الحاج محسن، في غارة إسرائيلية استهدفته في حارة حريك ببيروت الجنوبية، وكان يُعد من أبرز القادة العسكريين في الحزب، ومن المقرّبين للأمين العام الراحل السيد حسن نصر الله.

- في 20 سبتمبر 2024، استهدفت غارة جوية في بيروت إبراهيم عقيل، قائد وحدة الرضوان - وحدة النخبة في حزب الله - ما أسفر عن مقتله مع نحو عشرة من كبار قادة الحزب.

- في 26 سبتمبر 2024، أعلنت مصادر في حزب الله عن مقتل نبيل قاووق، نائب رئيس المجلس التنفيذي للحزب، في غارة إسرائيلية استهدفته في منطقة الشياح بضاحية بيروت الجنوبية.

- في 27 سبتمبر 2024، استُهدف السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله، في غارة جوية على ضاحية بيروت الجنوبية، ما أدى إلى استشهاده بعد قيادته للحزب على امتداد 32 عامًا.

- في 28 سبتمبر 2024، قُتل علي كركي، المعروف بلقب الحاج ذو الفقار، قائد جبهة الجنوب في حزب الله، خلال غارة جوية في جنوب لبنان.

- في 1 أكتوبر 2024، أعلنت إسرائيل مقتل محمد جعفر قصير، المسؤول عن نقل الأسلحة من إيران إلى حزب الله، خلال غارة جوية في بيروت.

- في 23 أكتوبر 2024، أعلنت مصادر في الحزب مقتل هاشم صفي الدين، رئيس المجلس التنفيذي وخليفة نصر الله في الأمانة العامة، في غارة إسرائيلية على بيروت.

تؤكد هذه العمليات أن الكيان الصهيوني ركّز جهوده، في هذا المستوى، على نقاط تفوقه النوعي، المتمثلة أساسًا في التطور التكنولوجي والاستخبارات المتقدمة، وخاصة، التمكن من توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في تنفيذ عمليات عالية الدقة والتعقيد<sup>(1)</sup>.

في المقابل، برز عجز واضح لدى حزب الله عن مجاراة هذا المستوى من التفوق العدواني، إذ يفتقر إلى الوسائل التكنولوجية

(1) Cf, <https://reporterre.net/Au-Liban-la-terrifiante-guerre-technologique-d-Israel>, consulté le 222024/12/.

ificielle-par-l-armee-israelienne-questionne-le-droit-de-la-guerre\_6205753\_3232.html, consulté le 222024/12/.

-international/israel-hezbollah-bipeurs-ia-les-nouvelles-armes-de-la-guerre-20240918, consulté le 32025/1/.

والأمنية الكفيلة بالردّ بالمثل، أو إحباط هذه السياسات المنهجية التي تهدف إلى تصفية منظومة القيادة لديه.

وتتعمّق المعضلة حين نلاحظ أنّ العقيدة العسكرية التي يتأسس عليها العمل الحربي للحزب، إضافة إلى قواعد الاشتباك التي يلتزم بها، لا تتضمن، في تركيبها، أي عنصر رادع يمكن أن يمنع الكيان الصهيوني من مواصلة هذه السياسة، نظرًا لانعدام الثمن الباهظ الذي قد يُدفع مقابلها.

وفي كل الأحوال، فإنّ اغتيال قيادات الحزب، وعلى رأسهم أمينه العام السيد حسن نصر الله، شكّل فراغًا قياديًا كبيرًا من العسير ملؤه في المدى القريب، وهو فراغ من المنتظر أن تكون له تداعيات ثقيلة على مختلف المستويات.

فالسيد حسن نصر الله، طيلة قيادته لحزب الله، تمكّن من توظيف حنكته السياسية ومصداقته الشخصية لترسيخ توازن دقيق بين مختلف القوى السياسية الفاعلة على الساحة اللبنانية، بحيث أمّن موقع المقاومة كقوة عسكرية فاعلة ومشروعة داخل البنية السياسية اللبنانية. غير أنّ غيابها أحدث خللاً في هذا التوازن، إذ تصاعدت الأصوات المطالبة بنزع سلاح حزب الله، في انسجام واضح مع الخطاب الأمريكي والإسرائيلي، الذي لطالما اعتبر أن تجريد الحزب من سلاحه يمثل هدفًا استراتيجيًا غير قابل للتحقيق عبر الوسائل العسكرية فقط.

وتُشير التطورات داخل الساحة اللبنانية إلى ملامح تحوّل غير مواتٍ بالنسبة إلى الحزب، إذ يُستشفّ من الخطابات الرسمية الصادرة عن كل من الرئيس اللبناني المنتخب حديثًا، وكذلك رئيس الحكومة، وجود إرادة سياسية واضحة في تجريد الحزب من سلاحه، واعتماد خيار

حصر مهمة الدفاع عن لبنان في يد الجيش اللبناني وحده. وإذا تمّ تفعيل هذه السياسة، فإنّها ستفضي بالضرورة إلى إخراج لبنان، ومعه حزب الله، من معادلة الصراع مع الكيان الصهيوني، وهو ما يمثل، في المنظور الإسرائيلي، انتصارًا استراتيجيًا يفوق شأنًا الانتصارات العسكرية.

بعد عملية اغتيال السيد حسن نصر الله وقيادات بارزة في الحزب، رصد خصوم حزب الله في الداخل حالة من الضعف البنيوي في صفوفه، وحاولوا استثمارها في سبيل تصفيته كقوة عسكرية. وقد أطلقوا دعوات متكررة إلى نزع سلاحه، والعمل على احتكار الدولة اللبنانية، دون سواها، للوسائل العسكرية، دون أن يُعبروا اهتمامًا لما قد يترتب عن ذلك من تكريس للهيمنة الإسرائيلية المطلقة على مقدّرات لبنان، لا سيما في ظل غياب أيّ قوّة رادعة تقف في وجه المشروع الصهيوني. وتعدّ هذه الدعوة جزءًا لا يتجزأ من البرنامج السياسي الذي التزمت به حكومة نواف سلام<sup>(1)</sup>، ما يجعلها مرشحة للترجمة إلى سياسات عملية قد تُغيّر من شكل العلاقة بين الدولة اللبنانية والمقاومة المسلحة.

أمّا رئيس الجمهورية، جوزيف عون، فقد اعتبر أنّ مقاومة حزب الله للكيان الصهيوني تندرج ضمن إطار تصفية الحسابات الإقليمية لإيران<sup>(2)</sup>، ويشكّل كلّ ذلك تحوّلًا لافتًا عن المواقف السابقة للرئاسة والحكومة، التي كانت تُظهر تعاطفًا أو تعاونًا ضمنيًا مع الحزب.

(1) انظر في هذا الخصوص: <https://www.aljazeera.net/news/2025/2/17> (عاجل-وزير-الإعلام-اللبناني-البيان ، أطلّعت عليه في 2025/2/18).

(2) انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=yTGdXJ7H-CM> ، أطلّعت عليه في 2025/3/2.

من جهة أخرى، فإن غياب السيد حسن نصر الله لن يقتصر أثره على المستوى العسكري أو السياسي فحسب، بل سيكون له وقع بالغ على المستويين الإعلامي والشعبي، بالنظر إلى خصاله الشخصية الكاريزمية التي مكنته من استمالة الرأي العام، داخلياً وخارجياً، بفعالية قل نظيرها، وهي خصال لا تتوفر بالضرورة لدى أي من خلفائه، ما يُعمق الفجوة بين الحزب وبيئته الحاضنة في غياب شخصيته القيادية المحورية.

### ثالثاً: تداعيات انهيار النظام السوري على حزب الله

يمثل النظام السوري، تاريخياً، أحد أبرز الحلفاء الاستراتيجيين لحزب الله، بل يُعدّ ركيزة أساسية ضمن بنية محور المقاومة، بحكم موقعه الجغرافي الوسيط بين إيران ولبنان، وبالنظر إلى ما كان يوفره من خط إمداد حيوي تمرّ عبره الأسلحة الإيرانية إلى الحزب. وفي أوقات المواجهة العسكرية مع الكيان الصهيوني، كانت مخازن الأسلحة والصواريخ السورية تُفتح أمام حزب الله دون قيد أو شرط، إلى جانب الدعم السياسي والتنسيق الاستخباراتي الوثيق الذي كان قائماً بين الطرفين. كما مثل التحالف مع دمشق ورقة قوة داخلية في السياق السياسي اللبناني.

غير أن انهيار النظام السوري، وحلول سلطة معادية مكانه، أسفر عن قطع خط الإمداد الإيراني المباشر، وعن فقدان حزب الله لحليف إقليميّ موثوق، ما شكّل ضربة قاسية لبنينه الاستراتيجية. وقد ترتب عن هذا التحول انعكاسات خطيرة، جعلت الحزب محاصراً من جهات عدّة إذ يجد الحزب نفسه في مواجهة متعددة الجبهات:

• من جهة، الكيان الصهيوني، الذي استغل انهيار النظام السوري ليحقق مكاسب جيوسراتيجية كبيرة، تمثلت في احتلاله لمرتفعات جبل الشيخ المطلة على الأراضي اللبنانية، وفرض سيطرته على مناطق سورية استراتيجية، من دون أن تواجهه أي مقاومة تُذكر من الجماعات المسلّحة التي أصبحت تمسك بالسلطة في دمشق.

• من جهة أخرى، السلطة الجديدة في سوريا -التي جاءت بعد انهيار النظام- اتسمت بعبادة شديدة تجاه إيران وحزب الله، دون أن تبدي أيّ اعتراض على الاحتلال الإسرائيلي لأجزاء واسعة من الأراضي السورية، ما يؤكد الطبيعة الوظيفية لهذه الجماعات الإرهابية، ويشير إلى احتمال توظيفها مستقبلاً ضد حزب الله نفسه، من قبل الجهات الراعية لها.



وعليه، فإن سقوط النظام السوري لا يمكن قراءته باعتباره حلقة متأخرة من سلسلة ما عُرف إعلامياً بـ«الربيع العربي»، بل يجب فهمه في سياق الصراع المستعر بين المحور الصهيوني-أمريكي ومحور المقاومة. وقد تمّ في هذا الإطار توظيف الجماعات الإرهابية الوظيفية، وعلى رأسها هيئة تحرير الشام بقيادة أبو محمد الجولاني، ضمن ما يمكن تسميته بـ«النموذج الثلاثي»، الذي يتكوّن من ثلاثة أصناف من الدول:

### 1. الدول المخططة (Les États concepteurs):

هذه الدول هي الجهات التي أنتجت الظاهرة الإرهابية، عبر مخططات استراتيجية متناسقة. ويُفترض، في هذا الإطار، وضع الجماعات الإرهابية الجهادية في سياقها التاريخي المتّصل، إذ أنّها لم تنشأ فجأة، بل جاءت كنتيجة مباشرة لمسار بدأ في أوائل التسعينيات، عقب انهيار الاتحاد السوفياتي وتراجع الإيديولوجيا الشيوعية.

في ذلك السياق، ظهرت أطروحة صدام الحضارات لصامويل هنتنغتون<sup>(1)</sup>، التي روجت لفكرة الصراع الحتمي بين العالم الغربي والعالم الإسلامي. وفي السياق ذاته، صرّح ويلي كلاس، الأمين العام لحلف الناتو حينها، بأنّ العدو الجديد للحلف، بعد سقوط الشيوعية، هو الإسلام<sup>(2)</sup>، في إشارة صريحة إلى الفضاء الجيوسياسي الإسلامي بصفته مسرحًا مستقبليًا للتدخل العسكري. وفعليًا، ومنذ ذلك الحين، تركزت أغلب التدخلات العسكرية الأمريكية والأطلسية على العالم الإسلامي. غير أنّ التدخل العسكري المباشر لم يكن كافيًا وحده لتحقيق الأهداف الاستراتيجية، لذلك، تمّ اعتماد استراتيجية الحرب المقتّعة<sup>(3)</sup> (*La stratégie de la guerre masquée*)، التي تقوم على تأسيس وتوظيف منظمات إرهابية لتكون أدوات حرب بالوكالة<sup>(4)</sup>، تعمل على تحقيق أهداف

(1) Cf, HUNTINGTON (Samuel P.): *Le Choc des civilisations*, édit. Odile Jacob, Paris, 1997.

(2) Cf, [http://www.liberation.fr/planete/1995/03/06/grandeur-et-decadence-d-un-enfant-des-corons\\_128569](http://www.liberation.fr/planete/1995/03/06/grandeur-et-decadence-d-un-enfant-des-corons_128569), consulté le 12/3/2025.

[http://articles.chicagotribune.com/1995-02-12/news/9502120298\\_1\\_fundamentalism-islamic-world-islamic-salvation-front](http://articles.chicagotribune.com/1995-02-12/news/9502120298_1_fundamentalism-islamic-world-islamic-salvation-front) , consulté le 12/3/2025.

(3) حول استخدام الحلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لإستراتيجية الحرب المقتّعة، انظر أطروحة دكتورا الباحث السويسري دانيال جنزار:

- GANSER (Danièle): *Les Armées secrètes de l'OTAN, Réseaux StayBehind, Gladio et terrorisme en Europe de l'ouest*, Editions Demi-Lune, 2011, thèse soutenue à l'université de Bâle.

(4) حول هذا الموضوع، صرّح الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، بأنّ الرئيس أوباما بالتعاون مع هيلاري كلينتن هما اللذان أسّسا داعش، انظر في هذا الخصوص:

- <http://www.bfmtv.com/international/trump-accuse-obama-et-clinton-d-avoir-cree-daesh-et-s-attire-les-foudres-des-democrates-1025347.html> , consulté le 16/2024/10/.

الحلف دون التورط المباشر في العمليات القتالية.

## 2. الدول الوسيطة (Les États relayeurs):

وهي دول مسلمة تلعب دور الواجهة التي تُدير من خلالها الدول المخططة الجماعات الإرهابية. وتشمل مهامها الإشراف الاستخباراتي على الجماعات الجهادية، وتمويلها وتسليحها، فضلاً عن تجنيد ما يُعرف بـ«علماء السوء» لتسويق خطاب ديني يُلهب الحماسة لدى الفئات البسيطة من الناس. وتبرز تركيا وبعض الدول الخليجية في طليعة هذا الصنف من الدول، حيث ثبت ضلوعها في تشغيل الجماعات الإرهابية



-<http://www.lefigaro.fr/flash-actu/2016-09-01/11/08/20160811FILWWW00031-trump-obama-a-cree-le-groupe-ei.php> , consulté le 25/2024/10/.

-<http://www.20minutes.fr/monde/190761920160811--etats-unis-donald-trump-accuse-obama-avoir-cree-daesh> , consulté le 25/2024/10/.

\* هذه الحقيقة معلومة وثابتة لدى العديد من الملاحظين. انظر، على سبيل الذكر:

-<https://www.legrandsoir.info/comment-et-pourquoi-les-etats-unis-ont-cree-l-etat-islamique.html>, consulté le 20/10/2024.

-<https://blogs.mediapart.fr/jean63/blog/180115/general-v-des-portes-les-etats-unis-ont-cree-daech>, consulté le 12/12/2024.

-<http://arretsurinfo.ch/videoancien-de-la-cia-les-etats-unis-ont-cree-letat-islamique-pour-le-bien-disrael/> , consulté le 24/12/2024.

\* أما فيما يتعلق بتأسيس تنظيم القاعدة، فقد اعترفت هيلاري كلينتن أنه من «صنع» الولايات المتحدة الأمريكية، انظر في هذا الخصوص:

-<https://www.youtube.com/watch?v=zXEemXbIYdk>, consulté le 30/12/2024.

-<https://français.rt.com/international/39670-selon-poutine-etats-unis-al-qaida>, consulté le 30/12/2024.

-<https://wikileaksactu.wordpress.com/tag/financement-dal-qaida-par-la-cia/>, consulté le 30/12/2024.

وتوجيهها لتحقيق أهداف المحور الصهيوي-أمريكي، وعلى رأسها تفكيك محور المقاومة واستهداف مكوناته، وفي مقدمتها حزب الله.

### 3. الدول المستهدفة (Les États cibles):

وهي الدول التي تتعرض مباشرةً لظاهرة الإرهاب، إما لتفكيكها، أو لتغيير نظام الحكم فيها، أو لتعديل حدودها الجغرافية، أو لإيجاد ذريعة للتدخل الخارجي. وتشمل هذه الفئة سوريا، العراق، مصر، لبنان، اليمن، الجزائر، تونس، مالي، نيجيريا، وغيرها، ما يكشف عن اتساع رقعة الاستهداف وعمق المشروع القائم خلف الظاهرة الإرهابية. وبناءً على ما سبق، فإنّ خسارة حزب الله للحليف السوري تمثل ضربة استراتيجية ذات أبعاد متعددة:

- انقطاع خط الإمداد العسكري الإيراني، الذي كان يمر عبر الأراضي السورية.
- انكشاف الجبهة اللبنانية أمام خصوم الحزب، داخلياً وخارجياً.
- تعاضل الضغط السياسي الداخلي من الحكومة والرئاسة، مع تعهد حكومة نواف سلام بمنع وصول أي دعم عسكري أو لوجستي للحزب.
- تموضع النظام السوري الجديد في خانة العداء تجاه حزب الله، مع استعداد واضح للتعاون مع الكيان الصهيوني والولايات المتحدة من أجل تصفيته كقوة عسكرية.

في سياق هذه التطورات الهامة، داخلياً وإقليمياً، تبرز معالم تحوّل استراتيجي عميق في طبيعة الصراع القائم بين المحور الصهيوي-أمريكي

ومحور المقاومة، إذ بات واضحاً أنّ الغاية النهائية من هذه التحولات لا تقتصر على إنهاء أطراف المقاومة أو تقليص قدراتها، بل تتجه نحو تصفية القضية الفلسطينية برمتها، والقضاء النهائي على بنية محور المقاومة، تمهيداً لفرض تسوية إقليمية شاملة تركز الهيمنة الإسرائيلية وتُعيد رسم توازنات المنطقة.

وفي هذا الإطار، يمكن استشراف أبرز المآلات المستقبلية المحتملة، والتي يُرجح أن تشكل خارطة المرحلة المقبلة:

1. تقسيم سوريا إلى مناطق نفوذ متعددة، وفق أسس طائفية أو إثنية، بما يخدم مصالح الكيان الصهيوني، ويُضعف وحدة القرار السياسي والعسكري في الإقليم.

2. توظيف المشهد الجيوسياسي الجديد الناجم عن انهيار النظام السوري لصالح المشروع الصهيوني، وذلك عبر:

• تسريع وتيرة التطبيع بين عدد من الدول العربية والكيان الصهيوني، مثل السعودية وسوريا وغيرها، بما يُحدث اختراقاً سياسياً جديداً في الجبهة العربية.

• تهجير الفلسطينيين، في إطار سياسة تفريغ الأرض من سكانها الأصليين، ضمن مشروع «الحل النهائي» للقضية الفلسطينية.

• القضاء على حزب الله كقوة عسكرية فاعلة، عبر الضغط الداخلي والخارجي، وتجفيف منابع الدعم اللوجستي والمالي والعسكري.

• إعادة تفعيل الصراع السني-الشيوعي، من خلال استخدام بعض المكوّنات السنية في المنطقة كأدوات في حرب أهلية مذهبية



شاملة، تُقدّم بوصفها صراعاً طائفيًا، بينما هي في جوهرها آلية تفكيك وتدمير لمحور المقاومة.

3. لبنان والعراق مرشّحان بقوة لأن يكونا الساحتين الرئيسيتين لهذا الصراع الدموي، في ظل هشاشة الوضع الداخلي في كلا البلدين، وتعدّد الولاءات والانقسامات الطائفية، وتكثّف التدخلات الإقليمية والدولية.

4. تفاقم الضغط على العلاقات الإيرانية-اللبنانية، عبر محاصرة خطوط الإمداد، والضغط على الحكومة اللبنانية لمنع أي دعم يصل من إيران إلى حزب الله، وهو ما من شأنه أن يُعمّق العزلة الجيوسياسية للحزب.

5. تفعيل أدوات الحرب النفسية والإعلامية، بهدف التشكيك في شرعية المقاومة، وتحويلها إلى عبء داخلي على الدولة اللبنانية، من خلال حملات مركّزة تستهدف بيئتها الحاضنة.

6. استشعار خصوم حزب الله في الداخل اللبناني لحالة الضعف النسبي التي ألمّت بالحزب، ما يدفعهم إلى تكثيف الدعوات لتجريده من سلاحه، وتمكين الدولة اللبنانية من احتكار القوة العسكرية. وهذه الدعوات تتماهى بشكل تام مع مطالب الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وهو ما يُؤشر إلى تناغم داخلي-خارجي يستهدف تصفية الحزب.

7. تدهور العلاقة مع النظام السوري الجديد، الذي تحوّل من حليف استراتيجي إلى خصم صريح، لا يُخفي عداؤه لإيران وحزب الله، ويبدو مستعداً للتعاون مع الكيان الصهيوني في إطار مشروع إقليمي مضاد لمحور المقاومة.

8. إحكام الحصار الجغرافي على حزب الله، بفعل:

- انقطاع خط الإمداد التقليدي عبر سوريا.
- معارضة الحكومة اللبنانية لأي دعم عسكري خارجي للحزب.
- تطويق الحزب من الشمال والشرق والجنوب، من قبل قوى إقليمية ودولية معادية.
- و لكن، وعلى الرغم من هذا السياق المعقد والمتدهور، لا تزال بعض عناصر القوة بيد حزب الله، ومنها:
- تمثيله السياسي والديموغرافي للطائفة الشيعية، التي تُشكّل ما لا يقلّ عن 40% من الشعب اللبناني، إلى جانب شريكه حركة أمل، وهو ما يمنحه شرعية تمثيلية داخلية يصعب تجاوزها.
- تحالفه العقائدي والاستراتيجي مع إيران، الذي يُمثّل مصدر دعم مستمر على المستويات السياسية والعسكرية والمالية.
- قدراته الذاتية في التصنيع العسكري، حيث تؤكد عدّة مصادر أنّ الحزب بات يُنتج ما يقارب 70% من احتياجاته التسليحية، بالاعتماد على التكنولوجيا الإيرانية وخبراته الميدانية المتركمة.

وعلى ضوء ما تقدّم، لا يفوتنا أن نعاين أنّ الفكرة الدارجة لدى الرأي العامّ تعتبر أنّ مجال تفوق المحور الصهيوني-أمريكي يتمثّل بالأساس في التكنولوجيا وتطبيقاتها العسكرية، إلّا أنّ واقع الصراع يفيد بفشله في حسمه باستخدام العلوم الصحيحة والتكنولوجيا العسكرية، وأنّ مجال التفوق الحقيقي يكمن في استخدام العلوم الإنسانية والاجتماعية الذي مكّنه من تحقيق اختراق نوعي صلب محور المقاومة، فالنظام السوري،



على سبيل المثال، لم يسقط جرّاء استخدام قوة عسكريّة خارقة أو تكنولوجيا حربيّة متفوّقة، بل من خلال تفعيل الصراعات الطائفية، واستعمال تقنيات تفكيك المجتمعات من الداخل وتقويض المشروعية الرمزية والسياسية للمقاومة، وفي هذا الأمر نظر وطله ما بعده.

### خاتمة:

تأسيسًا على مجمل التحليل السابق، يمكن القول إنّ حزب الله لم يعد مجرد فاعل محليّ يُقاس حضوره ضمن معايير السياسة اللبنانية الضيقة، بل تحوّل، بفعل تشابك مكوّناته العقائدية، وهيكليته التنظيمية، وموقعه ضمن شبكة التحالفات الإقليمية، إلى كيان هجين، يتجاوز التصنيفات الكلاسيكية في العلوم السياسية. إنه، في الآن ذاته، تنظيم مقاوم يرفع شعار «الجهاد في سبيل الله»، وفاعل سياسي يشارك في العملية البرلمانية، وهيئة اجتماعية-خدمية تحاكي مؤسسات الدولة، وذراع عقائدية-أمنية لمشروع إقليمي عابر للحدود.

لقد مثّلت تجربة الحزب، خاصة خلال العقود التي قادها السيد حسن نصر الله، نموذجًا متقدّمًا في إدارة التوازنات الحرجة بين متناقضات متداخلة: بين الخطاب الديني والعمل السياسي، بين الانتماء الوطني والولاء العقائدي الإقليمي، وبين الاحتكام لمؤسسات الدولة والانفصال عنها أمنياً وعسكريًا. هذا النموذج، بقدر ما وفر للحزب فرص التمدّد الشعبي والسياسي والعسكري، جعل منه في الآن ذاته هدفًا مركزيًا لاستراتيجيات الحصار والتفكيك والاحتواء.

وقد شكّل اغتيال السيد حسن نصر الله، بالتوازي مع تصدّع النظام السوري الذي مثّل أحد أبرز حلفاء الحزب وأركان «محور المقاومة»، ضربة مركّبة أفضت إلى فراغ مزدوج: فراغ قيادي رمزي لا يُعوّض

بسهولة، وفراغ استراتيجي في شبكة التحالفات، من شأنه أن يُربك تموضعات الحزب، ويُحدث اختلالاً في منظومة الردع التي كرسها على مدى عقود.

ورغم أن حزب الله أثبت تاريخياً قدرته على امتصاص الضربات واستثمار الأزمات، فإنَّ المرحلة الراهنة تضعه أمام تحديات غير مسبوقة: ضغوط عسكرية وأمنية من الداخل والخارج، حملات تشويه إعلامية منظمة، محاصرة مالية متعدّدة الأبعاد، وبيئة إقليمية غير مستقرة. لذا، فإنَّ مستقبل الحزب سيظلُّ مرهوناً بعدة محدّدات، أبرزها: مدى قدرته على إعادة بناء قيادته بطريقة تضمن الاستمرارية والشرعية الرمزية، ومدى قدرته على استثمار الرأسمال الاجتماعي والديموغرافي والعقائدي المتراكم، وتحويله إلى عناصر قوة داخلية فاعلة.

كما يظلُّ العامل الإيراني حاسماً في تحديد أفق الحزب المستقبلي، إذ أنّ استمرارية الدعم الإيراني، سواء كان مباشراً أو عبر مسارات التفاف غير تقليدية، سيحدّد ليس فقط قدرة الحزب على الصمود، بل أيضاً على إعادة التوضع داخل بيئة إقليمية تتغيّر بسرعة. ومع ذلك، فإنَّ هذا الدعم لن يكون بذات الشكل الذي عُرف في العقود الماضية، بل سيخضع لمعادلات جديدة تفرضها الجغرافيا السياسية المتحوّلة، والتوازنات الدقيقة بين العائد الاستراتيجي والكلفة السياسية.

وعليه، فإنَّ تحليل تجربة «حزب الله» يكشف عن معطى أعمق يتمثّل في صعوبة القضاء على الفاعلين غير الدوّلتيين الذين يستند حضورهم إلى ثلاثية صلبة: مرجعية عقائدية تعبويّة، وهيكلية تنظيمية مغلقة ومرنة في آن، ومظلومية تاريخية ذات بعد رمزي. هذا النسيج المعقّد لا يمكن تفكيكه عبر عمليات الاغتيال فقط، ولا عبر الضغط الإعلامي أو المالي



فحسب، بل يتطلّب تفكيك الشروط البنيوية التي تمنح الحزب شرعية داخلية واستمرارية ميدانية، وهو ما لم يتحقّق حتى الآن.

من هنا، يظلّ مستقبل حزب الله مفتوحًا على مجموعة من السيناريوهات المتضاربة، تبدأ من إمكان التكيّف البنيوي مع الواقع الجديد، وإعادة إنتاج دوره ضمن سياق أقلّ صدامًا وأكثر براغماتية، إلى سيناريو الانكماش الاستراتيجي وتحول الحزب إلى نموذج مقاومة أكثر سرّية ومرونة، قادر على التخفي والتسلل دون أن يفقد بوصلته العقائدية أو شعبيته الاجتماعية. وبين هذا وذاك، ثمة فرضية تبلور دور جديد للحزب، يتماهى مع مشهد إقليمى ما بعد القيادات الكاريزماتية الكبرى، يدمج بين ما هو تقني وما هو رمزي، ويُعيد رسم معالم المقاومة على أسس جديدة تستجيب لتحديات عصر ما بعد السيد حسن نصر الله.

بهذا المعنى، لا يُختتم الحديث عن حزب الله بصفته مجرد تنظيم انتهت مهمته باغتيال قيادته أو اهتزاز حلفائه، بل يُفتح الباب أمام تفكير نظري-استراتيجي أوسع، يُعيد مساءلة مفاهيم الدولة، والمقاومة، والولاء، والهوية، في فضاء عربي-إسلامي يُعاد تشكيله تحت وطأة الاضطراب المتصاعد.

## البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

## أولاً: المصادر

### 1 - العربية

- الأغا (يوسف): «حزب الله، التاريخ الأيديولوجي والسياسي» (1978-2008)، دراسات عراقية، بغداد-أربيل-بيروت، 2008.

- عبد الغني (عماد): حزب الله، إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2013.

- قاسم (نعيم): حزب الله، المنهج-التجربة-المستقبل، لبنان ومقاومته في الواجهة، دار المحجة البيضاء-بيروت، الطبعة السابعة، 2010.

## مجمع إفريقيا دراسات والتوثيق والنشر

### 2 - الأجنبية

- AYAD (Christophe) : *Géopolitique du hezbollah* , Presses Universitaires de France, Paris, 2024.

- AVON (Dominique) , KHATCHQDOURIAN (Anaïs-Trissa) : *Le Hezbollah. De la doctrine à l'action : Une histoire du « parti de Dieu »*, Editions du Seuil, Paris, 2010



## ثانياً: المراجع

### 1- العربية

- السيد خامنئي (علي): قضية فلسطين، مراجعة حسن صعب، مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، بيروت، 2011.
- الإمام الخميني (روح الله الموسوي): أجوبة الاستفتاءات، ج1، دار الحق، بيروت، الطبعة الأولى، 1995.
- الإمام الخميني (روح الله) : الحكومة الإسلامية، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وزارة الإرشاد، 1982.
- الصدر (محمد باقر): خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1979.
- فاضل (رضا علي): إيران والقضية الفلسطينية، دراسة في المواقف والتحوّلات (1948-2010)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2024. التوثيق والنشر

### 2- الأجنبية

- GANSER (Danièle) : *Les Armées secrètes de l'OTAN, Réseaux StayBehind, Gladio et terrorisme en Europe de l'ouest*, Editions Demi-Lune, 2011, thèse soutenue à l'université de Bâle.
- HUNTINGTON (Samuel P.) : *Le Choc des civilisations*, édit. Odile Jacob, Paris, 1997.

- KEOHANE (Robert O.), & NYS (Joseph S) :  
*Transnational relations and world politics*, Harvard  
University Press, 1972.

### ثالثا: المواقع الإلكترونية

القدس في فكر الإمام الخميني، جمعية مراكز الإمام الخميني  
الثقافية، بيروت، <https://books.almaaref.org/view.php?id=220>  
اطلعت عليه في 2025/3/25.

-DARWISH (Majd): «La légalité internationale de la  
résistance armée palestinienne», in, [https://www.carep-paris.org/recherche/etudes\\_sur\\_la\\_palestine/la-legalite-internationale-de-la-resistance-armee-palestinienne/](https://www.carep-paris.org/recherche/etudes_sur_la_palestine/la-legalite-internationale-de-la-resistance-armee-palestinienne/) ,  
consulté le

- <https://www.hrw.org/news/2024/09/lebanon-exploding-pagers-harmed-hezbollah-civilians>,  
consulté le 31- 3- 2025.

<https://www.reuters.com/graphics/ISRAEL-PALESTINIANS/HEZBOLLAH-PAGERS/mopawkkwjpa/> consulté le 23- 3- 2025.

<https://apnews.com/article/lebanon-israel-devices-exploding-mossad-cbs-hezbollah-b008d92e6c9f0747f23def9bf3a5e3df> consulté le 23- 5- 2025.



- [https://www.umambiblio.org/AR/book\\_detail/14426/](https://www.umambiblio.org/AR/book_detail/14426/) 11- 1- 2025.

- <https://www.monde-diplomatique.fr/index/sujet/guerreduliban>, consulté le 11- 1- 2025.

[ael-n-a-pas-determine-la-nature-de-la-zone-tampon-qu-il-exige-dans-le-sud\\_2892328\\_1819218.html](https://www.monde-diplomatique.fr/index/sujet/ael-n-a-pas-determine-la-nature-de-la-zone-tampon-qu-il-exige-dans-le-sud_2892328_1819218.html), consulté le 27- 3- 2025.

<https://www.thetimes.com/world/us-world/article/israel-mossad-exploding-pager-plot-planned-for-decade-50hwtgrfr?r> consulté le 23- 3- 2025..

<https://lieber.westpoint.edu/well-it-depends-explosive-pagers-attack-revisited/> consulté le 23/2025/3/.

<https://reporterre.net/Au-Liban-la-terrifiante-guerre-technologique-d-Israel>, consulté le 22- 12- 2024.

[officielle-par-l-armee-israelienne-questionne-le-droit-de-la-guerre\\_6205753\\_3232.html](https://reporterre.net/Officielle-par-l-armee-israelienne-questionne-le-droit-de-la-guerre_6205753_3232.html), consulté le 22- 12- 2024.

[international/israel-hezbollah-bipeurs-ia-les-nouvelles-armes-de-la-guerre-20240918](https://reporterre.net/international/israel-hezbollah-bipeurs-ia-les-nouvelles-armes-de-la-guerre-20240918), consulté le 3- 1- 2025.

- <https://www.aljazeera.net/news/2025-17/2/> عاجل -

وزير-الإعلام-البناني-البيان ، اطلعت عليه في 2025/2/18

<https://www.youtube.com/watch?v=yTGdXJ7H-CM> , Consulté:2- 3- 2025.

[http://www.liberation.fr/planete/199506/03//grandeur-et-decadence-d-un-enfant-des-corons\\_128569](http://www.liberation.fr/planete/199506/03//grandeur-et-decadence-d-un-enfant-des-corons_128569), consulté le 12- 3- 2025.

[http://articles.chicagotribune.com/199512-02-/news/9502120298\\_1\\_fundamentalism-islamic-world-islamic-salvation-front](http://articles.chicagotribune.com/199512-02-/news/9502120298_1_fundamentalism-islamic-world-islamic-salvation-front) , consulté le 12- 3- 2025.

<http://www.bfmtv.com/international/trump-accuse-obama-et-clinton-d-avoir-cree-daesh-et-s-attire-les-foudres-des-democrates-1025347.html> , consulté le 16- 10- 2024.

<http://www.lefigaro.fr/flash-actu/201620160811-97001/11/08/FILWWW00031-trump-obama-a-cree-le-groupe-ei.php> , consulté le 25- 10- 2024.

<http://www.20minutes.fr/monde/1907619-20160811-etats-unis-donald-trump-accuse-obama-avoir-cree-daesh> , consulté le 25- 10- 2024.

<https://www.legrandsoir.info/comment-et>



[pourquoi-les-etats-unis-ont-cree-l-etat-islamique.html](#), consulté le 20- 10- 2024.

-<https://blogs.mediapart.fr/jean63/blog/180115/general-v-desportes-les-etats-unis-ont-cree-daech>, consulté le 12- 12- 2024.

-<http://arretsurinfo.ch/videoancien-de-la-cia-les-etats-unis-ont-cree-letat-islamique-pour-le-bien-disrael/> , consulté le 12- 12- 2024.

- <https://www.youtube.com/watch?v=zXEemXbIYdk>, consulté le 30- 12- 2024.

-<https://francais.rt.com/international/39670-selon-poutine-etats-unis-al-qaida>, consulté le 30- 12- 2024.

-<https://wikileaksactu.wordpress.com/tag/financement-dal-qaida-par-la-cia/>, consulté le 30- 12- 2024.

# الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله الأسس والمحددات

سليم الأعماري  
باحث ومصمم

## مقدمة:

إنّ السيد حسن نصر الله يُعدّ إحدى الشخصيات البارزة في المشهد السياسي والفكري المعاصر، فهو بالنسبة إلى أنصاره يمثل صورة المقاومة ضد الاحتلال. أمّا بالنسبة إلى خصومه، فإنه يظلّ فاعلاً خطيراً، يحمل مشروعاً إيديولوجياً عابراً للحدود، واستراتيجية مواجهة دائمة مع الغرب وحلفائه الإقليميين.

ومهما يكن من أمر، فإنّه من غير الممكن إنكار أنّ السيد نصر الله قد نجح في تحويل حركة هامشية وُلدت في أتون الحرب الأهلية اللبنانية واجتياح إسرائيل إلى فاعل مركزي في الساحة السياسية والاستراتيجية الإقليمية.

يتميّز الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله بعمقه العقائدي، وقدرته على التكيّف. فهو وريث للتقليد الشيعي الاثني عشري، ومتأثر بعمق بفكر الإمام الخميني، ويصوغ رؤيته في إطار تركيبة أصيلة تجمع بين بعدين: من جهة، إيديولوجية دينية تتمحور حول الشهادة والعدالة

وولاية الفقيه؛ ومن جهة أخرى، براغماتية استراتيجية تمكّنه من العمل في السياق الخاص للبنان -المجتمع المتعدّد الطوائف والمكوّنات- مع اندماجه في دينامية إقليمية أوسع. هذه الثنائية -الإيديولوجية والبراغماتية- تشكّل الأساس الذي يستند إليه، وتفسّر قدرة حزب الله على الصمود في وجه الأزمات المتعاقبة.

إنّ دراسة أسس الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله تتيح لنا مقارنة عدد من الإشكاليات المعاصرة: فكيف يمكن لتنظيم ديني أن يتكيف مع منطق النظام السياسي الوطني؟ وكيف تتحوّل المقاومة المسلحة إلى مشروع للشرعية وركيزة لها؟ وكيف يبني القائد الديني هوية سياسية تتجاوز حدود طائفته الأصلية ليقدم نفسه كفاعل إقليمي، بل وعالمي؟

للإجابة على ذلك لا بدّ من البحث في الأسس العقائدية والدينية لفكر السيد نصر الله، المنغرس في التشيع ونظرية ولاية الفقيه. ثم نتناول الأسس الاستراتيجية والعسكرية التي تجعل من المقاومة المسلحة جوهر عمله السياسي، وسنحلّل الأسس الاجتماعية -السياسية والوطنية؛ مبرزين كيف استطاع حزب الله أن يوظّف تهميش الطائفة الشيعية لبناء مشروع مجتمعي متكامل. وسنوسّع النظرة إلى الأسس الجيوسياسية والإقليمية، واضعين السيّد نصر الله في إطار محور المقاومة ومواجهة الغرب. وأخيراً، سنقف عند الأسس الخطابية والرمزية التي تفسّر قوة قيادته الكاريزمية وأدواته في الاتصال السياسي.

ومن خلال هذه المقاربة المتعدّدة الأبعاد، يتضح أنّ الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله لا يقتصر على خطاب المقاومة فحسب، بل يشكّل عقيدة متكاملة تجمع بين الإيديولوجيا والبراغماتية، وبين الوطني والعابر للحدود، وبين الديني والاستراتيجي.

## أولاً: الأسس العقائدية والدينية

لا يمكن فهم الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله دون العودة إلى أسسه العقائدية والدينية. فباعتباره قائداً لحركة شيعية وُلدت في سياق الثورة الإسلامية في إيران، يدرج فكره وممارسته ضمن استمرارية عقائدية وروحية مخصوصة.

هذه المرجعية تستند في آن واحد إلى تقليد التشيع الاثني عشري، وإلى الإرث الثوري للإمام الخميني، وإلى إسقاط هذه المرجعيات على السياق اللبناني.

### 1 - التشيع الاثنا عشري كإطار روحي وسياسي

إنّ التشيع الاثني عشري، الذي تنتمي إليه غالبية الشيعة في لبنان، يشكل الإطار الناظم لفكر السيد نصر الله. هذا التقليد الديني يتميز بالانتظار للإمام الغائب (المهدي)، وبتركيز خاص على مقاومة الظلم. وتحتل ملحمة كربلاء موقعا محورياً في الذاكرة الشيعية.

بالنسبة إلى السيد نصر الله، لا يُعتبر هذا الإرث مجرد ذكرى دينية، بل هو منبع إلهام سياسي. ف«روح كربلاء» تتجلى في خطابه من خلال استحضار دائم لفكرة المظلومية، وضرورة التضحية دفاعاً عن العدالة. وتُقدّم المقاومة المسلحة ضد إسرائيل باعتبارها استمراراً معاصراً لمعركة الحسين ضد الطغيان. كما تُمنح مكانة محورية لشخصية الشهيد بصفتها أسمى تعبير عن الإيمان، وأداة فعالة للتعبئة السياسية<sup>(1)</sup>.

وعليه، فإن الفكر السياسي للسيد نصر الله يتجذر في جدلية لاهوتية - سياسية تجعل من التاريخ المقدس أداة لقراءة الحاضر: ظالمون في

(1) SABRINA (Mervin) : *Le Hezbollah : État des lieux*, Sindbad/ Actes Sud, Paris, 2008, pp. 57- 60.

مواجهة مظلومين، ظلم في مواجهة عدل، تضحية في مواجهة هيمنة. هذه الرؤية تمنح الصراع السياسي شرعية متعالية، وتحوّل النضال الوطني إلى قضية عالمية.

## 2 - ولاية الفقيه وتأثير الإمام الخميني

الركيزة الثانية في فكر السيد نصر الله العقدي هي ولاية الفقيه، التي نظّر لها الإمام الخميني، وكرسها بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979. فوفقاً لهذه النظرية، في غياب الإمام الغائب، تُنأط السلطة السياسية العليا بالفقيه الجامع للشرائط، الضامن لتطبيق الشريعة وحماية مصلحة الأمة.

لقد تشرّب السيد نصر الله هذه العقيدة منذ شبابه، إذ درس في النجف ثم في قم، وتأثر بشخصية الإمام الخميني وبخليفته السيد علي خامنئي. وتحت قيادته، ظلّ حزب الله يؤكد التزامه بمبدأ ولاية الفقيه، معترفاً بمرجعية المرشد الأعلى الإيراني الروحية والسياسية<sup>(1)</sup>.

غير أنّ خصوصية الفكر السياسي للسيد نصر الله تكمن في قدرته على تكييف هذه العقيدة مع الواقع اللبناني. فبينما تنطوي ولاية الفقيه على مركزية للسلطة الدينية والسياسية في إيران، استطاع نصر الله أن يوفق بين هذه المرجعية وبين مشاركة فاعلة في النظام التعددي اللبناني. وقد سمحت هذه المرونة العقديّة لحزب الله بأن يكتسب شرعية مزدوجة: كقوة إسلامية عابرة للحدود، وكفاعل وطني لبناني<sup>(2)</sup>.

(1) - AHMAD NIZAR(Hamzeh):*In the Path of Hizbullah*, Syracuse University Press, 2004, pp. 52 -56 .

(2) ALAGHA (Joseph):*The Shifts in Hizbullah's Ideology : Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program*, Amsterdam University Press, 2006, pp. 120 -128.

### 3 - الدين والسياسة: اندماج عضوي

لا وجود لفصل بين الدين والسياسة في فكر السيد نصر الله السياسي. فالدين ليس مجرد بعد خاص، بل هو أساس الشرعية السياسية ذاتها. فالحكم والمقاومة والتنظيم الاجتماعي يجب أن تستند كلها إلى مبادئ الإيمان<sup>(1)</sup>. مع ذلك، لا تنحصر هذه الرؤية في إطار دغمائي صرف، فالسيد نصر الله لا يدعو إلى إقامة ثيوقراطية صرفه في لبنان، بل إلى اندماج عضوي بين المرجعية الدينية والممارسة السياسية. وهو يؤكد في خطبه على تكامل الإيمان والعقلانية، وعلى ضرورة التوفيق بين الوفاء للقيم الإسلامية والقدرة على التكيف مع الواقع الملموس للبلاد.



وهذا الاندماج بالتحديد هو الذي يؤسس لشرعيته، فهو ليس مجرد قائد عسكري أو سياسي، بل زعيم روحي يجسد السلطة الأخلاقية لمجتمعه. وتقوم سلطته على ثلاثية مترابطة: الكاريزما الشخصية، الالتزام العقائدي بالتشيع، والولاء لمبدأ ولاية الفقيه<sup>(2)</sup>.

إن هذه الأسس العقدية والدينية تشكل الركيزة الأولى لفكر السيد حسن نصر الله السياسي. فهي تفسر لماذا تُعتبر المقاومة واجباً مقدساً، ولماذا ينخرط حزب الله في رؤية تتجاوز حدود لبنان. غير أنّ الإيديولوجيا وحدها لا تكفي لتفسير صمود حزب الله وقوته، فالفكر السياسي للسيد نصر الله يتغذى أيضاً من استراتيجية دقيقة، براجماتية ومتطورة، تجعل من المقاومة المسلحة قلب مشروع.

(1) SAAD-GHORAYEB (Amal): *Hizbu'llah: Politics and Religion* (London: Pluto Press, 2002, 80- 87.

(2) BITAR (Karim) : «Hassan Nasrallah, entre mythe et réalité », in *Confluences Méditerranée* 64, N° 1, 2008, pp. 23- 35.

### ثانياً: الأسس الاستراتيجية والعسكرية

إذا كان البعد العقائدي والديني هو الذي أسس لإيديولوجيا حزب الله تحت قيادة السيد حسن نصر الله، فإن البعد الاستراتيجي والعسكري هو الذي وفّر للمقاومة مشروعيتها واستمراريتها. فشخصية السيد نصر الله لا تفصل عن صورة قائد المقاومة، القادر على فرض تراجعات عسكرية مهمة على إسرائيل، وتحويل تنظيم شبه عسكري إلى فاعل سياسي مركزي في لبنان. وترتكز هذه الاستراتيجية على ثلاثة أعمدة: جعل المقاومة مبدأً مؤسساً، والتحول التدريجي من حرب تقليدية إلى حرب هجينة، ثم البراغمية العملية التي تجمع بين الحساب العقلاني والعزم الإيديولوجي..

#### 1 - المقاومة كمبدأ مؤسس

منذ نشأته، تأسس حزب الله على مفهوم المقاومة، فبالنسبة إلى السيد نصر الله، الكفاح المسلح ضد إسرائيل ليس خياراً بل واجباً، تفرضه العقيدة الدينية والواقع الجيوسياسي للبنان. فقد شكّل الغزو الإسرائيلي عام 1982 واحتلال جنوب لبنان عاملاً محفزاً للتنظيم، الذي سرعان ما اكتسب سمعة بالفعالية العسكرية في مواجهة الجيش الإسرائيلي<sup>(1)</sup>.

وتحت قيادة السيد، تمّ إضفاء الطابع المؤسسي على المقاومة باعتبارها جوهر الهوية السياسية لحزب الله. فلم يقدم نفسه كميليشيا خارجة عن القانون، بل كقوة وطنية للتحرير، تستمد شرعيتها من القانون الدولي ومن الخطاب الديني القائم على العدالة<sup>(2)</sup>. وقد مكّن هذا

(1) NORTON(Richard): *Hezbollah: A Short History*, Princeton University Press, 2014, pp. 25 -32.

(2) SAAD-GHORAYEB (Amal): *Hizbu'llah: Politics and Religion*, op.cit., pp. 92- 95.

الخطاب من تعبئة ليس فقط الشيعة اللبنانيين، بل أيضاً شريحة واسعة من الرأي العام العربي الباحث عن فاعل قادر على تحدي إسرائيل.

وهكذا، أصبحت المقاومة مبدأً مؤسساً في الفكر السياسي للسيد نصر الله: فهي سبب وجود حزب الله، وعنصر توحيد داخلي، ومصدر شرعيته أمام قاعدته الاجتماعية وحلفائه الإقليميين.

## 2 - من حرب تقليدية إلى الحرب الهجينة

تتمثل بُعد آخر مركزي في الاستراتيجية العسكرية لنصر الله في تطور تكتيكات حزب الله. ففي البداية، اعتمد التنظيم على أساليب حرب العصابات التقليدية: الكمائن، الهجمات المباغتة، والعمليات الاستشهادية ضد المواقع الإسرائيلية وعملاء قوات «جيش لبنان الجنوبي».

غير أن حزب الله، تحت قيادة السيد نصر الله، اكتسب تدريجياً خبرة عسكرية متقدمة، أحدثت تحولاً مهماً. وقد تجسد ذلك في حدثين بارزين:

- الانسحاب الإسرائيلي عام 2000، فبعد 18 عاماً من الاحتلال، انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان من دون مفاوضات مباشرة أو معاهدة، بل تحت ضغط المقاومة. وقد شكّل هذا الانسحاب تحولاً استراتيجياً، إذ أثبت فعالية المقاومة، وعزز مكانة السيد نصر الله كقائد منتصر<sup>(1)</sup>.

(1) HAMZEH (Ahmad Nizar):*In the Path of Hizbullah*, Syracuse University Press, 2004, 144- 150.

• حرب تموز/ يوليو 2006: المواجهة مع إسرائيل أظهرت قدرة حزب الله على الصمود أمام جيش تقليدي حديث. فرغم الدمار الواسع، تمكن الحزب من إلحاق خسائر بإسرائيل، والحفاظ على بنيته العسكرية. وقد دشنت هذه الحرب دخول الحزب إلى مرحلة الحرب الهجينة، التي جمعت بين تكتيكات العصابات، استخدام الصواريخ متوسطة المدى، الحرب النفسية، والسيطرة على الإعلام. من خلال هذا التحول، أعاد السيد نصر الله تعريف دور حزب الله من مجرد تنظيم مسلح سري، إلى قوة إقليمية قادرة على إلهام حركات مقاومة أخرى في العالم العربي.

### 3 - البراغماتية والعقلانية الاستراتيجية

بعيداً عن الحماسة الإيديولوجية، يتميز الفكر السياسي للسيد نصر الله بالبراغماتية الاستراتيجية. فخلافاً للرؤية العقائدية الجامدة، تمكن من تكيف استراتيجية حزب الله العسكرية مع تطورات السياقين الإقليمي والدولي.

من جهة، حافظ السيد نصر الله على تمييز صارم بين القتال ضد إسرائيل والعلاقات مع المكونات الأخرى للمجتمع اللبناني. فلم يسع حزب الله إلى فرض هيمنة عسكرية داخلية بالقوة، بل حصر استخدام السلاح في مواجهة إسرائيل<sup>(1)</sup>. وقد ساهم ذلك في تجنب عزلة سياسية، ومهّد لاندماجه التدريجي في المؤسسات اللبنانية.

(1) ALAGHA (Joseph): *The Shifts in Hizbullah's Ideology. Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program*, op.cit., pp. 183 -190.

ومن جهة أخرى، نجح السيد نصر الله في الجمع بين المقاومة والردع. فبعد 2006، عزز حزب الله ترسانته العسكرية لإرساء نوع من توازن الرعب مع إسرائيل. فلم تعد الاستراتيجية هجومية فقط، بل دفاعية أيضاً؛ أي ردع أي عدوان جديد عبر التهديد بردّ قاسٍ.

وأخيراً، تظهر هذه البراغماتية في الربط بين المنطق العسكري والمنطق السياسي. فالمقاومة لا تُفهم كغاية في ذاتها، بل كوسيلة في خدمة استراتيجية أوسع، تقوم على البقاء، والشرعية، وتعزيز موقع حزب الله كفاعل لا غنى عنه.



بذلك، تقوم الأسس الاستراتيجية والعسكرية في فكر السيد حسن نصر الله السياسي على ثلاثية: تقديس المقاومة، التحول نحو الحرب الهجينة، والبراغماتية التي توفق بين الإيديولوجيا والعقلانية. وقد مكّن هذا المزيج حزب الله من فرض نفسه، ليس فقط كقوة عسكرية مرهوبة الجانب، بل كفاعل سياسي يحظى بالشرعية.

لكنّ الفكر السياسي للسيد نصر الله لا يقتصر على الميدان العسكري. فهو يتجذر أيضاً في بُعد اجتماعي، يرتبط بتاريخ الطائفة الشيعية في لبنان، ودور حزب الله في المجتمع.

### ثالثاً: الأسس الاجتماعية والوطنية

إنّ الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله لا تتجلى فقط عبر البعد العقائدي أو العسكري، بل تتجذّر عميقاً في الواقع الاجتماعي والوطني اللبناني، ولا سيما في تاريخ الطائفة الشيعية. فمسار حزب الله، تحت قيادة السيد نصر الله، يُجسّد استراتيجية تدريجية للاندماج السياسي والبناء الاجتماعي، مما يضيفي على الحركة شرعية تتجاوز البعد

العسكري. وتظهر هنا ثلاث ركائز أساسية: تحويل تهمة الشيعة إلى قوة سياسية، وبناء سلطة اجتماعية موازية، ثم الاندماج التدريجي في النظام السياسي اللبناني.

### 1 - المسألة الشيعية في لبنان: من التهميش إلى الترشح

حتى منتصف القرن العشرين، عاشت الطائفة الشيعية في لبنان حالة من التهميش، حيث كانت محصورة في الأرياف الفقيرة جنوباً وفي البقاع والضاحية الجنوبية لبيروت. فالدولة اللبنانية، التي بُنيت على أساس الميثاق الوطني عام 1943، خصّصت الموارد برئاسة الجمهورية، والسنة برئاسة الحكومة، بينما اقتصر دور الشيعة على رئاسة مجلس النواب، أي موقع ثانوي في السلطة<sup>(1)</sup>.

هذا الشعور بالتهمة غدّى حالة من الاستياء العميق، حاول الإمام موسى الصدر في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين تحويلها إلى وعي سياسي منظم. فحركة «أمل» - التي أسسها الإمام الصدر، كانت الإطار الأول لتنظيم الطائفة، غير أنّ حزب الله بعد عام 1982 هو الذي جسّد فعلاً هذا التحوّل.

تحت قيادة السيد نصر الله، قدّم الحزب نفسه بصفته وريثاً لهذه المواجهة، ومدافعاً عن «المستضعفين». فخطاب العدالة الاجتماعية، الممزوج بالمقاومة المسلحة، مكّن حزب الله من أن يصبح أبرز لسان حال للطائفة الشيعية، التي طالما كانت مهمّشة داخل النظام اللبناني<sup>(2)</sup>.

(1) AJAMI(Fouad):*The Vanished Imam: Musa al Sadr and the Shia of Lebanon*, Ithaca: Cornell University Press, 1986, pp. 45- 68.

(2) BITAR (Karim) : «Les chiites du Liban : de la marginalisation à l'affirmation politique», op.cit., pp.11- 22.

## 2 - بناء هيكل تنظيمي: الدولة الاجتماعية للحزب

من أبرز ملامح الفكر السياسي للسيد نصر الله إدراكه أنّ شرعية الحزب لا يمكن أن تقوم على السلاح وحده. لذلك، عمل الحزب على إنشاء شبكة واسعة من المؤسسات الاجتماعية والتربوية والصحية، وصارت تُوصف بأنها دولة داخل الدولة.

منذ الثمانينيات، أسّس الحزب جمعيات خيرية ومدارس ومستشفيات وخدمات لإعادة الإعمار، بتمويل جزئي من إيران وبمساهمات محلية. وبعدهرب 2006، أظهر الحزب قدرة استثنائية على إعادة إعمار الضاحية الجنوبية بسرعة، في وقت بدت فيها الدولة اللبنانية عاجزة<sup>(1)</sup>.

لم تكن هذه المؤسسات مجرد أدوات خدمتية، بل مثلت أيضًا آليات لإضفاء الشرعية السياسية. فهي تعبّر عن رؤية الحزب لدوره كفاعل يسدّ فراغ الدولة، ويُرسّخ ولاء قاعدته الاجتماعية الشيعية. هذا النموذج الاجتماعي جعل من الحزب أكثر من ميليشيا عسكرية: فهو تنظيم عسكري-سياسي-اجتماعي متكامل.

## 3 - المشاركة في الحياة السياسية اللبنانية

في الثمانينيات، كان حزب الله يرفض النظام السياسي اللبناني باعتباره نظامًا طائفياً غير شرعي. غير أنّ وصول نصر الله إلى قيادته عام 1992 شكّل نقطة تحوّل. إذ قرّر الحزب خوض الانتخابات النيابية لأول مرة، فحقّق تمثيلاً وازناً في البرلمان.

(1) HARB (Mona) et LEENDERS (Reinoud): "Know Thy Enemy: Hizbullah, 'Terrorism' and the Politics of Perception," Third World Quarterly 26, N°1, (2005): 173- 197.

جاء هذا القرار في إطار براغماتية سياسية: تعزيز شرعية الحزب كفاعل وطني، حماية سلاحه عبر حضور مؤسساتي، وفرض نفسه شريكاً أساسياً في التوازنات الداخلية.

ومع مرور الوقت، انتقل الحزب من كونه قوة معارضة إلى شريك في الحكم، فشارك في حكومات وحدة وطنية، وأقام تحالفات انتخابية، أبرزها مع التيار الوطني الحر بقيادة ميشال عون ابتداءً من عام 2006<sup>(1)</sup>. هذه الاستراتيجية تجسّد الفكر السياسي للسيد نصر الله: الجمع بين المقاومة المسلحة والعمل المؤسساتي، دون التخلي عن أيّ منهما.

غير أنّ هذه الهوية المزدوجة - «حركة مقاومة» و«فاعل سياسي» - تبقى مصدر توتر داخلي. فخصوم الحزب يتّهمونه بتهديد السيادة الوطنية بسبب سلاحه وعلاقاته بإيران، فيما يبرّر السيد نصر الله ذلك باعتباره ضرورة وجودية لحماية لبنان من إسرائيل، وصون كرامة طائفته.

إنّ الأسس الاجتماعية والوطنية للفكر السياسي عند السيد تقوم على ديناميكية معقّدة: تحويل التهميش إلى ترسخ سياسي، بناء نموذج اجتماعي مواز، والاندماج في النظام اللبناني. هذه القدرة على التكيف هي التي تفسّر شرعية الحزب بصفته حركة مقاومة.

لكنّ فكر السيد نصر الله السياسي لا يقف عند حدود لبنان، بل يفتح على بعد جيوسياسي وإقليمي أوسع، حيث يتقدّم الحزب كرمز لمشروع مقاومة عابر للحدود.

(1) DAHER (Aurélie): *Hezbollah: Mobilisation of the Shia and Reshaping of the Lebanese System*, Oxford University Press, 2019, pp. 203 -210.

### رابعاً: الأسس الجيوسياسية والإقليمية

لا يمكن فهم الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله من دون إدراك موقعه داخل فضاء جيوسياسي يتجاوز الإطار اللبناني. فقد اكتسب حزب الله، تحت قيادته، تدريجياً صفة فاعل إقليمي مرتبط بما بات يُعرف بـ «محور المقاومة». هذا البعد الإقليمي منح الحزب وزناً استراتيجياً يتخطى قواعده المحلية. ويمكن تحديد ثلاثة محاور أساسية: الارتباط الاستراتيجي مع إيران، العلاقة الخاصة التي كانت مع سوريا، والموقف من القضايا الإقليمية، لا سيما فلسطين وسوريا.

#### 1- الارتباط الاستراتيجي مع إيران

يتمثل الركن الأول في الأسس الجيوسياسية لفكر السياسي للسيد نصر الله هي العلاقة العضوية مع إيران. فقد تأسس حزب الله عام 1982 في سياق الثورة الإسلامية الإيرانية والاحتلال الإسرائيلي للبنان، مستلهماً مبدأ ولاية الفقيه الذي طرحه الإمام الخميني<sup>(1)</sup>.

لطالما أكد السيد نصر الله على هذا الانتماء، معتبراً إيران ليس فقط مصدر دعم مالي وعسكري، بل مرجعاً إيديولوجياً أيضاً. فهذه العلاقة ليست مجرد تحالف نفعي، بل تمنح حزب الله مهمة تتجاوز الحدود الوطنية، في إطار مواجهة الإمبريالية والصهيونية<sup>(2)</sup>.

على المستوى المادي، شكّلت إيران الممول الرئيسي للحزب بالسلاح والتدريب والمال، ما منحه استقلالية عسكرية نادرة في العالم

(1) HAMZEH (Ahmad Nizar): *In the Path of Hizbullah*, op.cit., pp. 43 - 55.

(2) ALAGHA (Joseph): *Hizbullah's Documents: From the 1985 Open Letter to the 2009 Manifesto* (Amsterdam: Pallas Publications, 2011, pp. 97- 112.

العربي. أما على المستوى الرمزي، فقد جعلت هذه العلاقة من السيد نصر الله أحد أبرز ممثلي المشروع الثوري في المنطقة<sup>(1)</sup>.

## 2- العلاقة مع سوريا: والتحول نحو الشراكة

إذا كانت إيران هي المرجعية العقائدية واللوجستية، فإن سوريا مثّلت لفترة طويلة الحليف الإقليمي الأساسي. فقد لعبت دمشق، في عهد حافظ الأسد ثم بشار الأسد، دورًا محوريًا في تأمين مرور السلاح إلى حزب الله، وتعزيز وجوده في لبنان<sup>(2)</sup>.

أدار السيد نصر الله هذه العلاقة بذكاء، جامعًا بين الولاء والاستقلالية. فبينما استفاد الحزب من الوصاية السورية على لبنان حتى 2005، حافظ على قدر من الاستقلال في قراراته. ومع اندلاع الحرب السورية عام 2011، دخل الحزب مرحلة جديدة، إذ أعلن السيد نصر الله عام 2012 تدخّل مقاتليه إلى جانب الجيش السوري.

شكّل هذا القرار تحوّلًا جذريًا: من قوة محلية تركز على مواجهة إسرائيل، إلى لاعب إقليمي منخرط في صراع عربي-إسلامي داخلي. وقد برّر السيد نصر الله هذا التدخل بدعوى «حماية المقاومة»، ومواجهة «الإرهاب التكفيري»، لكنّه ساهم أيضًا في تعميق الانقسامات الطائفية في المنطقة<sup>(3)</sup>.

(1) RICHARD NORTON (Augustus): *Hezbollah: A Short History*, op.cit., 2014, pp. 55- 61.

(2) BALANCHE (Fabrice) : «Le Hezbollah, un acteur régional au service de l'Iran et de la Syrie», in *Politique étrangère* 80, N° 1, 2015, pp. 89- 101.

(3) DAHER (Aurélien): *Hezbollah: Mobilisation of the Shia and Reshaping of the Lebanese System*, op.cit., pp. 233- 250.

### 3 - القضية الفلسطينية والشرعية العابرة للحدود

عنصر آخر محوري في الفكر السياسي للسيد نصر الله هو المركزية التي يحتلها الملف الفلسطيني. فمنذ نشأته، اعتبر حزب الله نفسه امتدادًا للنضال الفلسطيني، ورأى في إسرائيل العدو الأساسي.

كثيرًا ما ركّز السيد في خطابه على التضامن مع غزة والفصائل الفلسطينية، خصوصًا حماس والجهاد الإسلامي. ورغم الاختلاف المذهبي (سني/ شيعي)، فإن هذه التحالفات تُجسد استراتيجية بناء تحالفات عابرة للطوائف حول قضية مركزية<sup>(1)</sup>.

هذا الموقف منح الحزب شرعية تتجاوز لبنان؛ ففي نظر قطاعات واسعة من العرب والمسلمين، يُجسّد السيد نصر الله صورة المقاومة الأصيلة في مواجهة إسرائيل، بخلاف أنظمة متهمّة بالتطبيع أو المساومة. وبعد حرب تموز 2006، بلغت شعبيته ذروتها في العالم العربي، حتى في أوساط سنيّة، متجاوزة بذلك الخلافات العقائدية<sup>(2)</sup>.

### 4 - محور المقاومة والمواجهة مع الغرب وحلفائه

يتجلى فكر السيد نصر الله السياسي أيضًا في تبلور صراع جيوسياسي أوسع بين محور المقاومة من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائهما من جهة أخرى.

في خطابه، يصوّر السيد نصر الله حزب الله كـ«طليعة جبهة عالمية» ضد الهيمنة الغربية والصهيونية. كما يرفض اتفاقيات التطبيع

(1) KHAIRALLAH (Daoud R.): "Hezbollah's Legitimacy and the Palestinian Question," in *Journal of Palestine Studies*, 37, N° 3, 2008, pp. 22- 35.

(2) TELHAMI (Shibley): "Hezbollah's Popularity and the Arab Public," *Foreign Policy* (August 2006).

(اتفاقيات أبراهام) التي يعتبرها «خيانة». وبهذا، يظهر الحزب كفاعل يتجاوز حدود لبنان، منخرط في مواجهة بين محاور إيديولوجية واستراتيجية متعارضة<sup>(1)</sup>.

إنّ الأسس الجيوسياسية والإقليمية للفكر السياسي عند السيد حسن نصر الله تقوم على منطق مزدوج: التمركز في تحالفات بنوية (إيران وسوريا) من جهة، والانفتاح على شرعية عابرة للحدود عبر القضية الفلسطينية ومحور المقاومة من جهة أخرى. هذا البعد يفسّر تجاوز حزب الله لحدود الحزب اللبناني ليصبح فاعلاً إقليمياً عند تقاطع الديناميكا المحلية والدولية.

وستتناول البعد الخطابي-الإعلامي الذي مكّن السيد نصر الله من تجسيد هذه الرؤية وترسيخ مكانته كزعيم عالمي.

#### خامساً: الأسس الخطابية والتواصلية

يُعَدّ الخطاب أداة مركزية في فهم الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله. فقد تمكن من توظيف الكلمة كوسيلة قوة استثنائية، وجعل من تدخلاته العلنية التي تُبث عبر قناة المنار (التابعة لحزب الله) وغيرها من المنابر الإعلامية - محطات ذات طابع سياسي عالي الكثافة. وعلى خلاف كثير من القادة العرب الذين يُنظر إليهم كزعماء بعيدين عن شعوبهم، اكتسب السيد نصر الله سمعة تقوم على القرب، والصدق، والقدرة الخطابية؛ مما منحه سلطة رمزية لافتة.

(1) SAAD-GHORAYEB(Amal): *Hizbu'llah: Politics and Religion*, op.cit., pp. 201- 218.

## 1- خطاب المقاومة

الركيزة الأولى في خطاب السيد نصر الله هي بناء لغة المقاومة، وتكرر في خطابه مصطلحات مثل «الكرامة»، «الفداء»، «النصر»، و«الوعد»<sup>(1)</sup>. هذا الخطاب يتيح له:

- تقديس الصراع مع إسرائيل عبر تصويره واجباً دينياً وأخلاقياً؛

- شرعنة التضحيات البشرية، خاصة الشهداء؛

- بناء أفق للأمل الجماعي، حيث يُقدّم كل نزال باعتباره خطوة نحو

النصر النهائي.

كما يوظف السيد نصر الله أحياناً خطاباً ذا طابع اسكاتولوجي، يستعير من المعجم القرآني والفقهِ الشيعي، مما يضيف بُعداً متعالياً على النضال. وبذلك يوفق بين البُعد الإيديولوجي والاستراتيجي، محوِّلاً المنجزات العسكرية الجزئية إلى ما يسمّيه «انتصارات إلهية»<sup>(2)</sup>.

## 2 - التواصل القريب من الجمهور

أحد أبرز ملامح خطاب السيد نصر الله هو القرب من الجمهور. فبينما يظهر قادة عرب آخرون بمظهر سلطوي ومتباعد، يستخدم السيد نبرة مباشرة، أحياناً مألوفة، يمزج فيها بين الفصحى واللهجة اللبنانية<sup>(3)</sup>.

كما أنه لا يتردد في الحديث عن حياته أو مشاعره، بل ويستعمل استعارات من الثقافة الشعبية. هذه الاستراتيجية التواصلية تولّد ثقة

(1) SAAD-GHORAYEB(Amal): *Hizbu'llah: Politics and Religion*, op. cit., pp. 75- 88.

(2) HAMZEH (Nizar): *In the Path of Hizbullah*, op.cit., pp. 113125-.

(3) ALAGHA(Joseph): *The Shifts in Hizbullah's Ideology: Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program*, Amsterdam University Press, 2006, pp. 159- 166.

متبادلة وشعورًا بالانتماء، مما يجعله في صورة «القائد الكاريزمي القريب من الشعب»<sup>(1)</sup>. ويعزز هذا القرب من خلال الاستخدام المدروس للإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي. بحيث تتحول خطابه إلى أحداث سياسية يتابعها الملايين في لبنان والعالم العربي.

### 3- التحكم في الزمن الإعلامي والرمزي

يتقن السيد نصر الله فن تحويل خطابه إلى محطات سياسية حاسمة. فهي لا تأتي فقط كردود فعل، بل تصنع الحدث ذاته. وتُبنى كل إطالة عامة على تخطيط دقيق: في النبوة، والجلوس، واختيار الكلمات، وحتى في طول الخطاب<sup>(2)</sup>.

على سبيل المثال، خلال حرب 2006، لعبت خطابه المنتظمة دورًا في الحفاظ على التعبئة النفسية للبنانيين، وإظهار صورة القائد المسيطر والواثق في مواجهة إسرائيل. ولعل عبارته الشهيرة: «المفاجأة التي أعدناها لكم» رسخت حضوره كقائد استراتيجي بارز<sup>(3)</sup>.

هذا التحكم في الزمن الخطابي يجعل من كل كلمة «فعالًا سياسيًا»، ويحوّل الكلمة إلى قوة رمزية موازية للقوة العسكرية.

### 4 - السجل العاطفي والهوية

يعتمد السيد نصر الله في خطابه على البعد العاطفي والجماعي. فهو يوظف ذكرى الشهداء، ومعاناة المدنيين، والرموز الدينية لاستنهاض

(1) RICHARD NORTON (Augustus): *Hezbollah: A Short History*, Princeton University Press, 2014, pp. 71- 78.

(2) DAHER (Auréliel): *Hezbollah: Mobilisation of the Shia and Reshaping of the Lebanese System*, op.cit., pp. 305- 318.

(3) BLANFORD (Nicholas): *Warriors of God: Inside Hezbollah's Thirty-Year Struggle Against Israel*, Random House, New York, 2011, pp. 442- 456.

الجماهير. ويتجاوز هذا البعد جمهوره الشيعي المباشر، ليخاطب الوجدان العربي والإسلامي الأوسع.

وتبرز في هذا الإطار صورة أم الشهيد كرمز متكرر، تُقدّم بوصفها مثلاً للصبر والإيمان. ويسمح هذا السجل بتحويل الألم إلى فخر، مما يعزز الشرعية الأخلاقية للنضال<sup>(1)</sup>.

### 5 - السردية المضادة تجاه الخصوم

أخيراً، يشكل خطاب السيد نصر الله سردية مضادة في مواجهة الروايات الإسرائيلية، والغربية، والعربية المناوئة. فهو يعيد قلب الاتهامات، محولاً صفة «الإرهاب» إلى وسام مقاومة، ومصوراً التحالفات الغربية باعتبارها خيانة.

وتقوم هذه السردية المضادة على ثلاثة محاور:

- فضح النفاق الغربي الذي يدافع عن إسرائيل باسم حقوق الإنسان.
- إبراز خيانة الأنظمة العربية المعتدلة للساعة للتطبيع مع تل أبيب.
- تقديم حزب الله باعتباره منبر حصون الكرامة العربية والإسلامية<sup>(2)</sup>.

يستمد الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله قوته من القدرة على تحويل الكلمة إلى سلاح استراتيجي. فقد سمحت له الكاريزما، وأسلوبه الخطابية، وقدرته على التحكم في الرموز الإعلامية بأن يوسع من تأثير حزبه إلى ما يتجاوز البيئة الشيعية، بل وحدود لبنان نفسه.

(1) KHAIRALLAH (Daoud R.): "Martyrdom and Political Legitimacy in Nasrallah's Speeches", in *Arab Studies Quarterly* 31, N° 2, 2009, pp. 45- 61.

(2) TELHAMI (Shibley): "The Nasrallah Phenomenon and Arab Public Opinion", Brookings Institution, 2007.

وهذا ما يدعونا الى تناول الأسس السوسولوجية والسياسية الداخلية، التي مكنته من التفاعل مع خصوصيات المجتمع اللبناني كالنظام الطائفي، الاقتصاد والمجتمع المدني.

### سادسا: الأسس السوسولوجية والسياسية الداخلية

ان فهم الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله يمر عبر التوقف عند قدرته على الجمع بين المقاومة، والمشاركة في النظام الداخلي اللبناني. وتُظهر هذه البنية البعد البراغماتي في قيادته، حيث يدمج بين الإيديولوجيا والاستراتيجية، وإدارة الواقع الطائفي والاقتصادي والاجتماعي. ويمكن إبراز ثلاثة محاور أساسية:

- إدارة النظام الطائفي اللبناني.
- تعزيز السلطة المجتمعية.
- والتفاعل مع المجتمع المدني والاقتصاد المحلي.

### 1 - إدارة النظام الطائفي والاندماج في المؤسسات

إنّ لبنان دولة قائمة على التوازن الطائفي منذ الميثاق الوطني لعام 1943، حيث يُوزَعُ النفوذ بين الطوائف الدينية. وبالنسبة إلى حركة انطلقت من تهميش الطائفة الشيعية، فإن المشاركة السياسية تستلزم معادلة دقيقة.

اختار السيد نصر الله استراتيجية اندماج حذر: يشارك حزب الله في الانتخابات النيابية والحكومات، ويحترم نظام المحاصصة الطائفية، ويبني تحالفات مع طوائف أخرى، مع الحفاظ على استقلاليتة العسكرية<sup>(1)</sup>.

(1) RICHARD NORTON (Augustus): Hezbollah. A Short History ,op.cit., pp.78 -85.

ولهذه الاستراتيجية وظيفتان:

\*إضفاء شرعية وطنية على حزب الله، حيث تُظهر المشاركة في المؤسسات أن الحزب جزء من النظام اللبناني<sup>(1)</sup>.

\* تأمين الحماية للتنظيم، إذ يساهم الاندماج في الحياة السياسية الرسمية في تقليص خطر العزل أو الاستهداف، ويشكل درعاً مؤسسياً يحمي سلاح الحزب<sup>(2)</sup>.

وبذلك، يبرهن السيد نصر الله على قدرته النادرة في التكيف السياسي مع نظام معقد، يجمع بين الالتزام الإيديولوجي ومتطلبات الواقع المؤسسي.

## 2 - تعزيز السلطة داخل المجتمع الشيعي

أحد ركائز نجاح الحزب داخلياً يتمثل في بنيته التنظيمية والاجتماعية ضمن البيئة الشيعية. فقد طوّر نصر الله شبكة متكاملة تجمع بين الدين والسياسة والخدمات الاجتماعية والأمن<sup>(3)</sup>.

وتسمح هذه الشبكة بما يلي:

- تعزيز ولاء القاعدة الشيعية.

- فرض السيطرة الميدانية على المناطق الشيعية.

(1) ALAGHA (Joseph):*The Shifts in Hizbullah's Ideology. Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program* , Amsterdam University Press, 2006, pp. 155- 162.

(2) DAHER (Aurélie):*Hezbollah : Mobilisation of the Shia and Reshaping of the Lebanese System*, Oxford University Press, 2001.

(3) SAAD-GHORAYEB (Amal):*Hizbu'llah : Politics and Religion*, op. cit., pp. 102110-.

- توفير خدمات بديلة عن غياب الدولة، مثل المدارس والمستشفيات والمساعدات الاجتماعية.

بهذا المعنى، أسس الحزب دولة موازية في مناطقه، تضمن الحماية والدعم الشعبي، وتمنحه في الوقت نفسه شرعية سياسية واجتماعية<sup>(1)</sup>.

### 3 - العلاقة مع المجتمع المدني والاقتصاد المحلي

أدرك السيد نصر الله أن الشرعية الداخلية لا تُبنى فقط على السلاح أو الإيديولوجيا، بل أيضًا على الاقتصاد والمجتمع المدني. ولهذا، دعم الحزب التجار، ورجال الأعمال، والجمعيات المحلية، وساهم في مشاريع تنموية خاصة في الجنوب والبقاع<sup>(2)</sup>.

وتخدم هذه المقاربة أهدافًا متعددة:

- إدماج السكان في مشروع مشترك يجمع المقاومة والتنمية.

- توسيع القاعدة الاجتماعية لتشمل قطاعات غير دينية.

- إنشاء شبكة اقتصادية موازية تؤمن تمويلًا إضافيًا، وتخفف الاعتماد على الخارج<sup>(3)</sup>.

هذا التفاعل بين السياسة والاقتصاد والمجتمع المدني يمثل

(1) HAMZEH (Ahmad Nizar): *In the Path of Hizbullah*, op.cit., pp. 190198-.

(2) HARB (Mona) et LEENDERS (Reinoud): "Know Thy Enemy: Hizbullah, Terrorism' and the Politics of Perception", *Third World Quarterly* 26, no. 1, 2005, pp. 180- 195.

(3) MALLAT (Chibli): *The Renewal of Islamic Law. Muhammad Baqer al-Sadr, Najaf and the Shi'i International* Cambridge University Press, 1993, pp. 164 -172.

ركيزة أساسية في الفكر السياسي للسيد نصر الله، ويُظهر براغماتيته وقدرته على تحويل التهميش التاريخي للطائفة الشيعية إلى قوة اجتماعية وسياسية.

#### 4 - الصمود في مواجهة الأزمات الداخلية

يتجلى الفكر السياسي للسيد نصر الله أيضًا في قدرة الحزب على الصمود أمام الأزمات اللبنانية. فالأزمات الاقتصادية، والضغط الدولية، والتوترات الطائفية، كان يمكن أن تضعف الحزب، لكنه تمكن من الحفاظ على تماسكه عبر:

- خطاب تعبوي موجه إلى قاعدته الشعبية.

- تعزيز البنى الاجتماعية والعسكرية.

- تعبئة الأتباع حول إيديولوجيا المقاومة والكرامة<sup>(1)</sup>.

هذا الصمود يفسر إلى حد كبير استمرارية حزب الله، واستقراره كفاعل مركزي في المشهد اللبناني.

تقوم الأسس السوسولوجية والسياسية التي عمل من أجلها السيد نصر الله على توازن دقيق بين العقيدة، والمشاركة في المؤسسات، والسلطة المجتمعية. وهذا البعد الداخلي يُكمل الأسس العقائدية والاستراتيجية والجيوسياسية، ليقدم صورة متكاملة عن فكره السياسي.

(1) BITAR (Karim) : « Hassan Nasrallah, entre mythe et réalité », op.cit. , pp.30- 40.

## خاتمة

بعد تحليل الأسس العقديّة والاسـتراتيجية والاجتماعية - السياسية والتواصلية لفكر السيد حسن نصر الله، يتضح أن روحه السياسية تتميز بتركيب أصيل يجمع بين العقيدة الدينية والبراغماتية الاستراتيجية والشريعة الاجتماعية. وتهدف هذه الخاتمة إلى إبراز الخطوط العريضة لفكره، وكذلك استشراف آفاق تأثيره على المستويين الداخلي والإقليمي.

### أ- تركيب أصيل بين الدين والاسـتراتيجية والسياسة

من أبرز سمات الفكر السياسي للسيد نصر الله قدرته على الجمع بين ثلاثة مجالات عادة ما تكون منفصلة:

ب- العقدي والديني: يستند نصر الله في شرعيته إلى التراث الشيعي وإلى عقيدة ولاية الفقيه، مانحاً صراعه ضد إسرائيل بعداً متعالياً وأخلاقياً<sup>(1)</sup>.

ج- الاسـتراتيجي والعسكري: حوّل حزب الله إلى قوة مقاومة فعالة، قادرة على إلحاق تكاليف باهظة بإسرائيل، والحفاظ على توازن عسكري إقليمي<sup>(2)</sup>.

د- الاجتماعي - السياسي والطائفي: عزّز تماسك المجتمع الشيعي في لبنان، وطور شبكات اجتماعية وتعليمية، وشارك في النظام السياسي الطائفي اللبناني<sup>(3)</sup>.

(1) GHORAYEB (Amal): *Hizbu'llah: Politics and Religion*, op.cit., pp. 75 -88.

(2) RICHARD NORTON (Augustus): *Hezbollah: A Short History*, op.cit., pp. 72 -78.

(3) DAHAR (Aurélie): *Hezbollah. Mobilisation of the Shia and Reshaping of the Lebanese System*, op.cit, pp. 215 -223.

هذا التركيب الثلاثي مكّن السيد نصر الله من الحفاظ على سلطة متعددة الأبعاد: كاريزمية، عسكرية وسياسية، مما عزز استقرار الحركة واستمراريتها.

### هـ- الاتصال كأداة للقيادة

من العناصر الأساسية الأخرى في قيادته إتقان الخطاب والتواصل. فقد استطاع السيد تحويل الكلمة إلى أداة سلطة. فخطاباته تحشد، وتلهم، وتوطد التماسك الداخلي، وتشرعن المقاومة في نظر المجتمع اللبناني والعالم العربي<sup>(1)</sup>.

وتقوم استراتيجيته الإعلامية على:

- البعد الرمزي والعاطفي، لخلق شعور بالانتماء والفخر.

- إدارة الزمن والحدث، بحيث تتحول خطاباته إلى أفعال استراتيجية.

- بناء سرديات مضادة في مواجهة الخصوم داخلياً وخارجياً<sup>(2)</sup>.

هذه البنية التواصلية جوهرية، إذ تمكّن حزب الله من الحفاظ على شرعيته، رغم الضغوط العسكرية والسياسية الدولية.

(1) BLANFORD (Nicholas): *Warriors of God: Inside Hezbollah's Thirty-Year Struggle Against Israel*, Random House, New York, 2011, pp 442 -456.

(2) KHAIRALLAH (Daoud R.): "Martyrdom and Political Legitimacy in Nasrallah's Speeches", op.cit., pp. 45- 61.



## و- تأثير إقليمي وعابر للحدود

يتجاوز الفكر السياسي للسيد حسن نصر الله الإطار الوطني. فمن خلال اصطفاة حزب الله مع إيران وسوريا والحركات الفلسطينية، أدرجه في محور المقاومة الإقليمي<sup>(1)</sup>، وتستند هذه الرؤية الإقليمية إلى:

- تضامن عقائدي واستراتيجي مع الحركات المناهضة لإسرائيل.

- الردع في مواجهة القوى الغربية.

- شرعنة عابرة للحدود عبر الدفاع عن القضية الفلسطينية والكرامة العربية<sup>(2)</sup>.

وبذلك، لم يعد حزب الله مجرد فاعل لبناني، بل أصبح حركة مؤثرة في المشهد الشرق أوسطي، قادرة على التدخل في التوازنات الإقليمية والتأثير على العلاقات الدولية.

إن تحليل الأسس العقدية والاستراتيجية والاجتماعية - السياسية والتواصلية للسيد حسن نصر الله يكشف عن فكر سياسي فريد ومتعدد الأبعاد. فهو ليس مجرد قائد عسكري، بل زعيم ديني، كاريزماتي، استراتيجي وبرغماتي، قادر على تعبئة مجتمعه، والاندماج في المؤسسات، وإسقاط تأثيره خارج لبنان.

هذا المزج بين الشرعية الأخلاقية، والاستراتيجية العسكرية، والإدارة الداخلية، والتواصل الرمزي، يفسر استقرار الحزب وقوته

(1) HAMZEH (Ahmad Nizar): *In the Path of Hizbullah*, Syracuse University Press, 2004, pp. 43- 55.

(2) TELHAMI (Shibley): "The Nasrallah Phenomenon and Arab Public Opinion", in Brookings Institution, 2007.

تحت قيادته. كما يوضح كيف يمكن لحركة متجذرة في مجتمع أن تتحوّل إلى فاعل أساسي على المستويين الوطني والإقليمي.

وبذلك، يبقى الفكر السياسي للسيد نصر الله تركيباً أصيلاً ومتطوراً، يقوم على الجمع بين العقيدة والبراغماتية، بين الإيمان والاستراتيجية، بين المقاومة والمشاركة السياسية.



مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر



## البيبليوغرافيا

### أولاً: اللغة الإنجليزية والفرنسية

-AJAMI (Fouad): *The Vanished Imam: Musa al Sadr and the Shia of Lebanon*. Ithaca, Cornell University Press, 1986.

-ALAGHA (Joseph): *The Shifts in Hizbullah's Ideology: Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program*, Amsterdam University Press, Amsterdam, 2006.

-BALANCHE (Fabrice): «Le Hezbollah, un acteur régional au service de l'Iran et de la Syrie», *Politique étrangère* 80, N° 1 (2015): 89-101.

-BIKAR (Karim): «Hassan Nasrallah, entre mythe et réalité», *Confluences Méditerranée* 64, N° 1, 2008, pp. 30-41.

-BLANFORD (Nicholas): *Warriors of God: Inside Hezbollah's Thirty-Year Struggle Against Israël*, Random House, New York, 2011.

-DAHER (Aurélie): *Hezbollah.. Mobilisation of the Shia and Reshaping of the Lebanese System*, Oxford University Press, Oxford, 2019.

-HAMZEH (Ahmad Nizar): *In the Path of Hizbullah*. Syracuse, Syracuse University Press, 2004.

-HARB (Mona)et REINOUD (Leenders): “Know Thy Enemy: Hizbullah, ‘Terrorism’ and the Politics of Pperception”,*Third World Quarterly*/ 26, N°1 (2005), pp.180-195.

-KHAIRALLAH (Daoud R.) :“Martyrdom and Political Legitimacy in Nasrallah’s Speeches”, *Arab Studies Quarterly* 31, N° 2 (2009).

-MALLAT (Chibli): *The Renewal of Islamic Law: Muhammad Baqer al-Sadr, Najaf and the Shi’i International*, Cambridge University Press, Cambridge, 1993.

-NORTON (Augustus Richard): *Hezbollah. A Short History*, Princeton University Press, tt Princeton, 2014.

-SAAD-GHIRAYEB (Amal): *Hizbu’llah. Politics and Religion*, Pluto Press, London, 2002.

-TELHAMI (Shibley): “The Nasrallah Phenomenon and Arab Public Opinion”,Brookings Institution (2007).



## ثانياً: اللغة العربية

-حطيط (أنيس): حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل، دار  
الفكر المعاصر، بيروت، 2005

-ديراني (قاسم): حزب الله، الرؤية السياسية والاستراتيجية، دار  
الهادي، بيروت، 2010.

- فياض (علي): الهوية والمقاومة عند حزب الله، المركز  
الاستشاري للدراسات والتوثيق، بيروت، 2013.

-قانسو (وفيق): الخطاب السياسي لحزب الله: قراءة تحليلية، دار  
النهار، بيروت، 2011.

-نصر الله (حسن): خطاب النصر: نصوص مختارة 1985-  
2006، دار الملاك، بيروت، 2007.

مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر



مجمع إفريقية  
للدراسات والتوثيق والنشر